دراسات في التاريخ الأندلسي

الأستاذ الدكتور
عبد الواحد ذنون طه



دراسات في التاريخ الأندلسي

دراسات
في التاريخ الأندلسي

تأليف
أ. د. عبد الواحد ذنون طه

دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2004 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 5925/ 2004

ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-209-6

دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،

خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb

ص.ب. 14/6703 ـ بيروت ـ لبنان

الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويـا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،

هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218،

طرابلس ـ الجماهيرية العظمى ـ oeabooks@yahoo.com

الإهداء

إلى أخي وزميلي وشريك اهتماماتي الأندلسية
الدكتور خليل ابراهيم صالح السامرائي



تصدير

هذه هي المجموعة الثانية من الدراسات الأندلسية التي وعدنا بها القارئ الكريم عند إصدار المجموعة الأولى. وهي تضم سلسلة من البحوث الأندلسية الجديدة في مجال الفكر العسكري العربي والتدوين والإبداع التأريخي.

ويتناول اثنان من هذه البحوث دراسة التنظيم والفكر العسكري عند العرب في الأندلس حيث ركز البحث الأول على عملية العبور الجسورة التي قادها البطل طارق بن زياد وأدَّت إفتتاح الأندلس، مع تحليل ودراسة عصرية لعبقرية هذا القائد، والخطط السوقية للمعركة، والتأكيد على الدروس والاستنتاجات المستنبطة من عملية العبور. أما البحث الثاني فهو عن تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في الأندلس في العصر الأموي.

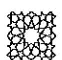
وتعالج بقية البحوث موضوع التدوين التأريخي ونشأته، ودور ومناهج بعض المؤرخين في كتابة التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس، من أمثال أحمد بن محمد الرازي، وابن أبي الفياض، والعذري، وابن حزم، وابن عذاري المراكشي.

ونأمل في الختام أن يجد أساتذة وطلاب التاريخ الأندلسي، والمثقفين عامة في هذه البحوث والدراسات عوناً لهم للوصول إلى المزيد من الاهتمام بتاريخ الأندلس وحضارتها، ومن الله التوفيق.

عبد الواحد ذنون طه

نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق

ومعركة كورة شذونة



ألقي هذا البحث في ندوة الفكر العسكري العربي التي أقامها مركز البحوث والمعلومات في بغداد في شعبان 1406هـ – نيسان 1986.

الموقف السياسي قبل العملية:

كانت سياسة الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي تقوم على دعم الفتوح وحركات التحرير، التي نشطت بشكل ملحوظ في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86 ـ 95هـ/ 684 ـ 714م)، فشملت ساحات واسعة في المشرق أو في المغرب. وهذا يشير بطبيعة الحال إلى وجود سياسة مركزية موحدة انتظمت هذه الفتوح جميعاً، وأعطتها دفعاً قوياً أوصلها إلى حدودها المعروفة، التي امتدت من أواسط آسيا شرقاً إلى المحيط الأطلسي وإسبانيا غرباً.

ويحسن بنا قبل الحديث عن عملية عبور طارق بن زياد إلى الأندلس، وتحليل معركة كورة شذونة التي أدت إلى تحطيم القوة العسكرية لدولة

القوط الغربيين في إسبانيا، أن نستعرض الموقف السياسي في شمال إفريقيا، وذلك لعلاقته الوثيقة بعملية فتح الأندلس. ويتصل هذا الموقف بطبيعة عمليات فتح وتحرير شمال إفريقيا والمغرب العربي، حيث تميزت هذه المنطقة بخصوصية اختلفت عن بقية الفتوح العربية. ويعود السبب في ذلك إلى جملة عوامل، منها ما له علاقة بأحوال العرب الداخلية، ومنها ما يرجع إلى طبيعة البلاد الجغرافية، وطبيعة سكانها المحليين، والظروف الخارجية المحيطة بها بسبب تواجد القوى الأجنبية المتمثلة بالبيزنطيين الذين كانوا على علاقات مع بعض السكان المحليين الموالين لهم. والذين قاوموا الفتح العربي إلى حين.

ولكن عندما أدرك هؤلاء السكان جوهر الرسالة السامية التي يحملها العرب، وأنهم لم يأتوا من أجل مغنم أو مكسب مادي، تعاونوا معهم، وامتزجوا بهم، ووحّد الإسلام بين الاثنين، فأصبحوا قوة كبيرة في المنطقة. وكان من نتائج هذا التعاون الفعال، استكمال فتح وتحرير بقية أجزاء المغرب الأقصى، ووصول العرب إلى شواطئ المحيط الأطلسي في حدود سنة 90هـ ـ 709م.

وقد برز في هذه الفتوح كل من القائدين موسى بن نصير، وطارق بن زياد. وينتسب الأول إلى قبيلة بليّ العربية وكان أبوه من الرجال الذين عملوا في خدمة الدولة الأموية ولما شبّ موسى عمل هو الآخر في خدمة هذه الدولة، فتولى منصبه المهم الأول في مصر عندما رافق الخليفة مروان بن الحكم في حملته هناك سنة 65 هـ ـ 684م[1]. ونظراً للجدارة التي أثبتها موسى بن نصير في مصر، فقد أسند إليه الخليفة عبد الملك بن مروان مهمة الإشراف على خراج البصرة في العراق. ثم عاد موسى إلى مصر، والتحق بخدمة عبد العزيز بن مروان، والي مصر، الذي كان يقدّر مواهبه في الإدارة والقيادة، فاستحصل موافقة الخليفة،

(1) الكندي، الولاة والقضاة، بيروت، 1908، ص47.

وأسند إليه ولاية إفريقية في عام (85هـ ـ 704م)[2]. وقد أثبت موسى أنه جدير بهذا المنصب حيث أتم تحرير الشمال الإفريقي.

أما معلوماتنا عن طارق بن زياد، فهي محدودة جداً. وتشير بعض الروايات إلى أنه كان من موالي قبيلة صدف العربية، بينما تؤكد روايات أخرى، أنه كان من موالي موسى بن نصير، وينتمي إلى قبيلة نفزة[3]. ومن المرجح أن أباه كان قد أسلم في أيام عقبة بن نافع الفهري، ودخل في خدمة العرب الفاتحين. وقد شبّ طارق في بيئة عربية، والتحق بخدمة موسى بن نصير الذي قرَّبه، وعهد إليه بقيادة جيوشه من العرب، والسكان المحليين. وقد ساهم طارق بن زياد في تحرير المغرب، ولا سيما طنجة، والسوس الأدنى، ووادي درعا، وتافيللات (وهي مناطق في المغرب العربي) حيث رافق موسى بن نصير في هذه العمليات[4].

وبعد إنجاز فتح المغرب الأقصى، عيّن موسى بن نصير والي إفريقية والقائد العام للقوات العربية الإسلامية في المنطقة، طارق بن زياد عاملا على مدينة طنجة Tangier ليكون مسؤولا عن الحامية العسكرية الجديدة فيها. وقد ظلت مدينة سبتة Ceuta بيد رجل يدعى جوليان Julian، والذي كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية، حيث عقد صلحاً مع العرب

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، نشر: تشارلس توري نيوهيفن، 1922، ص203، ابن عذاري، البيان المغرب، نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، 1/ 39 ـ 40.

(3) ابن حبيب، استفتاح الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، 1957، ص221، ابن عبد الحكم، ص207 الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968 ص69، مجهول المؤلف، أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي، القنطرة، مدريد، 1867 ص6، البيان المغرب، 1/ 43.

(4) ابن عبد الحكم، ص205: الرقيق، ص69، البيان المغرب: 1/ 42، أخبار مجموعة ص4، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968: 1/ 250.

أقرّ بموجبه على البقاء في سبتة، على أن يخضع للنفوذ والسيادة العربية[5]. وقد أدرك هذا الحاكم أن التعاون مع العرب هو أفضل السبل لكسب صداقتهم، لا سيما بعد أن شعر بقدرتهم وقوتهم المتنامية. وكان لهذا الحاكم البيزنطي أثر في تشجيع عملية عبور طارق إلى إسبانيا، نظراً للاتصالات العديدة التي جرت بينهما بشأن الموقف في الجانب الإسباني من المضيق. وقد أحيط القائد العام موسى بن نصير، الذي كان في القيروان، بهذه الاتصالات، وإمكانية عبور قوة عربية إسلامية إلى إسبانيا، فنقلها بدوره إلى السلطة المركزية في دمشق، التي أعطت الضوء الأخضر للعملية، شريطة اختبار المنطقة بالسرايا أولاً[6].

أما بالنسبة للوضع في داخل شبه الجزيرة الآيبيرية، فقد كانت تحكم من قبل دولة القوط الغربيين، وهي من الممالك التي خلفت الإمبراطورية الرومانية.

وكان القوط الغربيون يمثلون أقلية صغيرة ضمن السكان المحليين، وقد تركزت بيدهم الثروة والممتلكات، وكان هناك عدم مساواة كبيرة في البنية الطبقية، لأن المجتمع كان يتألف من ثلاث طبقات، ويأتي على رأسها كبار ملاك الأراضي والنبلاء، ثم الأغلبية الساحقة من السكان من الطبقة العامة، وأخيراً العبيد[7]. ولقد كانت ظروف الطبقتين الأخيرتين صعبة جداً، لا سيما

(5) أخبار مجموعة، ص4، نفح الطيب (برواية ابن حيان): 1/230، ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1961: 6/437 ـ 438.

(6) انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رابيرا، مدريد، 1926 ص8، أخبار مجموعة، ص5 ـ 6، مجهول، فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889، ص2، البيان المغرب، 2/5 ـ 6.

(7) انظر: فتح الأندلس، ص7، ابن الشباط، صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 14، 1967 ـ 1968 ص107، الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1938، ص169 ـ 170.

العبيد الذين كانوا يجندون بالإكراه في الجيش القوطي[8].

وفي السنوات الأخيرة التي سبقت الفتح العربي الإسلامي، سادت فترة من الفوضى والارتباك في الدولة القوطية نتيجة اغتصاب العرش من قبل لذريق Roderic، حيث واجه وضعاً داخلياً سيئاً للغاية. فقد كانت الدولة بحاجة ماسة إلى الأموال للقضاء على الفتن وحركات التمرد المعادية، لا سيما في منطقة الباسك. لهذا فقد استولى على خزائن أسلافه في كنيستي سان بيدرو San Pedro وسان بابلو San pablo في طليطلة Toledo مما سبب استياء رجال الدين[9]. ويمكن القول بشكل عام، إن إسبانيا كانت تعاني من مشاكل سياسية واجتماعية كبيرة قبيل مجيء العرب إليها، وإن جيشها لم يكن في حالة تسمح له بالوقوف أمام حماس وتنظيم الجيش العربي الإسلامي.

الموقف العسكري (وصف أرض معركة):

من المعروف أن جبل طارق Gibralter يمثل موقعاً سوقياً هاماً منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، فهو حلقة الاتصال بين أوروبا وإفريقيا، لأنه يتحكم في المضيق الذي يفصل بين القارتين. وهذا المضيق ما هو إلا عبارة عن امتداد مائي ضيّق يبلغ عرضه في أضيق جهاته نحو خمسة عشر كيلو مترا فقط، وهي مسافة لا وزن لها من ناحية الانتشار العسكري بين الشاطئين المغربي والإسباني[10]. وبجوار جبل طارق من جهة الغرب يقع ميناء الجزيرة الخضراء Algeciras، الذي يقابل ميناء سبتة في الشمال

(8) E.A. Thompson, the Goths in Spain, Oxford, 1969, pp. 265 - 267.

(9) انظر: ابن حبيب، افتتاح الأندلس، ص225، البيان المغرب: 2/ 3، فتح الأندلس ص2 ـ 3، نفح الطيب: 1/ 251.

E.Saavedra, Estudio Sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892, PP. 40 - 43.

(10) انظر: أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1968، ص20.

الإفريقي. ويقع هذا الميناء الأخير عند نهاية شبه جزيرة صخرية تمتد في البحر، الأمر الذي سهل اتصاله بالميناء المقابل، أي الجزيرة الخضراء. ولكن من الجبهة الأخرى، كانت اتصالات الجزيرة الخضراء بداخل إسبانيا صعبة إلى حد ما، وذلك بسبب طوبوغرافية المنطقة التي تتميز بوجود مرتفعات وعرة إلى الشمال من المضيق.

وكان بإمكان القائد طارق بن زياد أن يرى بالعين المجردة من مقر حاميته في مدينة طنجة، التي تقع في الجهة الغربية على الجانب الإفريقي من المضيق، الصخرة التي عرفت فيما بعد باسمه[11]، وكذلك موقع الجزيرة الخضراء، وكل الساحل الإسباني المطل على المضيق إلى نهايته الغربية مقابل طنجة. وإلى الشمال من المضيق تقع كورة شذونة التي مركزها مدينة شذونة Medina Sidonia.

وتقع في هذه المنطقة بحيرة تعرف باسم لاخاندا (الخندق) Laguna de la janda وكذلك بعض السلاسل الجبلية، مثل جبل سيليا دل بابا La Silla Del Papa. وسييرا دل رتين La Sierra del Retin. وتحصر بحيرة لاخاندا بينها وبين سييرا دل رتين سهلاً متسعاً وحصيناً لأن البحيرة تحميه من ناحية، والجبل من ناحية أخرى. ويخترق البحيرة نهر صغير يسمى بنهر البرباط Rio Barbate، الذي يصب في المحيط الأطلسي. وكان في هذا الموضع أيضاً بليدة صغيرة، زالت الآن، سماها العرب بإسم بكة، ولهذا فقد أطلقوا على النهر اسم وادي بكة، وحرفه بعضهم إلى لكة، أو وادي لكة Guadalete[12] وتقع قرية فيخير دي لافرونتيرة Vejer de la Frontera إلى

(11) كانت تعرف قديماً باسم مونت كالبي Mons Calpe، وهي تسمية فينيقية تعني الجبل المجوف، انظر: Levi-Provencal, histoire de L'Espagne Musulmane, Paris, Leiden, 1950. Vol I. P. 18.

(12) انظر: ابن القوطية، ص7، البيان المغرب: 2/8، الحميري، الروض المعطار، ص193، Saavedra Op. Cit, p.68 وانظر أيضاً: حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص71.

الغرب من بحيرة لاخاندا، عند ثنية نهر البرباط على الطريق السوقي الهام الذي يربط بين طريف Tarifa وقادس Cadiz. وقد وظف القائد طارق بن زياد هذه الظروف المناسبة للسطح لحماية قطعاته. كما سنرى فيما بعد، فجعل بحيرة لاخاندا على مجنبته اليمنى، وجبل سييرا دل رتين والبحر على مجنبته اليسرى، وظلت الطريق سالكة إلى الجزيرة الخضراء، فشمال إفريقيا، مما أدى أن تكون المعركة مع العدو من جهة واحدة فقط، وعلى جبهة ضيقة، وفقاً لتقديرات موقفه العسكري.

هذا هو المسرح الطبيعي الذي وقعت عليه المعركة التي اعقبت عملية عبور طارق. ويبدو أن طارقاً وجيشه كانوا يعرفون هذه الأراضي معرفة جيدة، بسبب قربهم منها، وتماسّهم بالمضيق والاتصالات التجارية التي كانت قائمة بين السكان المحليين في شمال إفريقيا والجانب الإسباني على مر العصور.

القوات العسكرية المستخدمة في المعركة:

أشرنا سابقاً إلى أن العرب استطاعوا أن يكسبوا ثقة السكان المحليين في شمال إفريقيا، الذين اعتنقوا الدين الإسلامي والتحقوا بصفوف الجيش العربي الإسلامي، وعملوا على تحرير بقية مناطق المغرب الأقصى، ونشر الدين الإسلامي فيه وقد برز من هؤلاء السكان المحليين بعض القادة الكبار، من أمثال طارق بن زياد، الذي اعتمد عليه موسى بن نصير، ووضعه على رأس الحامية العسكرية في طنجة. وكانت هذه الحامية هي القوة الرئيسة التي اعتمد عليها طارق في تنفيذ عملية العبور والاشتراك في معركة شذونة. وهي تتألف من مقاتلين من العرب والسكان المحليين الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة مثل مصمودة، وجراوة، ومطغرة، ومكناسة، ومديونة[13].

(13) عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال،

وتتفق معظم المصادر على أن جيش طارق بن زياد كان يتألف من اثني عشر ألف رجل[14]. عبر سبعة آلاف منهم مع طارق، ثم أمدّه موسى بن نصير بخمسة آلاف آخرين قبيل المعركة الحاسمة. وكان السكان المحليون يشكلون نسبة عالية ضمن أفراد هذا الجيش، بسبب رجوع معظم الجيش العربي الذي ساهم في افتتاح المغرب الأقصى مع موسى بن نصير إلى القيروان. ومع هذا فقد ظلت جماعة من العرب مع طارق بن زياد، وساهموا في عملية العبور والفتح. وكان عبد الملك بن عامر المعافري، الجد الأعلى للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، من أشهر العرب المساهمين في هذه الحملة[15].

وقد ضم تركيب حملة طارق أيضاً عنصراً آخر من السكان وهم السود الذين بلغ عددهم سبعمائة مقاتل. وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات عن الظروف التي أدت إلى وجود هؤلاء ضمن حامية طنجة، لكن من المحتمل أنهم جنّدوا وجلبوا من قبل موسى وطارق في أثناء حملاتهما على السوس الأقصى في جنوب المغرب، ولهذا فهم ينتمون إلى البلاد التي تقع إلى الجنوب من الصحراء الكبرى، ربما من حوض السنغال أو غانة. وعلى أي حال فإن وجود هؤلاء السود في هذا الوقت المبكر، هو أمر في غاية

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثاني، 1954، ص224، ابن خلدون، العبر: 6/ 239، 256، 265، 262.

(14) الرقيق، ص74، فتح الأندلس (برواية ابن حبيب)، ص9، ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 13، 1965 ـ 1966، ص45 ـ 46، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979: 4/ 556، البيان المغرب: 2/ 9: نفح الطيب (برواية ابن بشكوال): 1/ 230 ـ 231، 254.

(15) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القاهرة، 1945، ج1، قسم 4، ص40، ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963، (برواية ابن حيان): 1/ 275، البيان المغرب: 2/ 256 ـ 257، نفح الطيب: 1/ 396، 399.

الأهمية. لا سيما وأنهم اعتنقوا الإسلام، وساهموا إلى حد كبير في عملية العبور والمعركة الفاصلة مع القوط الغربيين[16].

واشترك في عملية العبور أيضاً بعض أتباع جوليان، حاكم سبتة البيزنطي، الذي أشرنا إليه آنفاً. وقد كان هو على رأس المرافقين لطارق بن زياد. ويبدو أن دور هؤلاء لم يكن القتال الفعلي بجانب المسلمين، بل مساعدة الحملة وإرشادها في أثناء العبور، والقيام بعمليات تقصي أخبار الأعداء، لأنهم أكثر خبرة من العرب في هذا المجال، نظراً لترددهم على الجانب الإسباني، وعلاقاتهم السابقة مع القوط. ونجد في مصادرنا العربية ما يؤيد قيام اتباع جوليان بمهمات استطلاعية وخدمات إرشادية للجيش الفاتح[17].

ولا توجد تفصيلات في المصادر عن الأسلحة التي استخدمت في هذه الحملة. ولكن من البديهي أن رجال طارق كانوا مزودين بالأسلحة التقليدية المعروفة في ذلك الزمن، كالسيوف، والرماح، والسهام، والقسي، والتروس، والدروع، والخناجر، وغيرها ويبدو أن معظم الرجال الذين عبروا مع طارق كانوا من المشاة، وأن عدد الخيول التي كانت بحوزتهم قليل في بادئ الأمر. ويدل على ذلك اهتمامهم الكبير عقب كل معركة مع كتائب القوط بالاستحواذ على الخيول التي عدّت من أثمن مكونات الغنائم واستعملت فور الحصول عليها لركوب مشاة الجيش. وقد حدث هذا في بعض المناوشات التي سبقت المعركة الحاسمة وبعدها أيضاً[18].

---

(16) مجهول المؤلف، ذكر بلاد الأندلس، مخطوط الخزانة العامة في الرباط، رقم (85ج)، ص84، فتح الأندلس، ص5.

(17) انظر: البيان المغرب: 2/ 9، 13 ـ 14، فتح الأندلس، ص10، أخبار مجموعة، ص10، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة 1973 (برواية ابن القوطية): 1/ 100، نفح الطيب (برواية أحمد بن محمد الرازي): 1/ 260.

(18) البيان المغرب: 2/ 8، وانظر أيضاً: La Cronica del Moro Rasis Memoria Sobre la autenticidad la cronica denominada del Moro Rasis, Memorisas de la real

الخطط السوقية للمعركة:

لا يمكن فصل الخطط السوقية لهذه المعركة عن السوق العربي الإسلامي بشكل عام، الذي استهدف تهيئة الأمة العربية كافة، مع كل امكانياتها المادية والفكرية والبشرية، لتحقيق تحرير العرب، وحمل رسالة السماء إلى الشعوب التي ترزح تحت نير العبودية والتسلط، والحرمان، وعدم التكافل الإجتماعي. ولقد كانت القيادة المركزية المتمثلة بالخلافة الأموية في دمشق تكتفي بتحديد الأهداف والغايات التي لا تخرج عما ذكرناه أعلاه وتصدر الأوامر، وتضع الخطط السوقية العامة. ولهذا نجدها توافق على عملية عبور المسلمين إلى إسبانيا، شريطة اختبار المنطقة بالسرايا. ولكنها تركت تفاصيل الأوامر التنفيذية إلى القائد الأعلى الميداني، وهو موسى بن نصير، الذي خوّل بدوره قائد العملية طارق بن زياد باتخاذ ما يراه مناسباً لنجاح الحملة، وتحقيق النزول الآمن على الشاطئ الإسباني، ومن ثم القضاء على القوة الرئيسة للقوط الغربيين في معركة حاسمة، تصبح بعدها شبه الجزيرة الآيبيرية في متناول القوات العربية الإسلامية.

الخطط التعبوية لتنفيذ المعركة وسيرها وتطورها:

كان في مقدمة الخطط التعبوية لتنفيذ عملية العبور، إرسال طارق بن زياد لقوة استطلاعية لاختبار المنطقة حسبما اشترطت القيادة المركزية. وقد عبرت هذه القوة المضيق في رمضان سنة 91هـ/آب ـ أيلول 710م، بقيادة (أبو زرعة) طريف بن مالك المعافري. وكانت تتألف من أربعمئة من المشاة، ومئة من الفرسان، عبرت على متن أربعة مراكب هيأت من قبل جوليان، ونزلت على جزيرة تسمى لاس بالوماس Las Palomas تقع في

Academia de la historia, VIII, Madrid, 1852, pp. 67 - 68. ابن الشباط، صلة السمط، ص112 ـ 113، نفح الطيب (برواية الرازي): 1/ 260 261.

مقدمة مدينة طريف، على الجانب الإسباني، وهو المكان الذي أطلق عليه فيما بعد اسم قائد هذه الحملة طريف. وقد شن طريف ورجاله سلسلة من الهجمات على الساحل الجنوبي المقابل لسبتة. شمل طريف والجزيرة الخضراء، وغيرها من المناطق التي تقع في الجانب الإسباني من المضيق، وعادوا سالمين، مما يثبت ضعف المقاومة القوطية في المنطقة[19].

وبعد دراسة نتائج حملة طريف الاستطلاعية، قرر طارق المضي في عملية العبور. وكان تخطيطه التعبوي لتنفيذ المعركة يهدف إلى محاولة النزول أولاً في مكان آمن على الشاطئ الإسباني، والحصول على موطئ قدم هناك، ومن ثم السيطرة على الجانب الإسباني من المضيق كله، وبعد ذلك السير باتجاه الشمال، واختيار مكان ملائم للمعركة الحاسمة مع الأعداء.

وفي رجب 92هـ/ نيسان 711م أبحر طارق من مدينة سبتة على رأس المجموعة الأولى التي عبرت إلى إسبانيا، وذلك على متن أربعة مراكب تجارية قدّمها حاكم سبتة جوليان، ولقد كان طارق بطبيعة الحال يمتلك سفنه الخاصة في طنجة، ولكن ظروف عملية الإنزال، والسرية التامة التي رافقتها كانت تتطلب استعمال مراكب تجارية تقلع من ميناء آخر غير طنجة، حيث كان من المؤكد أن هذا الميناء الآخر وضع تحت المراقبة من قبل القوط بعد عملية طريف. ويؤكد كل من ابن عبد الحكم، وابن الكردبوس، والمؤلف المجهول لكتاب (فتح الأندلس)، إقلاع طارق من ميناء سبتة[20]. ويضيف ابن الكردبوس أن هذا الأمر كان بسبب رغبة طارق في إيجاد مكان ملائم

(19) أخبار مجموعة، ص6، فتح الأندلس، ص5، ابن الكردبوس، ص45، الكامل في التاريخ: 4/ 561، البيان المغرب: 2/ 5، الروض المعطار، ص8، 127، نفح الطيب: 1/ 260، 253 ـ 254 (برواية ابن حيان)، ص229 ـ 230، Saavedra Op. Cit. pp. 64.

(20) فتوح مصر وأخبارها، ص205، تاريخ الأندلس، ص46، فتح الأندلس، ص5.

للنزول على الشاطئ الإسباني. ومن المؤكد أن طارقاً استفاد من المعلومات التي قدمها طريف نتيجة حملته الاستطلاعية في السنة السابقة. ولكن المصادر لا تشير إلى اسم المكان الذي أراد طارق النزول فيه أولاً، ومن المحتمل أنه منطقة الجزيرة الخضراء، التي تقابل سبتة، حيث كان هذا المكان، وما زال، هو المعبر الطبيعي القريب المستعمل لغرض الاتصال بين الجانبين، ولكن يبدو أن القوط قد تنبهوا إلى الخطر الكامن في الجانب الآخر. لا سيما بعد عملية طريف، فأكثروا من حراستهم ورصدهم لهذا المكان. وعندما وصل طارق فوجئ بقوة من الأعداء، حاولت أن تمنع نزوله، مما اضطره إلى التخلي عنه والإبحار ليلاً إلى مكان آخر من الشاطئ يتميز بالوعورة، حيث الصخرة التي عرفت باسم جبل طارق.

وقد حاول تسهيل عملية الإنزال على الصخور الوعرة باستخدام المجاذيف وبراذع الخيول التي ألقيت على الصخور للتقليل من خطرها. وبهذه الطريقة حقق إنزالاً آمناً مفاجئاً، دون أن يتوقعه أحد من الأعداء على الشاطئ[21].

وقد اختفت هذه المجموعة في الجبل مع طارق حتى الليلة التالية، حيث رجع طارق بالمراكب لتعود ببقية رجال الحملة، وأشرف هو على عملية النقل من سبتة إلى أن عبرت آخر مجموعة، فعبر معها هو أيضاً. وقد نفذت هذه الحركات في الليل، واستغرقت أكثر من ليلة واحدة، بسبب قلة المراكب التي كانت مستمرة في نقل الرجال بين الشاطئين إلى أن هبط كل أفراد الحملة بسلام على الأرض الإسبانية[22].

(21) تاريخ الأندلس، ص46، وقارن: البيان المغرب: 2/9، حيث يورد ابن عذاري رواية مشابهة لما ذكره ابن الكردبوس عن عبور طارق ونزوله على الصخرة.

(22) انظر: ابن عبد الحكم، ص205 ـ 206، الرقيق، ص74، ابن الشباط (برواية عريب بن سعد)، ص160، البيان المغرب (برواية أحمد الرازي): 2/6، نفح الطيب 1/254، وانظر لمزيد من التفصيلات: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، الإسلامي، في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982، ص163 ـ 164.

وتجدر الإشارة إلى ما يقال عن قيام طارق بن زياد بحرق سفنه بعد نزوله إلى الشاطئ ليقطع على جنوده خط الرجعة، وليحفزهم على الاستبسال في القتال. وكذلك خطبته المشهورة التي يقول فيها: «أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر....»[23]. لقد شك العديد من الكتاب المحدثين في نسبة هذين العملين إلى طارق، لأن معظم المصادر العربية القديمة لا تشير إلى حرق السفن والخطبة. يضاف إلى ذلك، فإن حرق السفن يتناقض مع المبدأ السوقي العربي الأساسي، وهو حماية ظهرهم وتأمين طريق الاتصال المباشر مع قاعدة الانطلاق الأولى، التي هي في هذه الحالة شمال إفريقيا. إن أسطورة حرق السفن لم تدون إلا في القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي، أي بعد عملية العبور بأكثر من ثلاثة قرون. فهي لهذا عرضة لكثير من الريب. أما بالنسبة للخطبة، فإن أسلوبها وفصاحتها لا يشجعان على نسبتها إلى طارق الذي كان من السكان المحليين من شمال إفريقيا. ولا يستبعد أن يكون طارقاً قد ألقى خطبة على جنوده لحثهم على القتال، ولكنها ليست بالتأكيد هذه الخطبة التي لحقها الكثير من الخيال والإضافة والتغيير على يد الكتاب المتأخرين[24].

وبعد استقرار الحملة على جبل طارق، أرسلت كتيبة قوية بقيادة عبد الملك بن عامر المعافري لافتتاح حصن قرطاجنة الذي يقع إلى الشمال الغربي من جبل طارق، ويدعى الآن باسم Torre de Cartagena[25]. وبعد

(23) انظر: ابن حبيب، ص222، نفح الطيب: 1/ 240 ـ 241.

(24) للاستزادة من المناقشات بشأن الخطبة وإحراق السفن، وموقف الكتاب المحدثين منها، انظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1969: 1/ 46، 49، العبادي، دراسات في تاريخ الأندلس والمغرب، ص23 ـ 29، السيد عبد العزيز بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق، 1972، 21 ـ 23، عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، دمشق 1976، ص57 ـ 62.

(25) انظر: ابن القوطية، ص8 ـ 9، فتح الأندلس، ص5، البيان المغرب: 2/ 9، 256

السيطرة على هذا الحصن وقعت كل المناطق المحيطة بمنطقة المضيق بيد قوات طارق، وتولى عبد الملك بن عامر المعافري مسؤولية السيطرة على الجزيرة الخضراء، التي أصبحت قاعدة عسكرية لحماية ظهر الجيش العربي الإسلامي. وقد أقيمت قاعدة أمامية أخرى في منطقة طريف بقيادة طريف ابن مالك المعافري.

وهكذا تحققت الأهداف التعبوية الأولى للإنزال الآمن، والسيطرة على المضيق وحماية مؤخرة القوات المتواجدة في الجانب الإسباني، بالإضافة إلى تأمين خطوط الاتصال مع الجانب الإفريقي، التي كانت على درجة كبيرة من الأهمية، وذلك لغرض وصول الإمدادات المادية والبشرية دون تعرض.

وبعد أن أمّن خطوط مواصلاته زحف نحو الغرب، متخذاً من المرتفعات الجنوبية الساحلية حامياً له من الشمال، كما اتخذ من الجزيرة الخضراء وطريف قاعدتين لحماية مؤخرة جيشه. ومن طريف واصل زحفه باتجاه الشمال حتى اقترب من بحيرة الخندق (لاخاندا) في كورة شذونة، واستمر في سيره حتى أدرك نهر البرباط الذي يخترق البحيرة فعسكر إلى الجنوب منه.

وهكذا نجد أن فكر طارق العسكري قد هداه إلى اختيار هذا المكان الملائم لجيشه قبيل بدء المعركة الفاصلة مع القوط. فقد جعل البحيرة حاجزاً بينه وبينهم. فحمى مجنبته اليمنى بها، ومجنبته اليسرى بجبال سييرا دل رتين والبحر، كما ترك الطريق بينه وبين طريف والجزيرة الخضراء مفتوحاً للامدادات وللتراجع إذا ما اضطرته الظروف لذلك[26].

وهذا يدل على عقلية عسكرية متوقدة، وخطة تعبوية تضع في حساباتها احتمال الخسارة إلى جانب احتمالات النصر.

وقارن. Saavedra, OP. Cit p. 65. p. Madoz, Diccionario geografico-estadistico-historico de Espana y sus podediones de Ultarmar, Madrid, 1848 - 1850. Vol. XV, p.65.

(26) قارن: العبادي، دراسات في تاريخ الأندلس والمغرب، ص31.

وباختيار طارق لهذا المكان يكون قد حدد ساحة المعركة، ولم يترك لخصمه الخيار سوى أن يقاتله في الجبهة التي تلائم خططه التعبوية. ثم ابتدأ بعد ذلك بإرسال العيون والجواسيس لتقصي أخبار ملك القوط، الذي جاء سريعاً من أقصى الشمال الإفريقي إلى إسبانيا، حيث كان مشغولاً بالقضاء على إحدى تمردات الباسك أو البشكنس Basques وكان جيش لذريق كبيراً جداً، حيث قدر عدده بين أربعين إلى مئة ألف رجل، فيهم عدد كبير من الفرسان[27].

وكانت عدة هذا الجيش ضخمة جداً تضم عجلات كثيرة تحمل الأموال والأمتعة والأسلحة، ويبدو أن القوط كانوا واثقين من النصر على جيش طارق، نظراً لقلة عدد المسلمين، فتشير الروايات إلى وجود عدد من الدواب في جيش لذريق لا تحمل سوى الحبال المعدة لشد وثاق الأسرى من المسلمين[28]. ومع ذلك فإن هذا الجيش لم يكن يمتلك الحماس والتماسك الذي كان يمتلكه الجيش العربي الإسلامي، بسبب اختلاف الأسرة المالكة السابقة وأنصارها مع لذريق، ولأن عدداً كبيراً من جند القوط كانوا من العبيد المجندين بالإكراه[29].

وعندما علم طارق بضخامة الجيش القوطي الزاحف نحوه، أرسل إلى القائد العام في شمال إفريقيا بطلب الامدادات، وأخبره بنجاح عملية العبور، والاستيلاء على الطرف الجنوبي من إسبانيا والبحيرة، فوجه إليه موسى بخمسة آلاف من خيرة جنده، فيهم عدد كبير من الفرسان. وهكذا اكتمل عند طارق نحو اثني عشر ألف جندي. وقد عبرت هذه الامدادات إلى

(27) انظر: ابن حبيب، ص222، الكامل في التاريخ، 4/ 562، أخبار مجموعة، ص7، ابن الكردبوس، ص47، ابن خلدون، العبر: 4/ 254، نفح الطيب، 1/ 257.

(28) انظر: ابن حبيب، ص222، ابن الكردبوس ص47.

(29) أخبار مجموعة، ص8، نفح الطيب: 1/ 257 ـ 258 وانظر أيضاً: Thompson, Op. Cit pp. 265 - 267.

الجانب الإسباني في سفن عربية[30]، بِحُريّة وأمان نظراً لسيطرة قوات الجيش العربي الإسلامي على جانبي المضيق.

ولما وصل جيش القوط، لم يكن له الخيار إلا أن يعسكر إلى الشمال من وادي البرباط أمام قوات طارق، وذلك جنوب مدينة شذونة، بجوار قرية فيخير دي لافرونتيرة[31] وقد التقى الجيشان يوم الأحد 28 رمضان سنة 92هـ (19 تموز 711م) ودارت بينهما معركة استمرت ثمانية أيام. وكان طارق قد قدم جنده من السود، الذين أشرنا إليهم سابقاً، بين يدي جيشه، ليتلقوا بما عرف عنهم من الصبر والثبات صدمة الجيش القوطي الأولى. وكان لهؤلاء أثر عظيم على معنويات القوط الذين فزعوا من صورهم الهائلة، وجرأتهم، وشجاعتهم في القتال[32].

وقد أظهر فرسان القوط ثباتاً في أول المعركة، لكن ضغط الجيش العربي الإسلامي، أدى إلى تراجع جناحا الجيش القوطي، فانكشف قلب الجيش، وانهار خط دفاعه، واضطر إلى التراجع، وقد اضطرب نظامه، ولاذ من بقي منه بالفرار. وقد قسم طارق جيشه إلى مجموعات متعددة لملاحقة ومطاردة القوات القوطية التي فقدت اتزانها، وانهزمت باتجاهات مختلفة، نحو البحيرة، أو نحو وادي لكة، أو نحو وادي شريش Jerez، أو نحو السواقي، أو السواني، والمستنقعات، وغيرها من الأماكن التي تزخر بها المنطقة. وقد قتل عدد كبير جداً من القوط، ولكن لم يعثر على أثر للذريق، ومن المحتمل أنه غرق في النهر[33]. أما قوات طارق، فقد استشهد منها نحو ثلاثة آلاف رجل[34]، مما يشير إلى ضراوة المعركة وشدتها.

---

(30) أخبار مجموعة، ص7: نفح الطيب: 1/ 257.

(31) Saavedra Op, Cit p. 68.

(32) انظر: فتح الأندلس، ص5 ـ 6.

(33) ابن حبيب، ص222، أخبار مجموعة، ص7، ابن الكردبوس، ص47، نفح الطيب: 1/ 258.

(34) ابن الشباط (برواية عريب بن سعد)، ص107، نفح الطيب (برواية أحمد الرازي): 1/ 259.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والبحوث التي كتبت بشأن هذه المعركة، فإن موقعها الدقيق غير معروف تماماً[35]. ولا يمكن الجزم في ضوء المصادر المتيسرة، فيما إذا كانت قد حدثت شمال نهر البرباط أم جنوبه. ولكن معركة واسعة النطاق كهذه، عرفت بأسماء مختلفة، مثل معركة البحيرة، ووادي لكة، ووادي بكة، ووادي البرباط، وشريش، والسواقي، والسواني، لا يمكن أن تحدث في مكان محدد واحد بل من المحتمل أنها دارت وتشعبت في كل هذه المناطق التي تقع فعلا في كورة شذونة جنوب غرب إسبانيا. فهذه المعركة في الحقيقة هي معركة كورة شذونة بأسرها[36].

الدروس والاستنتاجات المستنبطة من عملية العبور والمعركة

إن عملية عبور مضيق جبل طارق والإنزال على البر الإسباني، تعد من أروع العمليات العسكرية في التاريخ العسكري العربي. وهي دليل على قدرة القيادة العربية الإسلامية ونبوغها في هذا المجال، ويمكن أن نشير إلى بعض الاستنتاجات:

1 ـ أظهرت العملية التنظيم الرائع والتعاون البناء بين القيادة العليا في القيروان وساحة العمليات، أو جبهة القتال على جانبي المضيق.

2 ـ دقة التخطيط السوقي للعملية، الذي انتهى بوقوع شبه الجزيرة الآيبيرية في يد القوات العربية الإسلامية في مدة أربع سنوات تقريباً، وهي فترة قصيرة جداً بالقياس إلى اتساع البلاد وطبيعتها الجغرافية الصعبة.

---

(35) انظر على سبيل المثال: Saavedra, Op. Cit, pp. 68. 69. 99 - 102 Levi-Provencal, Op. Cit, Vol. I. P. 20 - 21 c. Sanchez-Albornoz, Otra vez Guadalete y covodonge cuadernos de Historia de Espana, I-II, 1944, PP. 12 - 42, 56 - 58 حسين مؤنس، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 18، 1974 ـ 1975، ص91 ـ 93، 124.

(36) انظر: العبادي، المرجع السابق، ص35.

3 ـ حكمة القائد طارق بن زياد، وتروِّيه، وعدم اندفاعه، وتخطيطه التعبوي الفعال الذي درس كل الظروف المحيطة بالعملية، وضمن لها النجاح. ويبدو من المدة التي انقضت بين حملة طريف الاستطلاعية، وعبور الحملة التي قادها طارق بن زياد، وهي نحو سنة تقريباً، أن التخطيط كان مدروساً بشكل تفصيلي كبير، وأن العملية لم تأت كمجرد مغامرة عسكرية قد تنجح أو تفشل، بل كانت نتيجة خطة محكمة، ضمنت الفوز والانتصار واستعدت له بحسن الإعداد والتنظيم.

4 ـ ومن الأدلة الرائعة على حنكة القائد طارق ونبوغه العسكري، اختياره الموفق لميناء العبور، أي سبتة حيث لا يتوقع الأعداء أن يبحر من هناك، لأن مقره كان في طنجة. كذلك اختياره للمراكب التجارية واستخدامها للعبور بدلاً من السفن الحربية العربية التي كانت لدى الحامية في طنجة. يضاف إلى هذا، النزول في جهة وعرة من الشاطئ الإسباني، حيث تقل المراقبة، وتنعدم احتمالات الإنزال في هذا المكان. ولهذا يمكن القول أن عنصر المفاجأة كان متوفراً في هذه العملية بشكل كبير جداً، لا سيما إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار، أن عمليات الإنزال تمت جميعاً تحت جنح الظلام.

5 ـ إن اختيار الصخرة ـ أي جبل طارق ـ والاستيلاء عليها، ومن ثم ضرب القوة القوطية المتمركزة إلى الشمال الغربي منها في حصن قرطاجنة، وكذلك السيطرة على ميناء الجزيرة الخضراء، وبلدة طريف، وإقامة قواعد عسكرية فيهما، يدل دلالة قاطعة على قدرة التخطيط التعبوي الذي اتبعه طارق. فقد ضمنت هذه الإجراءات سيطرة عربية إسلامية كاملة على منافذ العبور بين البرَّين الإسباني والإفريقي، وأقامت جسراً متيناً بينهما. مما سمح بحريَّة العبور والاتصال ووصول الإمدادات إلى قوات طارق دون تعرضها للخطر. وفي الوقت نفسه أمَّن للحملة العابرة خطَّ الرجعة في حالة الانسحاب. وبهذا فقد استكمل طارق كل عناصر التخطيط التعبوي الجيد، لأن الانسحاب

المدروس هو فرع من فروع التعبئة.

6 ـ إن القائد الجيد هو الذي يحدد المكان والزمان الملائمين له. وقد نجح طارق بن زياد في هذا الأمر، حيث اختار المكان، وتوجه إليه، واضطر خصمه إلى أن يقطع شبه الجزيرة الآيبيرية من الشمال إلى الجنوب الغربي لينازله في هذا المكان. وكان بإمكان طارق أن يتوغل في داخل إسبانيا ويصل إلى عاصمة القوط، طليطلة، حيث كان لديه الوقت الكافي، لا سيما وأن لذريق قد غادرها إلى الشمال الشرقي، كما أشرنا إلى ذلك، ولكن طارق بن زياد بقي في موضعه، وأمضى نحو ثلاثة أشهر بعد عبوره إلى الجانب الإسباني، وهو يستعد للمعركة الفاصلة، وينتظر قدوم القوة الرئيسة للقوط إلى الموقع المناسب لتحقيق النصر.

وقد حدد طارق فصل الربيع للعبور، فتم الإنزال في نيسان، حيث يعتدل المناخ، وتقل برودة الجو، وكانت أمامه شهورٌ كثيرة قبل حلول موسم البرد القادم. وبالفعل تمت المعركة في شهر تموز من العام نفسه، واستطاع بعد ذلك أن يصل إلى عاصمة القوط ويستولي عليها مع حلول الشتاء.

7 ـ ويبدو أن تركيز القائد طارق قبل عملية العبور وبعدها كان منصباً على خوض معركة حاسمة واحدة، لأن طبيعة البلاد وطوبوغرافيتها كانت لا تسمح بتشتيت القوة المهاجمة، لأن معنى ذلك ضياع هذه القوة، وعدم تحقيق أي انتصار عسكري شامل، فكان التخطيط التعبوي للقائد طارق ينصبُّ على هذا الأساس، أي العبور المفاجئ السريع، والحصول على موطئ قدم للجيش العابر، ومن ثم جر القوط إلى معركة فاصلة، تصبح البلاد بعدها ساقطة من الناحية العسكرية. وهذا ما حدث فعلاً، فإن المعارك التالية لمعركة شذونة، كانت في الحقيقة مجرد مناوشات بسيطة، وملاحقات للفلول المهزومة من المعركة الأولى. ولم تجابه القوات العربية الإسلامية بعد ذلك بمقاومة فعلية في معظم المناطق والمدن التي مرت بها.

8 ـ وأخيراً إن نجاح القائد طارق في عملية العبور والانتصار في معركة شذونة جاء نتيجة التعاون الفعال بين العرب والسكان المحليين في شمال إفريقيا، الذين اعتنقوا الإسلام، وآمنوا برسالته التي حملها العرب، تلك الرسالة التي أضاءت لهذه الشعوب دروب الحرية، وخلصتهم من العبودية والجهل.

إن هذا الالتحام المقدس الذي وحَّد بين أروع العبقريات العسكرية الإسلامية المتمثلة بموسى بن نصير وطارق بن زياد، خلق هذا الانتصار العسكري الذي ترك أثره على شبه الجزيرة الآيبيرية على شكل حضارة إنسانية باهرة استمرت مزدهرة ثمانية قرون، وظلت آثارها المادية والمعنوية شاخصة إلى اليوم تشهد برفعة وعظمة الفكر العربي الإسلامي.

جريدة المصادر والمراجع

(أ) المصادر الأولية

* ابن الأبار، محمد بن عبد الله
1 ـ الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، 1963.
* ابن الأثير، عز الدين، علي بن أبي الكرم.
2 ـ الكامل في التاريخ، بيروت 1979.
* ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني
3 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المجلد الرابع، القسم الأول، القاهرة، 1945.
* ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي
4 ـ استفتاح الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات، الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، 1957، ص211 ـ 243.
* الحميري، محمد بن عبد الله
5 ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1938.
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد
6 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، جـ1، القاهرة، 1973.
* ابن خلدون، عبد الرحمن
7 ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1961.
* الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم

8 ـ تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968.
* ابن الشباط، محمد بن علي
9 ـ صلة السمط وسمة المرط، تحقيق، أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع عشر، 1967 ـ 1968، ص99 ـ 163.
* ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله
10 ـ فتوح مصر وأخبارها، نشر، تشارلس توري، نيوهيفن، 1922.
* عبيد الله بن صالح، عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم.
11 ـ نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1954، المجلد الثاني، ص193 ـ 239.
* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد
12 ـ البيان المغرب، جا و2، نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948.
* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر
13 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926.
* ابن الكردبوس، عبد الملك
14 ـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس)، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثالث عشر. 1965 ـ 1966، ص41 ـ 126.
* الكندي، محمد بن يوسف
15 ـ الولاة والقضاء، بيروت، 1908.
* مجهول المؤلف
16 ـ أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867
* مجهول المؤلف
17 ـ ذكر بلاد الأندلس، مخطوط الخزانة العامة في الرباط رقم (85ج).
* مجهول المؤلف
18 ـ فتح الأندلس، نشر دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889
* المقري، أحمد بن محمد
19 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، 1968.

(ب) المراجع الثانوية:

* بدر، أحمد بدر

20 ـ دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق. 1972.

* الحجي، عبد الرحمن علي

21 ـ التاريخ الأندلسي، دمشق، 1976.

* سالم، السيد عبد العزيز

22 ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، 1962.

* طه، عبد الواحد ذنون

23 ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982

* العبادي، أحمد مختار

24 ـ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1968.

* عنان، محمد عبد الله

25 ـ دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1969، ج1.

* مؤنس، حسين مؤنس

26 ـ رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثامن عشر، 1974 ـ 1975، ص79 ـ 130.

27 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.

المراجع الأجنبية

28 - La Cronica del Moro Rasis, ed;P.Gayangos «Memoria Sobre La autenticidad de la cronica donominda del Moro Rasis», Memorias de la real Academia de la historia, VIII, Madrid, 1852, pp. 67 - 100.

* Levi-Provencal, Evariste

29 - Histoire de l'espagne Musulmane, Paris-Leiden, 1950

* Madoz, Pascual.

30 - Diccionario geografico-estadistic-historic de Espana y sus posesiones de ultermar, Madrid, 1848 - 1850.

* Saavedra, Edwardo.

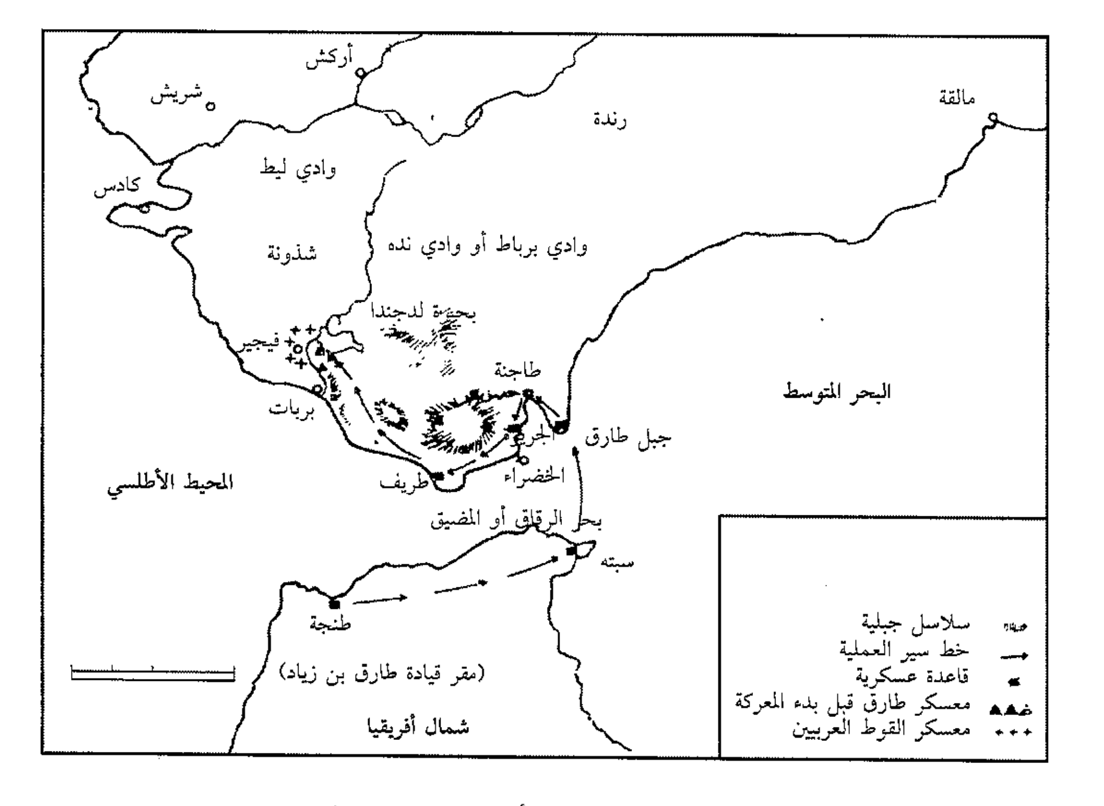
Estodio sobre la Invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892.

* Sanchez-Albornoz, Claudio

32 - «Otra Vez Guadalete y Covadonga», Cuadernos de Historia de Espagne, I-II, 1994, pp. I -II4.

* Thompson, E.A.

33 - The Goths in spain, Oxford, 1969.



عملية عبور طارق بن زياد إلى الأندلس ومعركة كورة شذونه

تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية
في الأندلس في العصر الأموي



تمهيد

اهتم الكثير من الباحثين بدراسة التاريخ العسكري العربي في مختلف العصور الإسلامية. لما لهذا التاريخ من أهمية كبيرة في الكشف عن جوانب مشرقة من الحضارة العربية الإسلامية. وكتبت فيه بعض الرسائل الجامعية المتخصصة، وعدد من الدراسات العامة العديدة[1]. ولكن يلاحظ أن الغالبية العظمى من هذه الدراسات والبحوث ركزت على تنظيمات الجيش، وفن المعارك والحروب في المشرق. أما عن المغرب العربي الإسلامي، لا سيما الأندلس، فلا نجد هذا التنوع في الدراسات العسكرية وإنما يأتي الحديث عن الجيش عادة ضمن موضوعات التاريخ الأندلسي العامة، فالذي

---

(1) انظر على سبيل المثال: خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني، (أطروحة ماجستير، جامعة بغداد، 1971)، خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، بغداد، 1984، نعمان ثابت، الجندية في الدولة العباسية بغداد 1939، عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر، 1961، بسام العسلي، فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، جزءان، دار الفكر، بيروت، 1974، ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973، أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت، 1977، أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، دار النفائس، بيروت، 1982، حازم إبراهيم العارف، الجيش العربي الإسلامي، دار الرشيد للنشر، والتوزيع، الرياض 1405هـ.

يتحدث عن فتح الأندلس يوضح تشكيل القوات التي دخلت مع كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير، والمعارك التي خاضتها لإنجاز الفتح. والأبحاث عن عصر الولاة، تطرقت إلى تنظيمات أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي في توزيع القوات الشامية على الكور المجندة. والدراسات عن عصري الإمارة والخلافة أشارت إلى بعض المعلومات الخاصة بالجيش والحروب والحملات العسكرية، بقدر ما يتعلق بسير الأحداث السياسية الداخلية والخارجية للأندلس.

وقد حاول بعض الباحثين التركيز على جوانب خاصة في التنظيم العسكري الأندلسي، لا سيما في مجال البحرية[2]. أما الجيش فلم يحظ بدراسة خاصة باللغة العربية. وتجدر الإشارة هنا إلى ما كتبه ليفي بروفنسال ضمن دراسته العامة عن (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، فقد خصص في الجزء الثالث صفحات عديدة للتنظيم العسكري في الأندلس[3]. ولكن اهتمامه لم يكن منصباً على إصدار دراسة متكاملة عن الجيش في العصر الأموي وإنما ركز على إمكانيات الدفاع والمواجهة مع القوى الإسبانية المتعددة لا سيما في عصر الخلافة. يضاف إلى هذا صعوبة اطّلاع القارئ العربي على الكتاب نظراً لندرته وعدم ترجمته إلى اللغة العربية إلى حين كتابة هذا البحث.

إن هذه العوامل دفعتني إلى محاولة دراسة تنظيمات الجيش الأندلسي في العصر الأموي دراسة علمية قائمة على الاعتماد على المصادر الأولية الأصلية. فحاولت التوصل إلى نشوء الجيش الأندلسي. ولهذا كان لا بد من الرجوع إلى البداية الأولى لوجود المسلمين على أرض شبه الجزيرة

---

(2) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الأندلس والمغرب، الإسكندرية، 1968، ص246 ـ ص401، وانظر أيضاً: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1970.

(3) E.Levi-provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, paris, 1967, Vol III, PP. 55 - 117.

الأيبيرية، وكيف تطورت التنظيمات العسكرية الأولى مع الزمن، وحسب العصور التي مرت بالأندلس. إن عملية الرجوع إلى البداية ضرورية للتعرف على العناصر الأولى المكونة للجيش لأنها هي الأساس. أما بقية العناصر والتعديلات التي كانت تطرأ على تنظيم الجيش، فكانت كلها تدور حول محور العناصر الأولى، أي العرب والبربر، فكان هذان العنصران الأساسيان ذوي فعالية في الحياة الأندلسية، وظلا قوة كبرى إلى نهاية العصر الأموي في الأندلس.

الطلائع العسكرية الأولى

بعد إنجاز عملية فتح الأندلس، وفي أوائل عصر الولاة، كانت القوات التي وقع عليها عبء المحافظة على ديمومة الفتح واستمراره تتألف من رجال القبائل العربية والبربرية التي رافقت كلا من موسى بن نصير وطارق بن زياد... وقد استقر هؤلاء في الأندلس على طول الطريق التي سلكتها الحملات العسكرية لكل من القائدين المذكورين. وسمي هؤلاء الرجال بالبلديين، لأنهم أصبحوا يعدّون أنفسهم أهل البلد ومالكيها[4]. وأطلق على العرب منهم، لا سيما أولئك الذين جاءوا مع موسى بن نصير، اسم طالعة موسى بن نصير[5].

وكان عدد الجميع حسبما تقدره الروايات يصل إلى ثلاثين ألف رجل، دخل اثنا عشر ألفاً منهم مع طارق[6]. وثمانية عشر ألفاً دخلوا مع

(4) ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978، ص26. وانظر أيضاً: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982، ص211.

(5) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، 1963، 1/ 63.

(6) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غويه، ليدن 1879 ـ 1901، 1/ 1235، الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص74،

موسى[7] ويضاف إلى هؤلاء عدد كبير جداً من البربر الذين جاءوا من شمال إفريقيا بعد سماعهم بنبأ الانتصار الكبير الذي حققه طارق بن زياد على القوط الغربيين. ولا توجد إحصائيات بأعداد هؤلاء. ولكن يبدو أن عددهم كان كبيراً جداً، كما تشير إلى ذلك رواية الرازي[8]، وإنهم عبروا المضيق بكل ما وقعت عليه أيديهم من قوارب ومراكب.

وقد استمر الحال على هذه الشاكلة إلى أن وفدت إلى الأندلس قوة أخرى كبيرة تتألف من عشرة آلاف رجل بقيادة بلج بن بشر القشيري ويسمون بالطالعة البلجية، أو الشاميين لأن معظمهم ينتمي إلى القبائل العربية في بلاد الشام[9] وقد أجبرت تطورات الأحداث الحاسمة في شمال إفريقيا هؤلاء الجند إلى الالتجاء إلى الأندلس بعد هزيمتهم أمام البربر سنة 124هـ/ 741م.

وشعرت الخلافة الأموية بضرورة بقاء هؤلاء الشاميين في الأندلس لحمايتها، فكلفت واليها على الأندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار (125 ـ 127هـ/ 742 ـ 744م) بالعمل على إيجاد جو مناسب لاستقرارهم في البلاد. وقد قرر أبو الخطار أن يمنح الشاميين إقطاعات من الأرض في مناطق معيَّنة من الأندلس، تحت إمرة رؤسائهم، وتحرى أن يكون استقرار كل مجموعة في مكان يحمل بعض الشبه للجند الأصلي الذي كانت تنتمي إليه في بلاد

مجهول، فتح الأندلس، نشر: خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889، ص9 (برواية ابن حبيب)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1979، 4/ 556 ابن عذاري، البيان المغرب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب، نشر كولون وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، 2/ 9، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968: 1/ 230 ـ 231، 254 (برواية ابن بشكوال).

(7) مجهول، أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي، القنطرة، مدريد، 1867، ص15: فتح الأندلس، ص10، نفح الطيب (برواية ابن حيان): 1/ 269، البيان المغرب: 2/ 13.

(8) أوردها المقري في نفح الطيب: 1/ 259.

(9) اللمحة البدرية ص26، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973: 1/ 102.

الشام، وهكذا استقر الشاميون في المناطق الآتية:

جند دمشق في البيرة Elvira

جند حمص في أشبيلية Sevilla ونبله Niebla

جند قنسرين في جيان Jean

جند فلسطين وزع بين شذونة Sidonia والجزيرة الخضراء Algeciras

جند الأردن في رية Raiyo

جند مصر وزع بين أكشبونية (Faro) Ocsonba وباجة Beja وكذلك في تدمير (محافظة مرسيه الحالية Murcia)[10].

وقد دعيت هذه المناطق باسم الكور المجندة[11]، كما أطلق اسم الجندين على طالعتي موسى بن نصير وبلج بن بشر[12]. وكانت مهمة الجندين هي المحافظة على البلاد والاستعداد للدفاع عنها في حالة الخطر، لا سيما الجند الشامي، الذي كان استقراره في الكور المجندة يمثل نوعاً من الإقطاع العسكري، ليكون رجاله جاهزين للقتال وقت الحاجة[13].

ويلاحظ على تجمع القوات العربية والبربرية في الأندلس إن التنظيم

---

(10) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر خوليان رايبيرا، مدريد 1926، ص20، أخبار مجموعة، ص46، العذري، نصوص عن الأندلس، من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965، ص1، 95، 110، الكامل في التاريخ: 5/ 273، 491، الحلة السيراء: 1/ 61 ـ 63، ابن غالب، كتاب فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد الأول، القسم الثاني، القاهرة، 1955 ـ 1956 ص283، البيان المغرب، 2/ 33، الحميري صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر: ليفي بروفنسال القاهرة، ليدن، 1938، ص21، 29، 36، 79، 100، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/ 102 ـ 104، ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1961: 4/ 259 ـ 260، نفح الطيب: 1/ 237.

(11) الروض المعطار، ص21، 36، 100.

(12) الحلة السيراء، 1/ 64.

(13) الإحاطة في أخبار غرناطة: 1/ 102 ـ 103.

القبلي كان هو السائد، حيث استقرت كل قبيلة مع ما يتبعها من عشائر في مناطق خاصة بها، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى أن الجيوش التي دخلت الأندلس كانت تتألف بالأصل من مجموعات عديدة من القبائل العربية والبربرية التي انتظمت في معظم الأحيان تحت قيادة زعمائها. وهكذا أصبح في الأندلس أماكن خاصة بكل قبيلة تسمى باسمها، مثل جزء البكريين، وجزء اللخميين، وجزء خشين، وإقليم همدان، وإقليم بني أسد، وإقليم كنانة، وإقليم زناتة، وجزء مصمودة، وإقليم لماية[14].

التنظيمات العسكرية والعناصر المستحدثة بعد قيام الإمارة الأموية

ظل البلديون والشاميون يشكلون القوة الأساسية الدفاعية في الأندلس في أعقاب الفتح واستمروا يحتفظون بهذه الميزة لمدة طويلة بعد قيام الإمارة الأموية، وحتى زمن الخلافة. وكان الأمراء والخلفاء الأمويون يعقدون الألوية الغازية من هؤلاء الجند باستمرار. فكان هناك لواء غازياً، وآخر مقيماً للشاميين يستبدلان كل ثلاثة أشهر. وكذلك كان الأمر للبلديين لكن ألويتهم تستبدل كل ستة أشهر وكان الشاميون مفضلين على البلديين، وكان الكتبة وموظفي الديوان منهم خاصة لأنهم، كما ذكرنا آنفاً، كانوا معدِّين للقتال، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال السكان الأصليين التي كانت بأيديهم[15]. وكانت مراتب الجند الشاميين في التقدم أيضاً معروفة، فلواء جند دمشق، وهم أهل كورة البيرة يأتي ضمن أول الألوية في الميمنة، يتبعه لواء جند حمص، أي أهل كورة اشبيلية ومعهم أيضاً الجند النازلين في لبلة. ويتبعهم جند قنسرين، وهم أهل كورة جيان. ويأتي بعد هؤلاء في الترتيب

---

(14) العذري، نصوص عن الأندلس ص20، 90، 92، 120، الحميري، الروض المعطار، ص170، ولزيادة التفاصيل عن موضوع استقرار العرب في الأندلس راجع طه، الفتح والاستقرار الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، الفصل الرابع، ص203 ـ 328.

(15) الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/ 104 ـ 105.

لواء جند فلسطين أي أهل كورتي شذونة والجزيرة الخضراء فكانوا في الميسرة، ويتبعهم لواء جندي الأردن، وهم كورة رية، ومصر وهم أهل كورة باجة(16).

وقد استفاد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138 ـ 172هـ/ 755 ـ 756 ـ 788م) المعروف بالداخل من هذه الكور المجندة، لا سيما اليمانيين منهم، فشكل فور وصوله إلى البر الإسباني قوة تنامت بسرعة، حتى وصلت إلى نحو ثلاثة آلاف فارس في اشبيلية، ومن هذه المدينة «كتب الأمير عبد الرحمن الكتائب وعبأ الأجناد. . . »(17)، لقتال آخر ولاة الأندلس، يوسف ابن عبد الرحمن الفهري.

وكان جيشه يضم عنصرين أساسيين، وهما العرب والبربر. فعيَّن على الفرسان الشاميين عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، وعلى المشاة اليمنيين بلوهة اللخمي، كما عيّن على المشاة البربر وموالي بني أمية عاصم بن مسلم الثقفي، وأعطى قيادة فرسان البربر إلى رجل منهم، وهو إبراهيم بن شجرة البرنسي(18).

ابتدأ عبد الرحمن بعد انتصاره على يوسف الفهري، وتوليه إمارة الأندلس سنة 138هـ/ 755 ـ 756م بالتفكير في إجراء تنظيمات عسكرية جديدة تلائم النظام الجديد وتحميه. وقد دفعته إلى ذلك عوامل عديدة، منها عدم اطمئنانه إلى بعض الأجناد القديمة، لا سيما وأن أحدها، وهو جند باجة تمرد عليه بقيادة زعيمه العلاء بن مغيث اليحصبي. فألغى عبد الرحمن هذا الجند من الديوان، وحذف لواءه(19). كذلك خشي من نفوذه زعماء القبائل

---

(16) ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965، ص57. العذري، نصوص عن الأندلس، ص95، الحميري، الروض المعطار، ص21، 36.

(17) البيان المغرب: 2/ 46.

(18) المصدر نفسه: 2/ 47، أخبار مجموعة، ص87. فتح الأندلس، ص54.

(19) الحميري، الروض المعطار، ص26.

اليمانية، بعد ان اكتشف خطتهم للتخلص منه في الساعات الأولى بعد انتصاره على الوالي السابق، فقتل زعيمهم أبا الصباح يحيى اليحصبي. ولهذا ابتدأ بإنشاء قوة أخرى يمكن أن يعتمد عليها في مواجهة عصيان وتمرد القوات العربية القائمة على التنظيم القبلي.

فأمر بشراء المماليك واستقدام البربر من شمال إفريقيا. وعاملهم معاملة حسنة جداً، مما شجع المزيد منهم على العبور إلى الأندلس والخدمة في جيوشه. وتبالغ المصادر في عدد هؤلاء، فتذكر أنه بلغ نحو أربعين ألف رجل[20]. ويقال إن أحد الأمراء الأمويين هو الذي أشار على عبد الرحمن باصطناع البربر العبيد[21]. وقد يكون هذا الخبر صحيحاً، ولكن يبدو أن سياسة عبد الرحمن هذه لم تأت بصورة ارتجالية، إنما جاءت نتيجة لخطة مدروسة حاول تنفيذها حال تسلُّمه منصب الإمارة في الأندلس. وقد استحدث عبد الرحمن أيضاً عرافة سميت بعرافة السود لضم العبيد الذين يشترون. وكان القوات في عهده تتألف من صنفين فقط، هما الفرسان والرجالة. وهكذا نجد أن بداية تنظيم الجيش، وإدخال قوات نظامية فيه ابتدأت منذ عهد مؤسس الحكم الأموي في الأندلس، أي عبد الرحمن الداخل، واستمرت هذه السياسة في عهد حفيده الحكم الأول بن هشام[22].

ثم توسع الحكم الأول (180 ـ 206هـ/ 796 ـ 821م) في هذه السياسة،

(20) فتح الأندلس، ص66 ـ 67، أخبار مجموعة، ص108 ـ 109، نفح الطيب: 3/ 36 ـ 37: وقارن، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت، 1981، 1/ 2، إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، بيروت، 1978 ص 211؛ ابراهيم ياس خضر الدوري، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، بغداد، 1982، ص249.

(21) ابن سعيد المغربي وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1964، 1/ 60.

(22) قارن: خليل إبراهيم صالح السامرائي، التعبئة العسكرية الإسلامية في الأندلس، مجلة مكتبة زانكو، العدد الثاني، تموز 1977، ص40، حيث يشير إلى عدم وجود جيش نظامي في الأندلس قبل أيام الحكم بن هشام.

ويبدو أن والده الأمير هشام بن عبد الرحمن (172 ـ 180هـ/ 788 ـ 796م) قد حاول هو الآخر السير بهذا الاتجاه. ولدينا إشارة مقتضبة عن هذا ذكرها المؤرخ ابن حيان[23]، حين أشار إلى وجود فرقة من الحرس الخاص للأمير الحكم معظمهم من فيء أربونة Narbonne ورثهم عن والده هشام. وتشير المصادر إلى اهتمام الحكم الأول باتخاذ المماليك من المرتزقة، حيث بلغ عددهم نحو خمسة آلاف رجل، منهم ثلاثة آلاف فارس، وألفا راجل. وكانوا يسمون بالخرس لعدم معرفتهم باللغة العربية[24]. وقد استخدمهم بشكل خاص لحراسة قصره، ليكونوا قوة للطوارئ تتولى القضاء على الحركات المناوئة للسلطة بسرعة. وقد أشار المؤلف المجهول لكتاب (أخبار مجموعة) إلى وجود ألفي فرس مرتبطة على شاطئ النهر إزاء قصر الأمير، في دارين على كل دار عشرة عرفاء يشرفون على هذه القوة لتكون معدَّة لما عسى أن يطرأ من أحداث تستوجب المعالجة السريعة[25]. وقد سار الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 ـ 238هـ/ 821 ـ 852م) على سياسة أبيه الحكم في الاحتفاظ بهذه القوة فابتاع أنصبة إخوته من مماليك أبيه «العجم» واستخدمهم للحراسة والمرابطة على باب القصر[26].

وكان يطلق على هذه القوة الجديدة من المماليك العجم أو الخرس،

---

(23) «المقتبس في تاريخ أهل الأندلس» مجموعة أوراق مخطوطة من السفر الأول تشمل حوادث سنة 180 ـ 231هـ/ (ص106) عثر عليها المستشرق ليفي بروفنسال، ونقل عنها محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، القاهرة 1969: 1/ 249 ـ 250. وقد فقدت هذه الأوراق في الوقت الحاضر.

(24) ابن خلدون، العبر، 4/ 127، المغرب في حل المغرب: 1/ 39، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، غرناطة، 1917، ج22،القسم الأول، ص41، نفح الطيب: 1/ 338 ـ 339، 1/ 340، 1/ 341 ـ 342.

(25) أخبار مجموعة، ص129 ـ. 130، نفح الطيب: 1/ 342، وانظر: البيان المغرب: 2/ 79 حيث يشير إلى وجود ألف فارس فقط.

(26) مخطوط (المقتبس) المشار إليه آنفاً، ص145، نقلاً عن: عنان، دولة الإسلام في الأندلس: 1/ 277.

أيضاً اسم الصقالبة والفتيان. وكانوا من سبي الحروب، ومن الرقيق الذي يأتي به تجار اليهود من بلاد بلغاريا العظمى التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي[27]. وقد توسع العرب في استخدام لفظ الصقالبة فأطلقوه على أرقّائهم من أية أمة. وقد سمي هؤلاء الفتيان أيضاً باسم العلوج، والمجابيب، والخلفاء[28]. وكان الأمراء الأمويون يستخدمون هؤلاء المماليك في مجالات عديدة، فقد أرسلوا مثلاً للقضاء على بعض الاضطرابات خارج العاصمة قرطبة Cordoba[29]، أو كانوا يرافقون الولاة حين ينتدبون لتولي مناصبهم[30]. وقد اصطفى منهم الأمير عبد الله بن محمد (275 ـ 300هـ/ 888 ـ 912م) قوة سميت برماة المماليك، كانت مهمتها رشق النبال لحراسة سرادق الأمير[31]. ثم ازداد نفوذ هؤلاء الفتيان بمرور الزمن، وأصبحوا يشغلون وظائف كبيرة في القصر والدولة. وبلغ بعضهم مبلغاً كبيراً من القوة، كما يشير إلى ذلك العذري[32]، فتجرأ أحدهم وهو عبد الله بن محمد وكان هذا المتمرد يعمل سراً مع المولدين في أشبيلية للقيام معهم على الأمير، مما يكشف دور هؤلاء التآمري واستعدادهم لمعاداة السلطة. ومع ذلك فقد استخدمهم الأمراء والخلفاء في الإدارة والجيش للحدّ من نفوذ الزعماء العرب فكانوا يقودون الحملات والجيوش للقضاء على الفتن الداخلية، وهجمات النورمان في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[33]. وكان الفتى (دريّ) على سبيل المثال، الرئيس الأعلى للشرطة، و(أفلح)

(27) ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص106.

(28) البيان المغرب: 3/ 163، نشر: ليفي بروفنسال، باريس، 1930، وانظر: أحمد مختار العبادي، الصقالبة في إسبانيا، مدريد، 1953، ص8 ـ 9.

(29) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت 1973، ص6.

(30) نصوص عن الأندلس، ص30.

(31) المقتبس، نشر: ملشور أنطونيا، باريس، 1937، ص94.

(32) نصوص عن الأندلس، ص104 ـ 105.

(33) البيان المغرب: 2/ 84، 87.

صاحب الخيل، و(قند) حاكم قرطبة، في عهد عبد الرحمن الناصر (سنة 336هـ ـ 947م). وكان الفتيان رؤساء للحرس في قصر الخليفة، وهم أصحاب الخلوة مع الناصر، وبيدهم القصر السلطاني[34]. وبلغ عدد الفتيان الصقالبة بمدينة الزهراء فقط حين وفاة الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلاً[35].

واستمر الحكم المستنصر (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م) بالاهتمام بهؤلاء الفتيان والاعتماد عليهم، فعهد للأكابر منهم بمناصب رفيعة، مثل فائق النظامي صاحب البرد والطراز، وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة وإلى هذين الاثنين كان أمر الغلمان الفحول خارج القصر[36]. وعلى الرغم من مرور وقت طويل على وجود هؤلاء الفتيان في الأندلس، يبدو أن قسماً منهم ظلوا يجهلون اللغة العربية، لهذا كانوا يعرفون حتى عهد المستنصر بالتسمية القديمة «الفرسان الخرس»[37] مما يشير إلى احتفاظ الكثير منهم بلغته الخاصة، وعدم امتزاجه بالسكان، وإلى استمرار تدفق عدد كبير منهم إلى البلاد. وكان رؤساء هؤلاء الفتيان عند وفاة الحكم المستنصر قوة يحسب حسابها، ولولا جهود حاجب الخليفة جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر، لاستطاعوا أن يعدلوا عن تولية هشام الثاني بن الحكم، ويولوا أحد أعمامه[38]. ومع ذلك استطاع ابن أبي عامر، الذي لقِّب بالمنصور، أن يكسب عامة الفتيان الصقالبة، وأجزل لهم العطاء، فأطاعوه. وقد اعتمد عليهم هو وابنه عبد الملك المظفر، فقاد (واضح) الفتى جيشاً كثيفاً إلى

(34) نفح الطيب: 1/ 366، 367، العبادي، الصقالبة في إسبانيا، ص11.

(35) البيان المغرب: 2/ 232، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، الأندلس، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، ص40.

(36) البيان المغرب: 2/ 259،

(37) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص45.

(38) البيان المغرب: 2/ 260، أعمال الأعلام، ص60.

المغرب في عهد المنصور[39]. كما أرسله عبد الملك على رأس حملة من خمسة آلاف رجل إلى مدينة سمورة Zamora سنة 395هـ/ 1004م[40]. إن اعتماد الأمراء والخلفاء على هؤلاء الفتيان قد أثار غضب العرب، وكانت له آثار سياسية وعسكرية سيئة على سلامة الدولة وأمنها ووحدتها الداخلية. ويتجسد هذا الأمر بوضوح في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م) فقد اغتاظ الأحرار ووجوه الجند من القادة والوزراء من تنصيب (نجدة بن حسين الصقلبي) على قيادة الحملة التي سار بها الناصر لقتال راميرو الثاني Ramiro II ملك ليون Leon في سنة 327هـ/ 938م. فتغيرت نفوس هؤلاء القادة على الناصر، وقرروا أن يتركوا الصقالبة ومصيرهم عند نشوب المعركة. مما أدى إلى هزيمة الناصر والجيش الأندلسي بالقرب من مدينة شنت منكش Simancas، ولحقهم العدو لأيام عديدة، فالتجأ معظم أفراد الجيش إلى خندق عميق، نسب إليه اسم المعركة، ولم ينج إلا القليل بضمنهم الخليفة الناصر الذي فرّ في عدد محدود من الفرسان. وبعد وصوله إلى قرطبة أعدم نحو ثلاثمئة من الفرسان الذين كان لهم أثر في سبب الهزيمة. ولم يخرج الناصر بعد ذلك أبداً لقيادة الحملات العسكرية إلى نهاية حكمه[41].

وعلى الرغم من ازدياد نسبة المماليك من الصقالبة والفتيان القادمين من مصادر أوربية، فقد كان هناك مصدر آخر يزود الأندلس بقوى بشرية متعددة استخدمت في تنظيمات الجيش الأندلسي، وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأمير عبد الرحمن الداخل استقدم الكثير من البربر من شمال إفريقيا. ولكن يبدو أنّ

---

(39) البيان المغرب: 2/ 283.

(40) البيان المغرب: 3/ 11.

(41) انظر: أخبار مجموعة، ص155 ـ 156، المقتبس، نشر: ب شالميتا وآخرين، مدريد، الرباط، 1979، ص436 ـ 437، الروض المعطار، ص98 ـ 99، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص36 ـ 37، وقارن: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، 1972، ص407، الصقالبة في إسبانيا، ص12.

خلفاءه من الأمراء لم يستمروا على سياسته تلك، فقد كان هناك نوع من التحفظ إزاء السماح للبربر بالجواز إلى الأندلس إلى عهد الناصر لدين الله. وكان هذا الأخير لا يستخدم من البربر إلا العبيد والسود، لا سيما أولئك الذين يدعون بالطنجيين، نسبة إلى مدينة طنجة في الجانب الإفريقي. وكان الاعتماد عليهم مقتصراً على الخدمات الدنيا، والمهمات الصعبة[42].

وترد الإشارات الأولى في مصادرنا إلى هؤلاء الطنجيين في عهد الأمير عبد الله بن محمد، جد الناصر لدين الله. فقد كانوا يستخدمون في الحملات التي تشنّ على المتمرد ابن حفصون. ولكن ولاء هؤلاء للسلطة المركزية لم يكن ثابتاً، لهذا كانوا ينتهزون الفرص للانضمام إلى صف المتمرد[43]. ويبدو أن هذا السبب هو الذي دعا عبد الرحمن الناصر إلى التحفظ من الاعتماد عليهم والحد من السماح لهم بالعبور إلى الأندلس، وقد سار الحكم الثاني المستنصر على هذه السياسة في بداية حكمه، ثم غالى في ذلك كثيراً، فمنع غلمانه وجنوده من التشبه بالبربر، أو اتخاذ أزيائهم وملابسهم[44]. ولهذا لم يكن الطنجيون، على قلة عددهم، على وفاق مع بقية طوائف الجند، وكانت تحصل بينهم نزاعات دامية يتدخل فيها عامة أهل قرطبة لنصرة الجند على الطنجيين، الذين كانوا مكروهين على ما يبدو من سكان العاصمة[45].

ولكن بعد حرب بني محمد الحسنيين في المغرب، اضطر الحكم إلى تغيير رأيه، وقبول بعض البربر في الأندلس، والاعتراف ببأسهم. وكان أول هؤلاء القادمين من اتباع الحسنيين أنفسهم، فألحقهم بجنده، كما جاءه أيضاً رجال من اتباع جعفر ويحيى أبناء علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، تخلصاً من العمال الفاطميين في شمال إفريقيا. وكذلك انضم إلى هؤلاء

(42) المقتبس، تحقيق الحجي، ص190.

(43) المقتبس، نشر: انطونيا، ص121، 122، 141، 147، البيان المغرب 2/ 147.

(44) انظر: المقتبس، تحقيق الحجي، ص190.

(45) المصدر نفسه، ص78.

جماعات من بني برزال وصلوا إلى الأندلس باستدعاء من الخليفة الحكم، فأصبح عددهم جميعاً نحو سبعمئة فارس، فيهم وجوه وأعلام تسلموا فيما بعد المناصب الرفيعة في البلاد[46].

وحين جاء محمد بن أبي عامر، الحاجب المنصور، إلى الحكم (366 ـ 393هـ/ 976 ـ 1002م) توسع في سياسة استقدام البربر من شمال إفريقيا لتقوية الجيش الأندلسي، وتطعيمه بعناصر مختلفة يستطيع بها منازلة أعدائه في الداخل والخارج. فأرسل إلى رؤساء البربر وأنجادهم من الفرسان والشجعان من رجال زنانة وصنهاجة، ومغراوة، وازداجة، وبني يفرن، وبني برزال، ومكناسة، وغيرهم، فجاءوا إليه بأعداد كبيرة، فكان لا يلحق في ديوانه إلاّ من تقرر غناؤه، وتحقق نفعه وكرم موقعه[47]. ويقال إن عدة الفرسان من البربر والغرباء في ديوانه بلغت ثلاثة آلاف فارس، يضاف إليها ألفا راجل من «رجّالة الرقاصة السودان» الداخلين في عدادهم[48] ويبدو أن تسمية الرقاصة قد جاءت نتيجة لطول قامة هؤلاء السود وحركة جسمهم في أثناء سيرهم واستعراضهم في العاصمة. وقد أطلق اسم (الرقاص) على الشخص الذي كان يحمل البريد وينقل الرسائل في الأندلس والمغرب، فربما كان بعض هؤلاء مخصصين لنقل البريد، نظراً لسرعتهم في الجري[49].

ومن المرجح أن العدد الذي ذكره ابن حيان عن فرسان البربر متواضع

---

(46) المصدر نفسه: ص192 ـ 193، وقارن: مجهول المؤلف، مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1943، ص44.

(47) الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، نشر: ليفي بروفنسال، دار المعارف، 1955، ص16، أعمال الأعلام، ص66، نفح الطيب: 1/ 397.

(48) أعمال الأعلام (برواية ابن حيان) ص102.

(49) انظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، تحقيق، عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1963، ص129. ابن عذاري، البيان المغرب، القسم الموحدي نشر أمبروسي هويسي مراندة مع محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني، تطوان، 1960. ص42، 286، 210.

جداً، حيث إن الروايات تشير إلى كثرتهم، وتزايد عبورهم إلى الأندلس. فعلى سبيل المثال، إن جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي عبر بجنده من البربر البالغ عددهم نحو ستمائة رجل، وبعد أن رأى البربر حسن معاملة المنصور لهؤلاء أسرعوا إلى العبور (وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون. . . حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس) كما دعا قبائل زنانة للمجيء إلى الأندلس بعد أن حاربهم بلقين بن زيري الصنهاجي في المغرب، فجاءوا وكثروا بالأندلس، وأصبحوا خاصة ابن أبي عامر وبطانته إلى نهاية الدولة العامرية[50].

ومن العناصر الأخرى المستحدثة في الجيش الأندلسي، مجموعة تسميها مصادرنا باسم «الحشم» ويرد أول استخدام لهؤلاء أيضاً في عهد الحكم الأول، حيث يشير الرازي[51]، إلى أن الحكم كان «أول من استكثر من الحشم والحفد ـ أي الخدم. . .» كما يذكر ابن الأثير أيضاً[52]؟ أنه «استكثر من الحشم والحواشي. . . . واتخذ المماليك، وجعلهم في المرتزقة. . .» ولا يوجد ما يشير إلى أصل خاص لهؤلاء الحشم، ولكن من المرجّح أنهم كانوا من جملة المماليك الذين يدربون على القتال. ويختلفون عن «الخرس» في أنهم كانوا يشاركون في المعارك على نطاق واسع، بينما كان «الخرس» يقومون بمهمة الحرس الخاص للأمير، وينقسم الحشم إلى صنوف وأعلام[53]، وكان منهم من يعد في مصاف السلطان، ويطلق عليهم اسم «حشم السلطان»[54] وقد أشار ابن حيان[55]، إلى اسم أحد هؤلاء، وهو فهر بن أسد، الذي ساهم في الفتنة في عهد الأمير عبد الله. ولا يعني الاسم

---

(50) البيان المغرب: 3/ 279، 294.
(51) انظر روايته التي ينقلها ابن سعيد في: المغرب في حلى المغرب: 1/ 39.
(52) الكامل في التاريخ: 6/ 378.
(53) المقتبس، نشر: انطونيا، ص111، المقتبس، نشر: شالميتا، ص321.
(54) المصدر نفسه: نشر شالميتا، ص72.
(55) المصدر نفسه، نشر انطونيا، ص25.

العربي لهذا الرجل بالضرورة أنه كان من العرب، فقد كان الكثير من غير العرب يتسمون بأسماء عربية، أو ينتحلون أصولاً عربية تعزيزاً لمكانتهم في المجتمع.

وكان يعيَّن على الحشم مسؤول يسمى «الناظر في الحشم»[(56)]، أو «صاحب الحشم»[(57)] ومن الذين تولوا هذا المنصب رجال معروفون من قادة الدولة، ومن أمثال قاسم بن طملس وابنه محمد بن قاسم، ومحمد بن أبي عامر، وقد يولى شخص واحد على الخيل والحشم مثل زياد بن أفلح، حيث كان يسمى بصاحب الخيل والحشم في عهد الحكم المستنصر[(58)].

وكذلك ورد ما يشير إلى تولي شخص واحد لهذا المنصب مع منصب صاحب الشرطة العليا، مثل قاسم بن محمد بن طملس، الذي كان يسمى بصاحب الشرطة العليا والناظر في الحشم في عهد الحكم المستنصر أيضاً[(59)]. ولم يقتصر وجود الحشم على العاصمة قرطبة حسب، بل كان لكل مدينة قوتها الخاصة من الحشم، فقد ورد ما يشير إلى وجودهم في مدينة رية، حيث عين الأمير عبد الله بن محمد سنة 276هـ/ 889م محمد بن دنين قائداً على الحشم في تلك المدينة، وكان هذا القائد من فرسان العرب ووجوههم[(60)].

كانت واجبات الحشم متنوعة، فكان قسم منهم مسؤولاً عن تعبئة العساكر في أثناء المعارك[(61)]. وفي أوقات السلم كانوا يقومون بالإشراف على ترتيب الجند، وإقامة مراتبهم حينما يهيئون للاستعراض من أجل

(56) المصدر نفسه، تحقيق: ص47، 170، البيان المغرب: 2/ 244.
(57) المصدر نفسه: 2/ 130، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص22، 25، 30.
(58) المصدر نفسه: ص117، 119، 196.
(59) المصدر نفسه: ص119، 170.
(60) المصدر نفسه: نشر: انطونيا، ص53 ـ 54.
(61) المصدر نفسه: نشر: شالميتا، ص165.

استقبال وفد رسمي، أو ضيف كبير[62] ولكن مهمة الحشم الرئيسة في الجيش الأندلسي، التي تميزهم عن غيرهم، كانت تتعلق بالدرجة الأولى بمسائل القتال والمعارك فهم يعدُّون من قوات الاشتباك الأولى، أو أنهم كانوا من القوات الخاصة التي تهاجم المدن وتحاصر الحصون وتقتحمها قبل وصول قوة الجيش الرئيسة. وقد استعملوا بشكل خاص في عهد الناصر لدين الله لهذا الغرض، فكانوا يهاجمون المدن ويقاتلون في شوارعها وعلى أبواب دورها ومحلاتها، ويدخلون في الحصون بعد افتتاحها لضبطها والحفاظ على سلامتها من الأعداء[63]. ومهمة الحشم هذه تشبه مهمة «الأبناء» في المشرق الذين هم أحد عناصر جند الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول[64]، فقد كان الأبناء أيضاً مختصين بالقتال على أبواب الأسوار والخنادق، والمضائق، والطرقات، والسجون، والتسلق واقتحام المدن والقناطر، وكانوا يفخرون بهذا النوع من القتال ويعرفون به[65].

ويلاحظ أن أعداد الحشم في الأندلس لم تكن قليلة، لا سيما في عهد الناصر لدين الله، فقد كان لديه عدد وفير منهم استطاع أن يفرقه على كل مدن الأندلس، وحصونها وقصباتها وثغورها بعد هزيمته في معركة الخندق المذكورة آنفاً[66].

وقد أشار المقري[67]، إلى «كتيبة من الحشم» في عهد الحكم

---

(62) المصدر نفسه: تحقيق: الحجي، ص195، 196.

(63) المصدر نفسه، نشر: انطونيا، ص118، المصدر نفسه، نشر: شالميتا، ص71، 72، 148، 149، 152، 210، 211، البيان المغرب: 2/102، 190، 200، 203، 210.

(64) الجاحظ، رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة أو (مفاخر الترك)، مجموعة رسائل الجاحظ، نشر: الحاج محمد أفندي ساسي المغربي التونسي، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ/ ص5، 7، 15.

(65) المصدر نفسه، ص16، 32 ـ 33.

(66) المقتبس، نشر: شالميتا، ص455 ـ 456.

(67) نفح الطيب: 1/388، 389.

المستنصر ثم رجع ووصف هذه الكتيبة «بالجيش» مما يدل على كثرة عددهم. وقد استعمل ابن عذاري أيضاً[68]، عبارات تدل على عددهم الكبير، مثل «كثف من الحشم» و«جمل من الحشم» و«ضروب من الحشم». وأخيراً يشير ابن حيان[69]، إلى قيادة صاحب الشرطة في عهد الحكم المستنصر لحملة عسكرية تتألف من «عسكر لجب من طبقات الحشم» مما يؤيد عددهم الوفير.

التشكيلات العسكرية وعدد الجند

تنوعت تشكيلات الجند الأندلسي وتطورت في عصري الإمارة والخلافة. وكانت تتكون بصفة عامة من التشكيلات الدائمة من الأندلسيين الخاضعين للخدمة العسكرية، أو ما يسمون بالمدونين، لا سيما من الكور المجندة التي أسلفنا الحديث عنها. وكذلك من المرتزقة الأجانب، ومن بعض التشكيلات الأخرى التي تعتمد على المتطوعين من سكان العاصمة وغيرها. وبمرور الزمن تعددت التسميات لتقسيمات الجند وطبقاتهم. فقد كان هناك الجند الأحرار، والجند العبيد بكل صنوفهم من الفرسان والرماة والمدرَّعين[70].

كما أشار ابن حيان[71]، إلى العديد من الفئات التي كانت تنضوي تحت لواء الجيش الأندلسي في العاصمة قرطبة في عهد الحكم المستنصر، ومنها «طبقات الجند من القرطبيين والزهراويين» و«بياض الجند الأندلسيون والطنجيون» و«طبقات العبيد الخمسيون» و«الصيديون» و«أكابر الخمس»

(68) البيان المغرب: 2/ 190، 203، 210.
(69) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص228.
(70) المصدر نفسه، ص120، البيان المغرب، 2/ 261.
(71) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص30، 40، 48، 50، 51، 87، 91، 120، 136، 137، 156، 174، 190، 195، 196، 197، 199، 223.

و«فرسان الرياضة» و«رجالة الأرباض» و«العبيد الجعفريّون». ولا تفصل المصادر في أسباب تسمية بعض هذه الفئات، ولكن من المرجح أن تسمية العبيد الخمسيين، أو أكابر الخمس تعود إلى أن هؤلاء كانوا بالأصل من حصة «الخمس» الذي هو نصيب الدولة من الغنائم المستحصلة في الحروب. وكان موسى بن نصير قد خصص بعض هؤلاء «الأخماس» من السبي لزراعة أراضي «الخمس» بعد افتتاح الأندلس، فأصبحوا يسمون بالأخماس Quinteros، وقد عرف أبناؤهم أيضاً ببني الأخماس[72]، فظلت هذه التسمية سائدة في الأندلس إلى عهد الحكم المستنصر بالنسبة لحصة الدولة من سبي الحروب. أما تسمية «الصيديون» فلعلها جاءت من كلمة الصيد جمع (أصيد) وهو الملك أي إنهم جند الملوك، أو لانضباطهم في أثناء المشي، ورفع رأسهم كبراً، وعدم الالتفات يميناً أو شمالاً[73]. وربما كان «فرسان الرياضة» مسؤولين عن ترويض الخيل، وتذليلها وتعليمها السير وإعدادها للفرسان[74]. وكان العبيد الجعفريون أتباعاً للحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، فسموا على اسمه[75]. أما «رجال الأرباض» فالمقصود بهم سكان أحياء قرطبة وأرباضها من الأحداث والفتيان الذين يحسنون حمل السلاح، وكانوا يكلفون بحمل التراس والحراب للمساهمة في الحملات الحربية أو في أوقات الاستعراضات، وقد بلغت عدّتهم في عهد الحكم المستنصر ستة عشر ألف رجل.

إن هذه التشكيلات التي تضم مختلف أنواع الفئات الحرة وغير الحرة،

---

(72) انظر رواية محمد بن مزين التي ينقلها محمد بن عبد الوهاب الغساني في كتابه رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد (رقم 5304)، ص100، وانظر أيضاً: مجهول، الرسالة الشريفية، نشرت ملحقاً لكتاب ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، طبعة مدريد، ص199.

(73) انظر: لسان العرب، مادة: (صيد).

(74) المصدر نفسه، مادة: (روض).

(75) انظر المقتبس، تحقيق: ص45، 48.

المرتزقة، والمتطوعة، كانت تشكل قوة الجيش التي يعتمد عليها الخليفة في العاصمة. وكان يطلق عليها اسم «جيش الحضرة». وكان هناك تشكيل آخر في المناطق الحدودية المتاخمة للممالك الإسبانية، والتي تسمى بالثغور، يعهد بقيادته عادة إلى شخصية عسكرية قوية تتولى إمرة الثغر، ويطلق على هذا التشكيل اسم «جيش الثغر»(76).

ولم تكن كل هذه الفئات مدوّنة أو مرتزقة في الديوان، حيث تشير المصادر دائماً إلى وجود تشكيلات مدوّنة، وأخرى متطوعة(77)، أو أهل الديوان، والمجاهدين(78) وقد لا يستخدم الأمير أو الخليفة الأندلسي إلا المدوّنين، أو مدوّنته من أهل قرطبة فقط إذا كانت الحملة التي ينوي قيادتها أو إرسالها محدودة الأثر، أو سهلة المهمة للقضاء على عصاة داخليين. أما أهل الكور المجندة في موسطة الأندلس، فكانوا يستنفرون عند الحاجة بأمر من الأمير، لا سيما إذا كانت الحملة كبيرة(79).

لقد كانت الكور المجندة تشكل إحدى ركائز القوة العسكرية الرئيسة في الأندلس إلى عهد عبد الرحمن الناصر. ولدينا بيان، ولكنه ناقص مع الأسف، عن عدد ما يمكن أن تقدمه بعض الكور المجندة وغير المجندة من فرسان إلى الجيش الأندلسي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، ومع ذلك يمكن لهذا البيان أن يوضح لنا مدى الأهمية التي كانت تتمتع بها الأجناد الأندلسية في العصر الأموي(80).

البيرة 2900 فارس ربة 2607 فارس

(76) البيان المغرب: 2/ 265.

(77) المقتبس، نشر: انطونيا، ص25، المقتبس، نشر: شالميتا، ص135، نصوص عن الأندلس، ص118، البيان المغرب: 2/ 136، 3/ 4، أعمال الأعلام، ص72.

(78) البيان المغرب: 2/ 170.

(79) المقتبس، تحقيق: مكي، ص43، نصوص عن الأندلس، ص90 ـ 91.

(80) المقتبس، تحقيق، مكي، ص271 ـ 272، وقارن: البيان المغرب: 2/ 109، أعمال الأعلام، ص23.

جيان 2200 فارس	قريش 342 فارس
قبرة 1800 فارس	فحص البلوط 400 فارس
باغة 900 فارس	مورور 1403 فارس
تاكرنا 269 فارس	تدمير 256 فارس
الجزيرة 290 فارس	ربينة 106 فارس
استجة 1200 فارس	قلعة رباح وأوريط 387 فارس
قرمونة 185 فارس	حصن شندلة 113 فارس
شذونة 6790 فارس	

إن هذا البيان لا يتضمن ما تقدمه كل من إشبيلية ونبلة، وهما من الكور المجندة، ولكن أربعاً من هذه الكور فقط، وهي: (البيرة وجيان وشذونة ورية) كانت تقدم نحو 14497 فارساً من مجموع 22148، بينما قدمت ثلاث عشرة كورة غير مجندة 7651 فارساً فقط. ويبدو أن الكور غير المجندة كانت تقدم ضرائب بدلاً من الفرسان، بينما كانت الكور المجندة معفاة من الضرائب، وعليها تقديم عدد كبير من الفرسان حين الحاجة[81] ومع هذا فلا يمكن الاعتماد كلياً على هذه الأرقام، لأن العدد الذي يمكن جمعه من الفرسان يتوقف على التعداد السكاني لكل كورة، وعلى التركيب الجغرافي للمنطقة وحالة السلم الداخلي في ذلك العصر. ولهذا يمكن أن تتغير الأعداد من مدة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال، لم يكن بإمكان الأمير عبد الله بن محمد أن يستخدم أجناد الكور المجندة في بعض حملاته على ابن حفصون، بسبب خروج معظم المناطق المحيطة بقرطبة عن سلطته فاكتفى بعدد من جنده وأهل عاصمته ممن تطوعوا معه للحرب. وقد بلغ

(81) قارن: حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص256 ـ 257، Levi-provencal, Histoire de l'Espagne Musulmane Vol III P.69.

عدد هؤلاء في إحدى الحملات نحو أربعة عشر ألفاً، منهم أربعة آلاف من الحشم والمرتزقة، والبقية متطوعون من قرطبة[82].

ويشير ابن حيان[83] إلى أن عدة الفرسان الذين كان يعتمد عليهم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة في حربه زمن الأمير عبد الله، كانت نحو ثلاثمائة فارس من مدونة الجند بقرطبة. وربما كان هؤلاء هم النخبة الذين اعتمد عليهم ضمن بقية رجال الجيش في العاصمة من الحشم والمرتزقة والمتطوعة.

وعلى العكس من هذا الرقم المتواضع فإن المبالغة واضحة في النص الذي يذكره ابن الكردبوس[84]، عن عدد الجيش الأندلسي في عهد الحكم الأول، حيث يشير إلى أنه بلغ مئة ألف فارس. وأورد البكري[85]، العدد نفسه بالنسبة للجند الذين اشتركوا في معركة الخندق سنة 327هـ/ 938م في عهد عبد الرحمن الناصر. ويظهر أن عدد الجند قد ازداد في عهد الحاجب المنصور، لا سيما وأنه استقدم الكثير من البربر من شمال إفريقيا، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. فيذكر ابن الخطيب[86]، أن عدد الجيش في عهده، من الفرسان خاصة بما فيهم العبيد والأحرار، وجميعهم مرتزقون في الديوان، بلغ نحو اثني عشر ألف فارس ومئة. وقد فصل في ذكر أعداد الجند، في إحدى صوائفه، فذكر أن عدد فرسانها بلغ نحو ستة وأربعين ألفاً، أما المشاة فكان عددهم نحو ستة وعشرين ألف راجل، ومن جهة أخرى يورد ابن

(82) المقتبس، نشر: انطونيا، ص104، البيان المغرب: 2/ 132.

(83) المقتبس، نشر: انطونيا، ص129.

(84) تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص57، وانظر أيضاً: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس، 1967، ص97.

(85) جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1968، ص77.

(86) أعمال الأعلام، ص99.

عذاري[87] أعداداً متواضعة للفرسان المرتزقين في قرطبة ونواحيها في عهد المنصور، فيذكر أنهم بلغوا عشرة آلاف وخمسمئة فارس، يضاف إليهم العدد نفسه تقريباً في أجناد الثغور.

ويبدو أن هذا الاختلاف في التقدير يرجع إلى حد بعيد إلى التباس المؤرخين في التشكيلات المختلفة التي كان يتألف منها الجيش الأندلسي لا سيما وأن عدد المتطوعين لم يكن يضبط تماماً، على الرغم من محاولة السلطة تثبيته حسب سكن الرجال في محلاتهم وأرباضهم، وكان يختلف من حملة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر. فمن الناحية النظرية، كان جميع سكان قرطبة، القادرون على حمل السلاح مدعوّون للاشتراك في الصوائف، أو للاستعراض حينما يزور العاصمة ضيف كبير. وكان صاحب المدينة هو المسؤول عن استنفار رجال قرطبة وأحداثها وفتيانها الذين يحسنون حمل السلاح. وفي إحدى هذه المناسبات، في عهد الحكم المستنصر، بلغ مجموع من استنفر من هؤلاء ستة عشر ألف رجل من المشاة[88]. وكان لا يجوز التخلف عن اللحاق بالجيش إلا لمن كان عنده عذر مقبول. ولا يعذر صاحب المدينة من وجده متخلفاً، اللهم إلا إذا ظل المتخلف قابعاً في داره ولم يخرج إلا بعد عودة الحملة إلى قرطبة[89].

وقد ألغى الأمير محمد بن عبد الرحمن عن أهل قرطبة «ضريبة الحشود والبعوث» أي وجوب الخروج للصوائف في كل عام، وخيَّرهم للقيام بذلك طواعية من غير بعث، بينما ظلت بقية الكور الأخرى ملزمة بهذا الأمر. وقد استمر هذا الإجراء إلى عهد عبد الرحمن الناصر[90]، الذي أرجع الاعتماد على المتطوعين من أهل البلاد وقرطبة وذلك نظراً لظروف البلاد الحرجة،

---

(87) البيان المغرب: 2/ 301.

(88) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص47 ـ 48.

(89) المقتبس، تحقيق، مكي، ص44 ـ 45، وانظر أيضاً، ص271.

(90) المصدر نفسه، ص271، البيان المغرب: 2/ 109.

وحاجتها إلى المزيد من الرجال للمساهمة في الحملات الكثيفة التي كان يقودها ويرسلها في بداية حكمه لتثبيت الوحدة الوطنية، وحماية الأندلس من اعتداء الممالك الإسبانية المختلفة في الشمال، ولكنه عاد في سنة 328هـ/ 939م وأعفى رعيته من كلفة الغزو إلى جليقية Galicia، والاقتصار فقط على غلمانه وحشمه وجنده المدونين المدربين. ويبدو أن هزيمة الناصر في السنة السابقة في معركة الخندق هي التي دفعته إلى ذلك، فقد كانت الخسائر كبيرة جداً في صفوف الحشود المستنفرة من المتطوعين، على العكس من الجند المدربين الذين نجا معظمهم من الهلاك بسبب خبرتهم في القتال[91]. وقد تبين للناصر أيضاً أن الجموع الكبيرة للمتطوعين تسبّب إرباك الجيش، وتحد من حركته وسرعة مناورته، فضلاً عن الحاجة إلى المؤن ولهذا فقد جمع الناصر أهل قرطبة في قصره وأبلغهم بهذا القرار[92].

ومن الواضح أن إعفاء أهل قرطبة من الالتحاق الإجباري بالحملات العسكرية لم يستمر بل توقف العمل به مرة ثانية، ومما يؤيد ذلك أن الحاجب المنصور أعلن مرة أخرى في سنة 388هـ/ 998م عن إعفاء الناس عن الاشتراك الإلزامي في الصوائف و«عرّفهم بأن من تطوع خيراً، فهو خير، ومن خفّ إليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور فتمّت على الناس النعمة»[93]. إن استعمال كملة «الناس» في النص، وعدم ذكر أهل قرطبة، يشير إلى أن الإعفاء شمل هذه المرة كل أهل الأندلس، ولم يكن خاصاً بالعاصمة وحدها، كما كان الأمر في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن. وبطبيعة الحال، فإن هذا الإجراء الذي قام به المنصور يتعلق بالإصلاح العسكري الذي حاول أن يدخله على الجيش الأندلسي حيث إنه أعاد تنظيم الجيش تنظيماً عسكرياً جديداً وذلك بجعله وحدة متكاملة متماسكة لا يقوم

---

(91) المقتبس، نشر: شالميتا، ص436.

(92) المصدر نفسه، ص449 ـ 450.

(93) أعمال الأعلام، ص68.

على العنصرية والقبائل، فألغى النظام الإقطاعي العسكري، وجعل الجيش يتألف من فرق عسكرية متعددة تضم مختلف فئات المجتمع الأندلسي كالعرب والبربر والصقالبة ويتقاضى كل جندي في هذه الفرق راتباً شهرياً بدلاً من استغلاله لإقطاع الأرض السابق[94]. وقد استطاع المنصور أن يسيطر على هذا الجيش ويستغني به عن حشود المستنفرين، كما أحرز به انتصاراته العسكرية المعروفة ضد الممالك الإسبانية.

التنظيمات والمناصب العسكرية

1 ـ القيادة:

تأتي القيادة على رأس المناصب العسكرية في تنظيات الجيوش، وهي مهمة جداً في تحقيق النصر. لهذا فقد أولاها الأمراء الأمويون اهتماماً خاصاً، فكانوا في كثير من الأحيان يتولونها بأنفسهم، لما لهذا من تأثير واضح على نفوس الجند. وقد ساهم معظم الأمراء والخلفاء في الأندلس بقيادة الحملات العسكرية سواء للقضاء على الفتن الداخلية وتحقيق الوحدة الوطنية، أم لمواجهة الأخطار الخارجية المتمثلة بالدويلات والممالك الإسبانية في الشمال. وفي الحالات التي كان يتعذر فيها خروج الأمير لقيادة الحملة، كان يرسل أحد أبنائه لينوب عنه في ذلك، ولكن يعين معه قائداً مجرباً، يكون هو المسؤول العسكري عن الحملة[95]. وقد استمر هذا الإجراء إلى أواخر عهد الأمير عبد الله بن محمد مع بعض الاستثناءات[96].

---

(94) انظر: الطرطوشي، سراج الملوك، القاهرة، 1935، ص229، أعمال الأعلام، ص101، وقارن: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، 1972، ص453.

(95) الأمثلة على هذه الحالة كثيرة جداً، انظر على سبيل المثال: المقتبس، نشر: انطونيا ص108، 109، 114، 140، المقتبس، تحقيق: مكي، ص2، 385، 395، البيان المغرب، 2/86، 98، 99، 2، 102، 103، 105، 106، 124.

(96) انظر: المقتبس، تحقيق مكي، ص399.

وفي بداية عهد عبد الرحمن الناصر أخذت الصوائف والحملات العسكرية الأخرى تخرج للقتال بقيادته، أو بقيادة قائد من كبار أعوانه، دون أن يكون معها ابن الأمير، وفي بعض الأحيان يكون هذا القائد هو الوزير أو الحاجب[97]. وربما كان هذا بسبب الحملات الكثيرة التي كان من المفروض أن يوجهها الناصر لدين الله إلى مختلف الجهات غير المستقرة في بداية حكمه، ولم يكن له بطبيعة الحال أبناء كبار ينوبون عنه في ذلك الوقت لصغر سنه حينما تولى الحكم، ثم استمر الناصر بعد ذلك بقيادة الحملات بنفسه حتى سنة 327هـ/ 938م، حيث امتنع عن الخروج بعدها بسبب خسارته في معركة الخندق[98].

كان القادة الذين يعتمد عليهم حكام الأندلس في قيادة الجيوش يتمتعون بمنزلة كبيرة، وينتمون إلى أسر عريقة كان لها دور فعال في تأسيس الإمارة الأموية، وتثبيت أركانها، مثل بني شهيد، وبني أبي عبدة، وبني مغيث، وبني فطيس، وقد برز من هؤلاء بدر مولى الأمير عبد الرحمن الأول، وتمام بن علقمة الثقفي، وعبد الواحد بن مغيث. وعبد الكريم بن مغيث، وشهيد بن عيسى[99]، وإسحاق بن منذر القرشي، وعبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف بصاحب الصوائف[100] وعبد الواحد بن يزيد الإسكندراني[101]، وهاشم بن عبد العزيز[102]، وأحمد بن محمد بن أبي عبيدة[103] وغالب بن عبد الرحمن[104] وقد ضرب هؤلاء القادة مثلاً عظيماً

(97) البيان المغرب: 2/ 169، 170، 171.
(98) انظر: المقتبس، نشر: شالميتا، ص436 ـ 437، أخبار مجموعة ص155 ـ 156.
(99) البيان المغرب: 2/ 53، 54، 56، 63، 64، 81.
(100) المصدر نفسه: 2/ 68، 76.
(101) المقتبس: تحقيق، مكي، ص2، البيان المغرب: 2/ 84، 86.
(102) المقتبس: تحقيق، مكي ص395، 399.
(103) المقتبس: نشر: انطونيا، ص114، 140، البيان المغرب: 2/ 102 ـ 103، 105، 140 ـ 141، 142، 143، 144، 145، 147، 149، 169 ـ 171.
(104) المقتبس: تحقيق الحجي، ص221 فما بعدها، البيان المغرب: 2/ 241، 246، 247.

في الشجاعة والإقدام، وتفانوا في خدمة الجيش، والدفاع عن الأندلس، بل إن منهم من فضَّل الموت على الهزيمة، كالقائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي استشهد سنة 305هـ/ 917م في أثناء قيادته لإحدى الصوائف[105].

2 ـ خطة الخيل:

ومن المناصب الأخرى المهمة في الجيش الأندلسي، خطة الخيل، والخطة بضم الخاء نظام أو تنظيم Institution، وكان المسؤول عنها يسمى بصاحب الخيل[106] فهو إذن قائد الفرسان أو الخيالة. ويبدو أن هناك ثمة علاقة بين هذه الخطة وبين القيادة، فقد تولى هاشم بن عبد العزيز «دار الخيل» والقيادة معاً في عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد[107] ولكن هذا المنصب فصل تماماً عن القيادة في عهد الناصر لدين الله. فكان المسؤول عنه أول الأمر هو بدر بن أحمد مولى الأمير وحاجبه إضافة إلى منصب الوزارة، بينما كانت القيادة بيد أحمد بن محمد بن أبي عبده. ثم تولى الخيل بعد ذلك قادة آخرون من أمثال عبد الرحمن بن بدر، وعبد الله بن مضر[108].

3 ـ خطة العرض:

وكانت هناك خطة أخرى في الجيش الأندلسي هي خطة العرض، ويسمى من يتولاها من الرجال بالعارض[109]. والمفروض أن المسؤول عن هذا التنظيم يتولى عرض الجند بين يدي الأمير، لإظهارهم واختبار أحوالهم[110]. وقد كان الأمراء والخلفاء الأندلسيون يكثرون من استعراض

---

(105) المصدر نفسه: 2/ 107 ـ 171.

(106) المصدر نفسه: 2/ 94، 149، 159، 167.

(107) أخبار مجموعة، ص144.

(108) البيان المغرب: 2/ 158، 159، 167.

(109) المصدر نفسه: 2/ 194، 195، 202.

(110) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط، منشورات دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ، مادة: (عرض).

جندهم، فكان الحكم المستنصر مثلاً يستمتع بالتطلع إليهم أيام توزيع العطاء، وقيامهم بالتدريب واللعب على ظهور الخيل[111]. ويبدو أن مهمات العارض لم تكن سهلة لضخامة الجيش الأندلسي وتنوع أصنافه وتشكيلاته، ولهذا كان منصب العارض يعطى إلى أكثر من واحد.

فبعد مبايعة عبد الرحمن الناصر بالإمارة، عهد بهذا المنصب إلى ثلاثة أشخاص، ثم عهد به سنة 301هـ/ 913م إلى أربعة أشخاص في آن واحد، منهم اثنان من كبار الفتيان[112]. وفي سنة 315هـ/ 927م كان العارض شخصاً واحداً، هو محمد بن أحمد بن حديد[113].

4 ـ خزانة السلاح:

ومن المناصب التي كانت تعهد أيضاً إلى أكثر من واحد، مسؤولية خزن السلاح وحفظه. وقد عبر عنها في تنظيمات الجيش الأندلسي بـ«خزانة السلاح». وقد عهد بها الناصر لدين الله في أول عهده إلى ثلاثة، ثم رجع وولاّها إلى واحد في سنة 301هـ/ 913م وفي سنة 314هـ/ 926م و318هـ/ 930م تولى هذا المنصب اثنان في آن واحد[114] وقد ورد أيضاً تعبير «خزانة السلاح مع العقل» للإشارة إلى هذا التنظيم، ويحتمل أن المقصود «بالعقل» هنا هو الملجأ أو الحصن الذي توضع فيه الأسلحة[115].

5 ـ خازن السفر:

وكان المسؤول عن توصيل الأموال للجند المقاتلين في الحملات والصوائف، أو في جبهات القتال الأخرى، كشمال إفريقيا مثلاً، هو «خازن السفر» فهو صاحب خزانة السفر. وكان هذا الخازن هو الذي يأخذ الأموال

(111) انظر: المقتبس، تحقيق: الحجي، ص193، 223.
(112) البيان المغرب: 2/ 195، 164.
(113) المصدر نفسه: 2/ 194، 195.
(114) المصدر نفسه: 2/ 158 ـ 159، 164، 192، 203.
(115) انظر: لسان العرب، مادة: (عقل).

ويوصلها بنفسه إلى الجند[116]. وعندما كان الجيش يحتاج إلى المزيد، كان الخليفة يرسل شخصاً آخر ليأخذ الأموال الواجبة إلى المقاتلين وتسليمها «للخازن» المقيم مع الجند[117]، ومن الواضح أن هذا المنصب وغيره من التنظيمات الأخرى في الجيش لم يكن قد وصل إلى هذا الحد من التنوع والشمول في عصر الإمارة، وإنه تطور نتيجة لتنظيم الجيش الأندلسي في عصر الخلافة، واشتراكه في مهمات قتالية كثيرة داخل الأندلس وخارجها. ولهذا فقد أصبح بحاجة إلى خدمات تنظيمية كثيرة، ووظائف متعددة لإدارة شؤونه، وترتيب وصول أرزاقه وإمداداته، والمحافظة على نظامه التعبوي.

6 ـ صاحب العسكر

وكان المسؤول عن ترتيب الجند وتعبئتهم يسمى بـ«صاحب العسكر»، وهو منصب تنظيمي وأمني في آن واحد، ويكون متوليه مشرفاً عاماً على أمن المعسكر وحمايته في أثناء العمليات العسكرية. وقد أشار ابن حيان[118]، إلى هذا المنصب وأهميته أثناء حديثة عن غزوة سنة 322هـ/ 934م إلى جليقية، حيث كان يتولاه نجدة بن حسين مولى الخليفة الناصر لدين الله. فقد كان مسؤولاً عن أمر العلافة، وانتشار الفرسان في المعسكر، وحمايته من المتلصصين من العدو. ولم يكن الخليفة يتهاون في أي تقصير من جانب صاحب العسكر بل كان يشدد عليه أن يقوم بمهامه بنفسه، دون أن يعتمد على غيره من القواد، زيادة في الخشية على أرواح الجند.

7 ـ صاحب الصناعة بالعسكر

ورد ذكر منصب آخر في الجيش الأندلسي، يطلق على من يتولاه اسم «صاحب الصناعة بالعسكر» ففي إحدى الحملات التي كان يقودها المطرف

(116) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص149، 151، 223، 228.

(117) المصدر نفسه، ص210.

(118) المقتبس، نشر: شالميتا، ص340، 343 ـ 344.

ابن الأمير عبد الله سنة 282هـ/ 895م يذكر ابن حيان[119]، أنه «. . . كان في حبس العسكر رجال من أسرى أهل شذونة كانوا في العمود عند صاحب الصناعة بالعسكر. . .» ولهذا فمن المحتمل أن المسؤول عن هذا المنصب كان عليه أن يحبس الأسرى ويحتفظ بهم في المعسكر أثناء المعركة. ولكن لا تتوفر لدينا معلومات أخرى عن طبيعة المهام التي كان عليه أن يقوم بها.

8 ـ اللواء:

واهتم الأمويون في الأندلس بلواء الجيش، لأنه يعد عند العرب رمزاً للقيادة والإمارة وقد ازداد اهتمامهم هذا بسبب تفاؤلهم من أول لواء عقد لهم في الأندلس، حينما كان عبد الرحمن الداخل متوجهاً مع مؤيديه لحرب يوسف الفهري حيث عقدوا له في إقليم طشانة من كورة إشبيلية لواءً متواضعاً يتألف من قناة وعمامة. فكان عبد الرحمن وخلفاؤه يحتفظون بهذا اللواء ويعتقدون به النصر[120].

ومن الذين تولوا حمل لواء بني أمية عثمان بن عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد وأعقابهما، وهما من موالي بني أمية الذين ساعدوا عبد الرحمن الداخل في تولي السلطة، وأصبحا بعد ذلك يتواليان حمل اللواء ويتعاقبان في ذلك. وكان من عادة أمراء بني أمية أن يعقدوا الألوية للحملات والصوائف التي ينوون القيام بها في أيام الجمع في مسجد قرطبة الجامع، وقد استمرت هذه العادة إلى عهد الدولة العامرية[121].

ومن الرايات العسكرية الشهيرة في الأندلس تلك المسماة بالعقدة، والعلم، والشطرنج الشامي[122]. وقد أورد لنا ابن حيان وصفاً لكيفية عقد هذه الرايات في عهد الحكم المستنصر، لقائده غالب بن عبد الرحمن

(119) المصدر نفسه، ص112.

(120) انظر: ابن القوطية، ص26، أخبار مجموعة، ص84 ـ 85.

(121) البيان المغرب: 2/ 42.

(122) المقتبس، تحقيق: الحجي: ص25، 47، 67.

الناصري المتوجه لقتال النورمان سنة 360هـ/ 970م. فقد أمر الخليفة بإخراجها من مخازن العدة بقصر الزهراء إلى دار الوزراء، وكانت في ملحفة بيضاء زهرية مشدودة بمنديل، وهي تتألف من ثلاث قطع مميزة، وقد أحضر عريف الخياطين لعقد هذه الأعلام في قنواتها، كما أحضر قاضي مدينة قبرة Cabra وبعض الأئمة والمؤذنين. فلما أخذ الخياط اللواء الأول ابتدأ القاضي بقراءة سورة الفتح من القرآن الكريم، حتى أتى على آخرها عند انتهاء عقد الراية، وذلك بين تكبير وتهليل الحاضرين. ثم عقدت الرايتان الأخريان كذلك، ونقلت الرايات الثلاث بواسطة كوكبة من الجند المسلمين المتأهبين، رائعي الزينة، إلى باب الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن، الذي كان ينتظر وصولها ومن حوله جنده المتأهبون في عدَّتهم. فلما وصلت إليه استوى على صهوة فرسه وتوجه إلى غايته(123).

9 ـ العرفاء:

ومن المهام التي تجلب الانتباه في الجيش الأندلسي، ما كان يقوم به العريف، فالعرفاء معروفون في التنظيم الحربي والإداري في المشرق، لا سيما في العصر الأموي، حيث نظمت مهامهم منذ زمن زياد بن أبي سفيان، فكانوا مسؤولين عن الأمن والنظام، ومراقبة مثيري الفتن بين قبائلهم. وكانوا مسؤولين أيضاً عن جميع الجند عند النفير، فهم في الحقيقة يشكلون حلقة الاتصال بين القبائل والسلطة الإدارية للدولة الأموية(124). أما في الأندلس، فلا نجد لهم مثل هذه المهام. والواقع أن النصوص المتيسرة عنهم تشير إلى اختصاصات عديدة. فكانوا في عهد الحكم الأول ضمن القوات المستحدثة الجديدة من الفرسان المماليك الذين رابطوا بالقرب من القصر للطوارئ،

(123) انظر: المصدر نفسه، ص25 ـ 26.

(124) انظر: خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص223 ـ 225، عبد الواحد ذنون طه، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الموصل، 1985، ص126، 127.

وكان العريف منهم مسؤولاً عن مئة فارس(125). وفي عهد الأمير المنذر بن محمد (273 ـ 275هـ/ 886 ـ 888م) كان عشرة من العرفاء على رأس قوة من مئة وخمسين فارساً، وبمعيتهم مئة بغل أرسلت إلى عمر بن حفصون كشرط من شروط الصلح مع الأمير(126). وهذا يدل على أن العرفاء كانوا موكلين على الجند(127)، حيث كان كما يبدو لكل فئة من فئات الجيش الأندلسي عرفاء موكلون عليها، سواء كانت مهمتها قتالية، أو تقديم خدمات أخرى للجيش، مثل عرفاء أصحاب الرسائل الخصيان، وعرفاء البنائين والمهندسين، والعرفاء البحريين وغيرهم(128).

وقد ذكر المؤرخ ابن حيان أن العرفاء كانوا يقاتلون كمجموعة مستقلة بحد ذاتها، دون أن يكونوا متأمرين على أحد من الجنود، مثلهم في ذلك مثل أي مجموعة أخرى من القوات التي كان يتألف منها الجيش الأندلسي. فقد ذكر بأن الخليفة الناصر لدين الله عيَّن عبد الملك بن العاصي والياً على مارده Merida سنة 315هـ/ 927م. «فوصل إليهم في اليوم الثالث في ألف من العرفاء، ومثلهم من الطنجيين وخمسمئة من الرماة وخمسمئة من الملحقين. . . .»(129). ثم إن الناصر نفسه عيَّن أحد العرفاء سنة 304هـ/ 916م والياً على مدينة أبذة Ubeda، وكان هذا «عريفاً من العجم يعرف بابن بزنت»(130).

وهذا بطبيعة الحال يشير إلى وجود عرفاء متميزين يمكن أن يصلوا إلى مرتبة والي أو حاكم مدينة، وهو يتنافى مع المفهوم السائد للعريف من أنه

(125) أخبار مجموعة، ص129 ـ 130، البيان المغرب: 2/ 97، نفح الطيب: 1/ 342.

(126) البيان المغرب: 2/ 118، أعمال الأعلام، ص31.

(127) البيان المغرب: 2/ 79، 2/ 96، أعمال الأعلام، ص91 ـ 196.

(128) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص118، المقتبس، نشر: شالميتا، ص87.

(129) المقتبس، نشر: شالميتا، ص214.

(130) المصدر نفسه، ص131، وانظر: ابن القوطية، ص93.

كان قائداً على عشرة جنود أو على مئة جندي. ولكن مع ذلك لا يمكن تجاهل وجود مجموعة كبيرة من هؤلاء العرفاء تمثل فئة معينة في الجيش الأندلسي، مهمتها القتال[131]. ففي عهد الحكم المستنصر، كانت هناك مجموعة منهم ترتدي الدروع، وتعرف بـ«العرفاء المدرعين»[132]. كما كان منهم أيضاً البناؤون والمهندسون، الذين كانت مهمتهم في المعارك هدم الأسوار، وتخريب الجسور والقناطر التابعة للعدو. وقد وردت إشارات إلى وجود هؤلاء في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[133]، وعبد الملك المظفر ابن الحاجب المنصور[134]، مما يؤيد توفرهم في الجيش الأندلسي في عصري الإمارة والخلافة.

10 ـ أصحاب الرسائل، العيون والجواسيس، الطالبون، الشرط:

اعتمد الجيش الأندلسي أيضاً على فئات أخرى تقدم خدمات مختلفة للجيش، منهم أصحاب الرسائل الخصيان، الذين كانوا يقومون بنقل الأخبار بين العاصمة وقادة الجيش في جبهات القتال، أو يكلفون بالمساهمة في نقل الأموال إلى جبهة القتال، وكان عددهم كبيراً، ولهم عرفاء موكلون بهم[135]. ومن المرجح أنهم كانوا من الرقاصة السودان، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. وهناك أيضاً العيون والجواسيس، وكان هؤلاء فئة ضرورية جداً للتعرف على خطط ونوايا الأعداء واستطلاع أخبارهم[136]. وتوجد إشارة إلى استخدام الجواسيس في عهد الحكم المستنصر للتعرف على أخبار النورمان، حيث أرسلها إلى شنت ياقب Santiago de Compotela في أقصى الشمال الغربي من

(131) انظر: المصدر نفسه، نشر: انطونيا، ص145، نصوص عن الأندلس، ص114، البيان المغرب: 2/ 192.

(132) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص45، 196.

(133) البيان المغرب: 2/ 96.

(134) المصدر نفسه: 3/ 21 ـ 22.

(135) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص91.

(136) الطرطوشي، سراج الملوك ص340.

شبه الجزيرة الأيبيرية، فعادوا بالأخبار إلى قرطبة[137].

ومن الفئات الأخرى، الطبالون، الذين كانوا يسيرون في مقدمة الحملات، ويضربون على طبولهم لاستثارة حماس الجند. وقد بلغ عدد هؤلاء في إحدى حملات الحاجب المنصور مئة وثلاثين فارساً. وكذلك فقد ضم الجيش الأموي في أيام تطوره على عهد المنصور نفسه عدداً من الشرط المتصرفين في خدمة الجنود، بلغوا نحو مئتي فارس[138].

التعبئة وأساليب القتال

لا نريد الخوض في المدلول النظري للتعبئة ونظمها العسكرية، فهناك العديد من البحوث والدراسات التي يمكن أن تغني هذا الموضوع[139]. لقد كان نظام التعبئة في الأندلس مشابهاً للترتيب السائد في الجيوش الإسلامية، من حيث تقسيم الجيش إلى قلب ومقدمة وساقة وميمنة وميسرة[140]. ولدينا إشارات عديدة في المصادر الأندلسية تؤيد اتّباع الأندلسيين لهذا الأسلوب بدءاً من عهد الأمير عبد الرحمن الأول وإلى نهاية العصر الأموي في الأندلس[141]. ونظراً لطبيعة التشكيلات المختلفة التي كان يتألف منها الجيش الأندلسي، فقد كان له خصوصية في هذا المجال، حيث كانت الكور

(137) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص93.

(138) أعمال الأعلام، ص99.

(139) انظر على سبيل المثال: إحسان هندي، الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام، مطبعة الجمهورية، دمشق بدون تاريخ ص246، وما بعدها عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر، 1961، ص206، 238، فما بعدها، خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص163 ـ 172، عبد الجبار محمود السامرائي، نظم التعبئة عند العرب، مجلة المورد، م12، العدد4، 1983، ص7 ـ 15.

(140) ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص272.

(141) نصوص من الأندلس، ص68 ـ 101، البيان المغرب، 2/ 86، 138، أعمال الأعلام، ص63.

المجندة، على سبيل المثال تقاتل في أجنادها ضمن «كتائب» خاصة بها. فقد قاتل جند شذونة بقيادة الفرج بن كنانة سنة 179هـ/ 795م في حملة استهدفت عمق جليقية، مع القائد عبد الكريم بن مغيث وكان هذا الجند هو مقدمة الجيش الذي ناجز الأعداء في معاقلهم المتقدمة[142]. وكذلك حارب جند مصر ضمن كتيبة خاصة بهم مع الأمير عبد الرحمن الأول[143]. ويتضح من هذا، ومن نصوص أخرى، أن تقسيم الجيش وتعبئته في أثناء القتال إلى كتائب كان معمولاً به في الأندلس[144]. ولكن لا تتوفر تفصيلات كثيرة عن هذا الموضوع. فقد كان عدد الجند الذين قادهم الفرج بن كنانة يتراوح بين أربعة آلاف وعشرة آلاف فارس. وكما يبدو فإن هذه الأرقام كبيرة بالنسبة للعدد المتعارف عليه للكتيبة الواحدة، التي هي جماعة من الفرسان يتراوح عددها بين المئة إلى الألف[145]. أما إذا كان المقصود بالكتائب هنا المعنى العام لها وهو الجيش، أو القطعة العظيمة من الجيش، فيكون التعبير صحيحاً، أي إطلاق اسم الكتائب على أجناد الأندلس.

وليس من اليسير الوصول إلى تفسير دقيق لبعض التعابير التي ترد للدلالة على بعض وحدات الجيش في الأندلس. حيث يستخدم المؤرخون مصطلحات كثيرة لهذا الغرض، مثل «كشف من الخيل» و«قطيع من الخيل» و«قطيع من الجند» أو «قطيع من العسكر» أو «قطيع من الحشم»[146]. كما ورد أيضاً استخدام كلمة فيلق في عهد الأمير عبد الرحمن، حيث كان يرسل

---

(142) محمد بن حارث الخشني، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص41، البيان المغرب: 2/ 64 ـ 65.

(143) الخشني، قضاة قرطبة، ص18.

(144) انظر: البيان المغرب: 2/ 74، المقتبس، نشر: شالميتا، ص192، نفح الطيب، 1/ 388، 389.

(145) لسان العرب، مادة: (كتب).

(146) نصوص عن الأندلس، ص43، 48، 53، البيان المغرب، 2/ 74، 85، 100، 147.

«بعض الفيالق» لقتال متمرد من البربر ادّعى النسب العلوي[147]، والفيلق هو الجيش[148]، ولكن لم يرد عدد محدد لهذه الفيالق المرسلة، وكم كانت تضم من الجنود.

وعلى أية حال فقد اهتم الأندلسيون بتنظيم الجيش والمحافظة على تعبئته الفاعلة في أثناء القتال. وكان التهاون في تحقيق هذا التنظيم يعني الفشل في المعركة وخسرانها، كلّما حدث القتال. وكان التهاون في تحقيق هذا التنظيم يعني الفشل في المعركة وخسرانها، كما حدث للقائد هاشم بن عبد العزيز، حينما حارب المتمرد ابن مروان الجليقي سنة 262هـ/ 875م فقد خرج للقتال على غير تعبئة ولا أهبة، مما أدى إلى مقتل جماعة كبيرة من جنده، أما هو فقد أسره العدو[149]. وكذلك فقد أدى التهاون في اتخاذ إجراءات مناسبة لحفظ المياه إلى وفاة اثنين وثلاثين رجلاً وعدداً كبيراً من الحيوانات بسبب العطش، في حملة قادها أحمد بن أبي عبدة سنة 283هـ/ 896م إلى كورة تدمير [150]. وقد أدت هذه التجارب إلى زيادة العناية بالتنظيم والتعبئة الكاملة في المعارك، لا سيما في عهد الخليفة الناصر لدين الله، حيث عهد، كما أسلفنا، إلى مسؤول خاص بالاهتمام بها يدعى بـ«صاحب العسكر»[151] وقد استمر هذا الاهتمام بالتعبئة، وترتيب الجند إلى ما بعد عهد الناصر، حيث تطور تطوراً كبيراً، يصفه لنا أحد المؤرخين الذين عاصروا عصر الطوائف، فيحدثنا كيف كان الأندلسيون ينظمون صفوفهم ويعبئونها للقتال بقوله:

«فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا، وهو تدبير نفعله

(147) البيان المغرب: 2/ 54.
(148) لسان العرب، مادة (فلق).
(149) البيان المغرب: 2/ 102.
(150) المصدر نفسه: 2/ 138.
(151) المقتبس، نشر: شالميتا، ص340 ـ 344.

في لقاء عدونا، أن نقدم الرجالة بالدروق الكاملة، والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة، فيصفوا صفوفهم، ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شارعة إلى عدوهم، وهم جاثمون في الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه، وخلفهم الرماة المختارون لم يتزحزح الرجالة عن هيآتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق، وصدور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله. . .»[152].

وعلى الرغم من أن هذا النص خاص بعصر لاحق لموضع دراستنا، لكنه ذو قيمة كبيرة لأن هذه الخبرة التي وصل إليها الأندلسيون، كانت حصيلة تجارب وممارسات تعبوية اكتسبوها طيلة العصر الأموي، وقد زادت هذه التجارب من الكفاءة القتالية للجند، وهذا يناقض مع ما أورده الرحالة المشرقي ابن حوقل[153]، عن قلة الحيوية القتالية للأندلسيين، وبعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية، وقلة تجربتهم في المبارزة واللقاء، وإن أكثر حروبهم كانت تعتمد على الكيد والحيلة.

كما أشار أيضاً إلى أن عدد الفرسان المسجلين في قوائم الدولة وسجلاتها في عهد عبد الرحمن الناصر أو من سبقه من آبائه الأمراء الأمويين لم يزد على خمسة آلاف فارس ممن يقبض أرزاقه من ديوان الدولة. وهذا بطبيعة الحال خطأ واضح وقع فيه ابن حوقل عن قصد أو دون قصد، لأننا نمتلك بياناً واضحاً صريحاً عن عدد الفرسان المستنفرين للقتال في الصوائف المجردة إلى جليقية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن. وقد تحدثنا عن هذا البيان فيما تقدم من صفحات البحث، كما أشرنا في بحث منفصل أيضاً

(152) الطرطوشي، سراج الملوك، ص337.

(153) صورة الأرض، ص104 ـ 105، 108 ـ 109.

إلى الدوافع التي أدت بابن حوقل للتحامل على أهل الأندلس وحكامها الأمويين خاصة[154] وقد اعتمد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال[155]، Levi- Provencal على ملاحظات ابن حوقل المذكورة أعلاه، فأشار إلى رداءة الكفاءة العسكرية للمنتدبين لحمل السلاح في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومع ذلك، فإن بروفنسال يعترف بأن نية ابن حوقل كانت سيئة وغير واضحة في تحليله للقوة العسكرية الأندلسية.

كانت الأساليب القتالية التي استعملها الأندلسيون متعددة ومتنوعة، منها الاصطفاف واللقاء المباشر مع الأعداء، والمبارزة قبل الالتحام[156]. ومنها استخدام الكمائن، والمرابطة ضمن قوات قليلة من الفرسان في الأماكن التي يتوقع أن يمر منها الأعداء[157] وكان الترتيب المتبع عادة في مثل هذه الحالات، لا سيما في أثناء مهاجمة المدن المتمردة، أن يتوجه قائد الجيش في عدد قليل لمهاجمة المدينة، بعد أن يكون قد عبأ قواته وكمن كمائنه في مكان قريب من المنطقة. فحينما يرى المتمردون في المدينة قلة الجيش المهاجم يستهينون به، ويخرجون لملاقاته، فتنقض عليهم الكمائن من كل مكان، فتشتت شملهم، وتحقق النصر للجيش المهاجم[158]. ومن الأساليب الأخرى التي اتبعت في القتال، مهاجمة المدن والحصون العاصية، والمناورة حولها بقوات مدربة ومخصصة لهذا الغرض، تسبق الجيش المتقدم وتثير الرعب والفزع في قلوب الأعداء، قد أشرنا سابقاً إلى دور الحشم وأهميتهم القتالية في هذا المجال[159].

(154) انظر: عبد الواحد ذنون طه، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، العدد23، بغداد، 1983، ص50 ـ 55.

(155) Histoire de L'Espagne Musulmane Vol. III PP. 70 - 71.

(156) انظر: الطرطوشي، سراج الملوك، ص331 ـ 332، أعمال الأعلام، ص72.

(157) المصدر نفسه، ص20 ـ 21، البيان المغرب: 2/ 147.

(158) المصدر نفسه، 2/ 84، 95، 96.

(159) المصدر نفسه: 2/ 179، 192، 194، المقتبس، نشر: انطونيا، ص118.

وقد استخدم الأندلسيون أسلوب الحصار للمدن المتمردة، ومحاولة هدم أسوارها أو نقبها بواسطة المهندسين والبنائين من العرفاء الذين يرافقون الحملات العسكرية. وكان هؤلاء يقومون بأعمال من شأنها تحقيق النصر للجيش المهاجم. ففي إحدى الحملات التي كان يقودها الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 244هـ/ 858م إلى طليطلة Toledo قاتل الجيش المتمردين وحصرهم على قنطرة المدينة. وقد أوعز الأمير إلى العرفاء من البنائين والمهندسين بتخريب القنطرة، فقاموا بالعملية دون أن يشعر بهم الأعداء، فتهدمت وانكفأت بمن كان عليها من الرجال، فغرقوا في النهر عن آخرهم[160]. وقد هدمت قنطرة مدينة ماردة Merida في عملية أخرى مشابهة في عهد هذا الأمير سنة 254هـ/ 868م مما أدى إلى إذعان المتمردين الذين كانوا قد تحصنوا بها[161]. كما استخدم البنّاؤون والنقابون مع عرفائهم في عهد عبد الملك المظفر ابن الحاجب المنصور (393 ـ 399هـ/ 1002 ـ 1008م) أسلوب ثلم الأسوار وحرق الحطب المضرج بالقطران في الثغرات المثلومة، لإرهاب المحصورين في الحصن، وإشعال النيران في سقوفه، مما ساعد على سرعة استسلامهم[162].

ثم إن الجيش الأندلسي استخدم المنجنيق لرمي الحجارة أو المقذوفات الحارقة من النفط والقطران، على المدن والحصون المحاصرة[163] ويعود استخدام هذه الآلة إلى زمن مبكر في الأندلس، فقد ورد أن عبد الرحمن الأول استخدم ستة وثلاثين منجنيقاً في إحدى حملاته على مدينة سرقسطة Zaragoza[164]، كما استخدمت هذه الآلات في الحقب التالية بشكل كبير،

(160) البيان المغرب: 2/ 96.
(161) المصدر نفسه: 2/ 100.
(162) المصدر نفسه: 3/ 21 ـ 22.
(163) انظر: أعمال الأعلام، ص101.
(164) أخبار مجموعة، ص115.

سواء في القضاء على التمردات الداخلية، أو في الحملات الموجهة على الممالك الإسبانية المختلفة[165]، أو في صد هجوم النورمان[166]. وكان لهذه المنجنيقات دور فعّال في التأثير على الأعداء لما تسببه من تخريب أو إشعال للحرائق، أو إرباك للرجال المحصورين في داخل المدن والحصون.

وكان أسلوب بناء المدن العسكرية حول المناطق المتمردة، أو المدن المحاصرة، من أشد الأساليب فعالية في إحكام الحصار، لما تقدمه هذه المدن المستحدثة من خدمات للجند الذين يقومون بعملية الحصار لأوقات طويلة. فكانت تقام فيها الأسواق، وينقل إليها جميع الفعلة والصناع، وتشحن بالأقوات، ويقيم فيها نخبة مختارة من الجند والفرسان الذين تتوفر فيهم الشجاعة والجلد. ويعهد بأمر إدارة هذه المدن عادة إلى أحد كبار القادة أو الوزراء. وقد أدى هذا الإجراء إلى نتائج إيجابية في سرعة القضاء على التمردات الداخلية. نظراً ليأس المتمردين المحصورين، نتيجة لاستمرار الحصار عليهم لمدة غير محدودة من الزمن، بفضل إقامة القوات المحاصرة في مدن تتوفر فيها مستلزمات الحياة، وإدامة القتال. وقد توسع الخليفة عبد الرحمن الناصر في استخدام هذا الأسلوب كثيراً، فبنى في سنة 318هـ/ 930م مدينة بالقرب من طليطلة، سماها «مدينة الفتح»، كما بنى مدينة أخرى بالقرب من ببشتر Babastro، عرفت أيضاً بـ«المدينة». هذا فضلاً عن الحصون الكثيرة الأخرى التي كان يقيمها حول الأماكن والمدن المتمردة، ويشحنها بالرجال والمعدات، لتقطع وصول الإمدادات إليها، وتعزلها عن بقية مناطق الأندلس[167].

ونظراً للطبيعة الجبلية الوعرة التي تسود مناطق كثيرة في شبة الجزيرة

---

(165) البيان المغرب: 2/ 64، 88، 100، 102، 138، 140 ـ 141، 181، 200، نفح الطيب: 1/ 346.

(166) نصوص عن الأندلس، ص100: البيان المغرب: 2/ 87، 88.

(167) المقتبس، نشر: شالميتا، ص283، 364، البيان المغرب، 2/ 194، 203.

الأيبيرية، لا سيما في الشمال والشمال الغربي، فقد اضطر الأندلسيون إلى اعتماد أسلوب الحروب الجبلية، والاستعداد لها. ولهذا فقد برعوا في هذه الحروب، وفي اجتياز المضائق الجبلية. وكان من العادة أن يتقدم الجيش فرقة استطلاعية لمعرفة أخبار العدو، والمسالك والممرات الآمنة بين الجبال. وفي حالة اجتيازهم لهذه المضائق كانوا يكثرون من وضع الحرس لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم محتمل قد يقوم به العدو(168). وفي الأماكن التي تتميز بكثرة الأنهار والمياه والمخائض، كانوا يستخدمون الأخشاب لتسهيل عملية عبور الجنود وتجنب انزلاقهم(169). وكان يرافق الجيش في مثل هذه الحملات الأدلاء المتخصصون في طوبوغرافية هذه المناطق، والفعلة الذين يقومون بتعديل الطرقات الجبلية وتوسيع شعابها، وتسهيل مسالكها لمرور الجند. وقد وصل التنظيم في الحملات التي قادها الحاجب المنصور حداً كبيراً جداً من الاتقان، والتعاون الفعال بين الجيش والأسطول لتحقيق النصر.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك، حملة المنصور الثامنة والأربعين على جليقية سنة 387هـ/ 988م، وهي الحملة التي وجهت إلى مدينة شانت ياقب. فقد أمر الأسطول أن يسبقه فيدخل من المحيط الأطلسي إلى موضع حدده له على نهر دويرة Duero، وهناك التقى الجيش البري بالأسطول الذي شكل جسراً عبر عليه الجنود إلى الجانب الآخر من النهر، ونقلت عليه الإمدادات المطلوبة للجيش. ويذكر ابن عذاري(170) الذي يقدم لنا وصفاً رائعاً عن هذه العمليات العسكرية بقوله:

---

(168) المصدر نفسه: 2/ 57، 187 ـ 188، المقتبس، نشر: شالميتا، ص192 ـ 193، وانظر خليل السامرائي، التعبئة العسكرية الإسلامية في الأندلس، ص40 ـ 41.

(169) البيان المغرب: 2/ 75.

(170) المصدر نفسه: 2/ 295 ـ 269، نفح الطيب: 1/ 414 ـ 415، وقارن أعمال الأعلام، ص67.

«. . . ثم نهض يريد شنت ياقوب، فقطع أرضين متباعدة الأقطار، وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان يمدها البحر الأخضر. . . ثم أفضى إلى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه، ولا طريق، لم تهتد الأدلاَّء إلى سواه. فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر، وعبروا بعده وادي منية Minho. . . وعبروا سباحة إلى جزيرة من البحر المحيط لجأ إليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي. . . . وانتهى العسكر إلى جبل مراسيه (Morrazo) المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط. . .»

إنّ هذا النص يقدم لنا أفضل وصف للخبرة التي اكتسبها الجيش الأندلسي خلال عهد الإمارة إلى أواخر عهد الخلافة، لا سيما في الحروب الجبلية، واستخدام أفضل الطرق المتيسرة في ذلك العهد من حيث التعبئة والتنظيم، والتعاون مع الأسطول وأساليب القتال المتطورة التي تلائم الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة.

الصوائف والشواتي

إن الفضل في هذه الخبرة التي اكتسبها الجيش الأندلسي يعود إلى حيويته الدائمة، ومساهماته المستمرة والفعالة في العمليات العسكرية التي هدفت إلى حفظ الوحدة الوطنية، وحماية الحدود الخارجية. وكان أسلوب الصوائف من أفضل الأساليب التعبوية الهجومية التي استخدمها الأمويون في الأندلس وهو أسلوب معروف، مارسته الدولة العربية الإسلامية ضد البيزنطيين بشكل فعّال[171]. وفي الأندلس استخدمت هذه الصوائف والشواتي أيضاً للقضاء على المنتزين والتمردات الداخلية، لا سيما تلك التي

(171) انظر: خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ص192 ـ 196.

استغرقت وقتاً طويلاً قبل أن تنتهي لصالح السلطة المركزية، مثل حركات التمرد التي قامت في الثغر الأعلى، وحركة عمر بن حفصون[172].

ونظراً لظروف الأندلس الخاصة بوجود العديد من العناصر والأجناس المختلفة، وكثرة حركات التمرد الداخلية، والتعرضات الخارجية، فقد تميزت الصوائف والشواتي بتعددها وعدم اقتصارها على صائفة واحدة كل عام، بل كانت هناك صوائف دائمة، وشوات ترسل عند الحاجة، وأحياناً تتحول الصائفة إلى شاتية وتبقى في منطقة العمليات، إذا تطلب الوضع الحربي ذلك[173]. كما تشير المصادر أيضاً إلى وجود حملات ربيعية، وأخرى خريفية، قام بها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر[174]. وكذلك كانت هناك صوائف متجولة، تحافظ على استتباب الأمن والاستقرار بين كور الأندلس المختلفة[175]. ومما يميز صوائف الأندلس أيضاً، لا سيما في عهد المنصور وابنه عبد الملك المظفر محاولتهما، إضافة إلى إضعاف قوة العدو ودحره، تشجيع الجند المشاركين في الحملات على الإعمار والاستقرار في المناطق والحصون المتاخمة للممالك الإسبانية. وقد خصص المظفر مكافأة نقدية تعطى كل شهر، وسكناً خاصاً، وأرضاً للزراعة، لمن يرغب في الاستقرار في أحد الحصون المفتتحة في منطقة برشلونة Barcelona سنة 393هـ/ 1002م. وقد وافق على ذلك عدد كبير من الجند[176].

(172) انظر: نصوص عن الأندلس، ص30 ـ 35، البيان المغرب: 2/ 139. وأيضاً راجع عن حركة ابن حفصون الدراسة القيّمة التي نشرها الدكتور أمين توفيق الطيبي ضمن كتابه دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس تحت عنوان «قيام عمر بن حفصون وبنيه بيشتر على الإمارة الأموية بقرطبة» الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984، ص120 ـ 150.

(173) البيان المغرب: 2/ 146، وانظر: المقتبس، نشر: انطونيا، ص146.

(174) نصوص عن الأندلس، ص77، 78، 79، 80.

(175) البيان المغرب: 2/ 139.

(176) المصدر نفسه: 3/ 7، وانظر ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص64.

وكان موعد خروج الصوائف عادة يبدأ في أواخر الربيع وبداية الصيف، أي في شهري أيار وحزيران[177]. ولكن يحدث أن يقدم وقت الصائفة إذا ما تطلبت الظروف ذلك. كما فعل الناصر لدين الله سنة 312هـ/ 924م. حيث خرج من قرطبة في اليوم الرابع عشر من المحرم، الموافق لليوم السابع والعشرين من نيسان، بسبب استيائه من هجوم أهل بنبولنة Pamplona، على أحد الحصون الأندلسية، وقتلهم لمن كان فيه من المسلمين[178]. وكان يسبق خروج الصوائف، بطبيعة الحال، فترة طويلة من الإعداد المستمر والتهيؤ لتوفير المستلزمات المادية والبشرية لها، فكانت الوفود ترسل إلى جميع كور الأندلس لحث أهلها على ارتباط الخيل وتهيئتها للمشاركة مع جيش الصائفة. ونظراً لمجاورة أهل الثغور للممالك الإسبانية، فقد كان الاعتماد عليهم ضرورياً لإمداد الصوائف بالرجال المدربين والمستعدين دائماً لصدّ الهجمات المعادية، وذلك بحكم موقعهم القريب، والطبيعة الجبلية الوعرة لمنطقتهم التي أكسبتهم الخبرة والمهارة في الحروب الجبلية. ولذلك فكان الأمير يرسل إلى عمال الثغور بالاستعداد والخروج بمن معهم من الجند المدوَّنين والمتطوعين، للالتحاق بالجيش القادم من العاصمة أو الانتظار حتى يصل إليهم هذا الجيش، فيرافقونه إلى غايته، وذلك حسب الموقع الجغرافي الذي تتوجه إليه الصائفة[179].

وكان المنصور يستدعي أحياناً جميع المترجلين من فرسان الجند في الثغور، الذين لا تتوفر لديهم خيول، إلى العاصمة، ليشرف بنفسه على توفير الحيوانات التي يحتاجونها للركوب، ثم يخرج الجميع بانتظام من قرطبة، كما فعل في صائفته الأخيرة سنة 392هـ/ 1001 ـ 1002م[180]. وقد بلغ

---

(177) انظر: البيان المغرب: 2/ 189، أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص98.

(178) المقتبس، نشر: شالميتا، ص189 ـ 190، البيان المغرب، 2/ 185.

(179) نصوص عن الأندلس، ص42، 44، 71، 113، البيان المغرب: 2/ 69، 72، 95، 98، 138، 172.

(180) أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص99 ـ 100.

الاستعداد أقصى مداه في هذه الصائفة التي يصفها ابن الخطيب بالتفصيل[181].

ففضلاً عن توفير الخيول لجميع المترجلين من عسكره، قاد معه سبعمئة رأس منها، زيادة على عدد الفرسان تحسباً لما يحدث في الطريق. كما ترك ألف فرس أخرى في اصطبلاته بقرطبة، وكانت قد وصلت لحينها من المغرب. ومع ذلك فقد واصل ابتياع الخيل في الطريق من الوفود وغيرهم، حتى وصل إلى مدينة سالم Medinaceli ومعه نحو ألف فرس احتياطية.

كان للحملات التي تخرج من قرطبة نظام خاص في التجمع والسير، فحينما كان الأمير أو الخليفة ينوي القيام بحملة «يبرز» لها. وكان هذا «البروز» هو بمثابة الإعلان عن الاستعداد للحملة الجديدة. وقد اعتاد أمراء بني أمية قبل الناصر لدين الله لا سيما في عهد الأمير عبد الله بن محمد، أن يبرزوا قبل الخروج إلى الغزو في فحص شقندة Scconda أو «صحراء الربض بفج المائدة المطل على باب قرطبة الجنوبي»[182]. أما الناصر، فعلى الرغم من استخدامه لهذا المكان، على الأقل لمرة واحدة في سنة 238هـ/ 239م[183]، فقد اختار مكاناً آخر يقع إلى الشمال من نهر الوادي الكبير Guadalqivir بالطرف الشرقي من المدينة، وكان يعرف بمضرب أو مضطرب فحص السرادق[184]. وكان هذا المكان من المنتزهات المشهورة التي يقصدها أهل قرطبة للفرجة والنزهة[185]. وقد أطلق عليه اسم السرادق بسبب

(181) المصدر نفسه، ص99 ـ 100.

(182) المقتبس، نشر: انطونيا، ص93، 94، 102، 103، البيان المغرب، 2/ 132، نفح الطيب: 1/ 343.

(183) المقتبس، نشر: شالميتا، ص449.

(184) المصدر نفسه، ص287، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص43، البيان المغرب: 2/ 204.

(185) انظر: السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، 1971: 1/ 210.

ضرب السرادق السلطاني فيه عندما يراد القيام بحملة أو غزوة جديدة. ويبدو أن الغرض من «البروز» هو تأهب الخليفة وتفقده للجند من السرادق طيلة مدة «البروز» التي قد تستغرق نحو شهر واحد أو أكثر[186]، يتم خلالها إعلان النفير للجهاد في جميع أنحاء البلاد، فتأتي الوفود من كل جانب إلى هذا المكان للمساهمة في الحملة. ثم يعسكرون في «الفحص» أو السهل الفسيح الذي يقع أمام السرادق، ويستعرضهم الخليفة، ويتفقد احتياجاتهم وعدَّتهم وسلاحهم.

وكان ينوب عن الخليفة في «البروز» أحد القادة الكبار الذين يتولون قيادة الحملة في حالة عدم مساهمته فيها[187]. ويكون «البروز» في العادة مهيباً للغاية، يظهر فيه الخليفة بكامل عدته وملابسه الحربية، حيث يسير راكباً بين قواده وحرسه، تظلله الرايات البديعة. ويخرج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم لمشاهدة هذا الاستعراض العسكري الفخم الذي يتحدثون عنه لمدة طويلة[188].

وبعد أن يكتمل الاستعداد للحملة يسير الجميع إلى مسجد قرطبة الجامع، ليقيموا الصلاة، وبعدها تعقد الألوية، ثم «يفصل» الأمير أو الخليفة، ويخرج بالجيش إلى غايته المرسومة له[189]. وقد كانت أغلب الجيوش والحملات التي تخرج من قرطبة إلى الشمال تسلك الطريق المار بطليطلة، ومنها إلى وادي الحجارة Guadalajara، ثم إلى مدينة سالم، ومنطقة الثغرالأعلى، وقاعدته سرقسطة، وبعدها تمضي الحملة مع نهر أبرة Ebro نحو منابعه حتى تفضي إلى ألبة Alava والقلاع Castilla la Vieja حيث الحدود

(186) المقتبس، نشر: شالميتا، ص65، 85، 157، 189، البيان المغرب: 2/ 160، 164، 173، 175 _ 176، 180، 182، 183، 185، 189، 193، 196، 202، 204.

(187) المصدر نفسه: 2/ 221 _ 222، وانظر: المقتبس، تحقيق: الحجي، ص221.

(188) انظر: المقتبس، نشر: شالميتا، ص332 _ 333، البيان المغرب: 2/ 222.

(189) المصدر نفسه، 5/3، وقارن خليل السامرائي، التعبئة العسكرية، ص4.

الجنوبية والغربية لمملكة ليون المتاخمة للدولة العربية في الأندلس[190]. وقد سلكت الحملات الأندلسية طرقاً أخرى غير طريق الثغر الأعلى، ففي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، سار القائد البراء بن مالك سنة 264هـ/ 877م إلى جيليقية من جهة الغرب، أي من «باب قلنبرية» Coimbra في البرتغال الحالية، ونجح في حملته[191] وكذلك كانت هناك محاولة لحمل الجيوش بحراً على المراكب، والوصول إلى جيليقية من جهة المحيط الأطلسي في سنة 266/ 879م، ولكن هذه المحاولة لم تنجح لغرق المراكب في المحيط[192]. وقد أشرنا سابقاً إلى محاولة أخرى ـ ولكنها كانت ناجحة ـ لاستخدام الأسطول عن طريق المحيط الأطلسي في مساعدة الجيش البري لمهاجمة منطقة جيليقية، ومدنية شانت ياقب على وجه التخصيص في عهد الحاجب المنصور، وكان الناصر لدين الله قد سلك قبل ذلك طريقاً مغايراً لطريق الثغر الأعلى في حملته على بلاد النافار Navarr عام 312هـ/ 924م، فسلك طريق شرق الأندلس، حيث مرّ بكورتي تدمير وبلنسية Valencia، ثم سار إلى طرطوشة Tortosa، وسرقسطة، ودخل ثغر تطيلة Tudela، ومنها إلى حصن قلهرة Calahorra، إلى الجنوب من بنبلونة[193].

الأسلحة

استخدم الجيش الأندلسي أنواعاً عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية. وكانت الأسلحة التقليدية المعروفة في ذلك الوقت كالسيوف والرماح والقسي والسهام. هي الأسلحة الخفيفة الهجومية التي يعتمد عليها لتزويد أفراد الجيش. أما الأسلحة الدفاعية الخفيفة، فكانت

---

(190) انظر: الحلة السيراء: تعليق المحقق هامش(2): 1/ 135 ـ 136، وانظر أيضاً خليل إبراهيم السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد، 1976، ص157.

(191) البيان المغرب: 2/ 103.

(192) المصدر نفسه: 2/ 104.

(193) المقتبس، نشر: شالميتا، ص190 ـ 191، البيان المغرب: 2/ 186.

تتكون عادة من الترس، وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل باليد لتلقي ضربة السيف[194]، والدرق، وهو نوع من الترس، ويتخذ من الجلود[195]. والبيضة، أي الخوذة التي تصنع من الحديد عادة لحماية الرأس[196]، والمغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة، وقبل الخوذة[197]، والدرع، الذي هو ثوب ينسج من زرد الحديد، أي هو لبوس من الحديد[198].

ويذكر ابن سعيد المغربي في معرض ردّه على ابن حوقل، أن أهل الأندلس كانوا يستخدمون التراس والرماح الطويلة للطعن، ولكنهم لا يعرفون الدبابيس، ولا قسي العرب، بل يستعملون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد، وهي تكون بيد المشاة، عادة عند الاصطفاف للحرب، لأن الخيل لا تصبر على الفرسان أو تمهلهم حتى يوتروها بشكل جيد[199]. ويبدو أن ابن سعيد المتوفي سنة 685هـ/ 1286م كان يتحدث عن عصره حين أشار إلى عدم استخدام القسي العربية من قبل أهل الأندلس، لأن هذه القسي كانت معروفة ومستخدمة في عصر الخلافة، وكان النتاج السنوي منها في قرطبة فقط، هو ستة آلاف قوس عربية في عهد الحاجب المنصور[200]. وعلى أي حال فقد كانت همم أهل الأندلس مصروفة إلى إنتاج هذه الأسلحة، واستيرادها من البلاد المجاورة، لا سيما السيوف الأفرنجية المعروفة بالبرذليات[201] نسبة

---

(194) انظر: لسان العرب، مادة، (ترس)، عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، القاهرة، 1951، ص16.

(195) لسان العرب، مادة: (درق).

(196) لسان العرب، مادة: (بيض)، السلاح في الإسلام، ص23.

(197) لسان العرب، مادة: (غفر)، السلاح في الإسلام، ص56.

(198) لسان العرب، مادة: (درع)، السلاح في الإسلام، ص26 ـ 27.

(199) نفح الطيب: 1/ 223.

(200) أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص101.

(201) نفح الطيب: 1/ 202.

إلى مدينة برذيل أو بورديل Bordeau في غرب فرنسا. وكذلك الحراب الإفرنجية، البيضات الهندية، وهي خوذ خشبية من خوذ الفرنجة، وتسمى الطشانة Tistina، المشتقة من كملة Testa البروفنسالية في جنوب فرنسا، أي الرأس Tete[202].

وكان الجنود ذوو البأس الأشداء، لا سيما في عهد الحكم المستنصر، يتقلدون عادة السيوف الإفرنجية، وبأيديهم التراس الملونة والرماح المستوية الأسنَّة[203]، وعلى رأسهم البيضات الصقيلة[204]. وكان الفرسان منهم خاصة يرتدون الدروع، ويحملون القنوات ويلبسون الجواشن وهي نوع من الزرد الذي يغطى به الصدر[205]، ويضعون التجافيف على خيولهم، وهي عدة من حديد، أو غيره لتقيها من الجراح في أثناء القتال[206]. وكان الرجّالة منهم، أو المشاة، يتنكبون القسي الكبار، ويحملون أعمدة الحديد، والطبرزينات، وهي ضرب من الفؤوس[207].

أما الأسلحة الهجومية والدفاعية الثقيلة، فأهمها المنجنيق، وقد تحدثنا عن أثر هذه الآلة ودورها في حصار المدن، حينما تعرضنا لأساليب القتال عند الجيش الأندلسي، وكيف أنها كانت أداة فعالة في حسم حروب الحصار، ومهاجمة المدن. وقد استعملت آلة أخرى تشبه المنجنيق، لكنها، تسمى بالعرادة[208]، وقد أتاح صغر حجمها للمقاتلين أن يستعملوها في

---

(202) المصدر نفسه: 1/ 382، وانظر هامش المحقق رقم (5).

(203) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص118.

(204) نفح الطيب: 1/ 388.

(205) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص49، أعمال الأعلام، ص74، نفح الطيب: 1/ 382. وانظر: لسان العرب، مادة: (جشن).

(206) المقتبس، تحقيق: الحجي ص49، نفح الطيب: 1/ 358، وانظر لسان العرب مادة (جفف).

(207) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص48 ـ 49، 50، وانظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1969، ص276.

(208) الحميري، الروض المعطار، ص159، وانظر: لسان العرب، مادة: (عرد).

أماكن أخرى لا يمكن وضع المنجنيق فيها، فكانت العرادات تنصب في الأبراج فوق الأسوار، للدفاع عن المدن، فهي وسيلة دفاعية بالدرجة الأولى.

وقد استخدم المسلمون في وقت مبكر ما يسمى بالدبابة، وذلك في أثناء عملية فتح الأندلس وحصار مدينة ماردة، حيث أمر موسى بن نصير بعمل «دبابة، فدب المسلمون تحتها إلى برج من أبراجها»[209] والدبابة هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبود من الجوانب لحماية الجنود الذين يعملون تحته. وكانت تتحرك على بكرات أو اسطوانات خشبية، فتدفع إلى الإمام حتى تلتصق بالأسوار[210]. ولكن لم تنجح عملية هذه الدبابة في هدم أسوار مدينة ماردة، واستطاع العدو أن يقضي على المهاجمين، ويحطم الدبابة. ومن المرجح أن هذه التجربة الفاشلة في استخدام الدبابة في الأندلس، قد صرفت أنظار القائمين على الجيش الأندلسي فيما بعد عن استعمالها، حيث لا يتوفر في المصادر ما يشير إلى وجود هذا النوع من الآلات ضمن أسلحة الجيش الأندلسي.

تطورت صناعة الأسلحة للجيش الأندلسي في أواخر عصر الخلافة، لا سيما في أيام الحاجب المنصور. فكان الأندلسيون يستفيدون من الحديد المتوفر في منطقة اشبيلية لصناعة السيوف[211]. وكانت مصانع الدولة تنتج نحو ثلاثة آلاف خباء كل عام للجيش، أما دار التراسين في قرطبة، فتنتج في السنة ثلاثة عشر ألف ترس. وكان القائم على صناعة القسي في قرطبة رجل يدعى أبا العباس البغدادي، ويلقب بالمعلم الأكبر، وينتج ستة آلاف قوساً عربية، بينما ينتج طلحة الصقلبي في مدينة الزهراء ستة آلاف قوس أخرى على الطراز التركي.

---

(209) أخبار مجموعة، ص17، البيان المغرب: 2/ 14.

(210) انظر: السلاح عند العرب، ص24، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ص149 _ 151.

(211) نفح الطيب: 1/ 202.

أما نتاج النبال، فقد بلغ عشرين ألفاً في الشهر. يضاف إلى ذلك الكثير من هذه الأسلحة المخزونة في دور السلاح، والمعدة للتوزيع على أهل قرطبة، وغيرهم من حشود المتطوعين أيام «البروز» والزينة، فقد كان في مدينة الزاهرة وحدها أربعون ألف ترس، واثنا عشر ألف درع ومن الجواشن سبعمئة قطعة[212]. وقد أمر عبد الملك المظفر في سنة 393هـ/ 1002م بتوزيع خمسة آلاف درع، وخمسة آلاف بيضة، وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدارعين في جيشه، من خزائن السلاح، وذلك قبل التوجه إلى القتال في إحدى حملاته.

ولم يكن السلاح مقصوراً على العاصمة قرطبة، ومدينتي الزهراء والزاهرة حسب، بل كانت خزائن الثغور أيضاً مملوءة بالسلاح. وكثيراً ما كان الحاجب المنصور يعتمد في استكمال أسلحة حملاته على الثغور، لا سيما من مدينة سالم. فقد زودته هذه المدينة في إحدى حملاته على سبيل المثال، بستة منجنيقات، ومائتي ألف سهم، وخمسة آلاف ترس، زيادة على مواد أخرى كآلات الحديد، ومئتي زوج من أزواج المطاحن اللازمة لطحن الحنطة وعمل الخبز[213].

وقد ألمحنا سابقاً إلى أهمية الخيل، واعتماد الجيش الأندلسي عليها، واهتمام الأمراء والخلفاء بارتباطها، ودعوتهم للولاة والقواد والعمال بأقطار الأندلس إلى الإكثار منها، لا سيما في عهد الحكم المستنصر، والحاجب المنصور، حيث كان الأخير يستورد الخيل من شمال إفريقيا لاستخدامها في الصوائف، كما كان يستنتج الكثير من أنواعها الجيدة في منطقة اشبيلية لهذا الغرض أيضاً[214].

(212) أعمال الأعلام (برواية ابن حيان)، ص101 ـ 102.

(213) المصدر نفسه (برواية ابن حيان)، ص101.

(214) المصدر نفسه (برواية ابن حيان)، ص100 البيان المغرب: 2/ 235، 238.

العطاء

سبقت الإشارة إلى الكور المجندة، وكيف أن الجند الشاميين وزعوا على هذه الكور، ومنحوا حق استغلال الأراضي التي نزلوا عليها لقاء الخدمة العسكرية المستمرة، والاستعداد الدائم للمشاركة في الحملات التي تقوم بها الحكومة المركزية في قرطبة. وقد احتفظ لنا ابن الخطيب بنص مهم رواه عن ابن حيان وأحمد بن محمد بن موسى الرازي[215]، يشير فيه إلى طريقة استدعاء هؤلاء الجند، ومقدار ما كان يعطى لهم من مال. فكان عليهم أن يقدموا للجيش الأندلسي المركزي لوائين، لواء يغزو ولواء يقيم على أهبة الاستعداد. وكان لكل لواء أمير يأخذ مئتي دينار عن كل حملة. أما الجند، وأقارب صاحب اللواء، فكان الواحد منهم يأخذ عشرة دنانير، ويعفى عن أداء ضريبة العشر، وكان على البلديين أن يدفعوا هذه الضريبة، ولهم حق الانخراط في ألوية خاصة بهم، ولكن دون أن يرتزقوا شيئاً. أما رؤساؤهم، أصحاب الألوية فكانوا يتسلمون مئة دينار عن كل حملة.

ولدينا إشارة أخرى عن استمرار العمل بهذا النظام في منطقة الثغر الأعلى، فقد عقد الأمير محمد بن عبد الرحمن لبني تجيب، وأمّرهم على قومهم، وبنى لهم قلعة أيوب Calataud ودَرْوَقة Daroca، وغيرها من المدن والحصون وألزمهم بمحاربة بني قسي، المنتزين بالثغر الأعلى، وأجرى عليهم الأموال، لكل واحد منهم عند كل حملة مئة دينار[216]. ولقد استمر العمل بنظام الإقطاع العسكري الذي تمثله الكور المجندة، والقبائل العربية والبربرية الأخرى التي وزعت على مناطق الأندلس، وأبيح لها حق استخدام واستغلال الأرض، مقابل المساهمة في الحملات العسكرية للدولة إلى عهد الحاجب المنصور، الذي ألغى الإقطاع العسكري ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً

(215) الإحاطة في أخبار غرناطة: 1/ 104 ـ 105، وانظر أيضاً: فجر الأندلس، ص601.

(216) نصوص عن الأندلس، ص41.

ـ وخصص رواتب شهرية مقطوعة للجند. ولكن بعد سقوط الخلافة الأموية، لم تستطع القوى التي سيطرت على الأندلس الاستمرار في دفع رواتب الجند، فكثر شغبهم مما أدى إلى ضعف البلاد بشكل عام أمام الأعداء. وقد دعا هذا الأمر المرابطين إلى إعادة الإقطاع العسكري من جديد[217].

أما الفرق النظامية الدائمة التي كانت تقيم في العاصمة فلا تتوفر معلومات مفصلة عن مقدار أعطياتهم، كما هو الحال في المشرق مثلاً، ولكن من المؤكد أنهم كانوا يتسلمون عطاء سنوياً في عصري الإمارة والخلافة[218] وكان بعض الأمراء يأمرون بدفع عطاء مضاعف للجند بعد توليهم منصب الإمارة، كما فعل المنذر بن محمد مثلاً[219]. ويبدو أن عطاء الجندي وأرزاقه المدونة في الديوان كانت تنتقل إلى أولاده، إذا ما استشهد في الحملات الموجهة إلى الثغور[220]، وكان العطاء للجند يزداد أو يقل حسب ظروف الدولة وإمكانياتها، ومدى توفير الأمن والاستقرار في البلاد. فقد ضيّق الأمير عبد الله بن محمد على جنوده وقلل من أعطياتهم بسبب شدة حركة عمر بن حفصون، وتأثيرها على الجباية في الدولة، وحدّها من سلطة الحكومة[221]. ومن جهة أخرى نجد أن الأمير عبد الرحمن الأول يزيد من عطاء الجند، ويكافئهم، إذا ما أظهروا كفاية وشجاعة في المعارك فقد أعطى أحد فرسانه ألف دينار تقديراً لبسالته في أحدى المعارك، وألحقه بالشرف[222] ومن هنا يتبين أن شرف العطاء في الأندلس كان ألف دينار. ويبدو هذا الرقم كبيراً جداً إذ ما قورن بالمبلغ الذي كان يدفع لمن يستحق

(217) الطرطوشي، سراج الملوك، ص229.
(218) انظر: البيان المغرب: 2/ 91.
(219) أعمال الأعلام، ص24، وانظر: البيان المغرب: 2/ 114.
(220) أخبار مجموعة، ص120.
(221) المصدر نفسه، ص150 ـ 151.
(222) المصدر نفسه، ص119.

شرف العطاء في المشرق، حيث كان الحد الأعلى له هو ألفين وخمسمائة درهم، ثم أصبح منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ألفي درهم فقط[223]. ولهذا فمن المحتمل أن الحالة التي أشار إليها المؤلف المجهول لكتاب (أخبار مجموعة) في عهد عبد الرحمن الداخل، هي حالة خاصة مفردة لا يمكن القياس عليها. ولكنها مع ذلك تمثل مؤشراً مهماً لتقدير أعلى نسبة من العطاء يمكن أن يحصل عليها المقاتل إذا ما أبلى في المعركة بلاء حسناً.

أما الجند المتطوعون، فقد كانوا يتسلمون الصلات من الأمراء، لقاء مساهمتهم في الحملات، فضلاً عما يحصلون عليه من غنائم وأسلاب. ويذكر ابن عذاري[224]، على سبيل المثال أن عبد الملك المظفر وزع سنة 393هـ/ 1002م نحو خمسة عشر ألف دينار على شكل صلات عينية على مجموعات من المتطوعين القادمين من شمال إفريقيا.

كانت الأموال التي تخصص للعطاء، وللصرف على الحملات العسكرية، تأتي عادة من تخصيصات الجباية العامة للدولة. فعلى سبيل المثال، كان للخليفة الناصر لدين الله يخصص ثلث جبايته الكليَّة البالغة نحو ستة ملايين ومئتين وخمسة وأربعين ألف دينار للصرف على الجيش[225]. وكان «مغرم الحشد» أو «الناض للحشد» يعد ضريبة خاصة بالجيش، يجب على جميع الرعايا بكور الأندلس أداؤها، وهي الضرائب على المنقولات التي تباع نقداً[226]. وكانت قيمة هذه الضرائب كبيرة نسبياً، فقد كان إقليم المدور Almodovar del Rio على سبيل المثال، وهو إقليم واحد من أصل خمسة عشر إقليماً تتبع كورة قرطبة يقدم ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمان مثاقيل

(223) انظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة، بيروت، 1969، ص151 ـ 152.

(224) البيان المغرب: 3/ 4.

(225) المصدر نفسه: 2/ 231 ـ 232، أعمال الأعلام، ص38. نفح الطيب: 1/ 379.

(226) انظر. لسان العرب، مادة: (نضض).

من الذهب سنوياً[227] ولهذا فقد كان من أحد أساليب تحبب الأمراء إلى رعاياهم في قرطبة وبقية كور الأندلس، هو إسقاط نسبة مئوية من هذه الضريبة عنهم. فقد أسقط المنذر بن الأمير محمد عشر 1/10 هذه المغارم عن أهل البلاد بعد أن تمت بيعته بالإمارة[228]. وكذلك قام الحكم المستنصر بإسقاط سدس مغرم 1/6 الحشد عن جميع الرعايا بكور الأندلس لسنة 364هـ/ 974م تخفيفاً عنهم وإحساناً إليهم[229].

وفي عهد الحاجب المنصور ازدادت كثافة الحملات العسكرية على الممالك الإسبانية فازداد الصرف عليها، حتى إن الاستعداد للصائفة كان يصل إلى انفاق ما يزيد على خمسمئة ألف دينار[230]. وقد استطاع المنصور أن يوفر هذه المبالغ عن طريق إعفاء أهل الأندلس من التطوع للجهاد، ومطالبتهم بدلاً من ذلك بالاشتغال بعمارة أراضيهم وزراعتها وتقديم ضرائب سنوية عنها تستخدم للإنفاق على الجيش ودفع رواتب جنده من المرتزقين القادمين من شمال إفريقيا[231]. ولكن سياسة المنصور هذه لم تنجح على المدى الطويل وذلك لتسلط الجباة على الرعايا، والتشديد عليهم في أخذ الضرائب، مما أدى إلى قلة اهتمامهم بالأرض، وبالتالي قلة الأموال التي تجبى منهم، مما سبب ضعفاً عاماً في الدولة والجيش الأندلسي، لا سيما بعد وفاة المنصور وسقوط الخلافة الأموية.

---

(227) نصوص عن الأندلس، ص125.

(228) البيان المغرب: 2/ 114.

(229) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص207 ـ 208.

(230) أعمال الأعلام، ص98.

(231) مذكرات الأمير عبد الله، ص17. وقارن Levi-provencal, OP. Cit, Vol. III. PP. 82 - 85.

جريدة المصادر والمراجع

(أ) المصادر الأولية:

* ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت658هـ/ 1260م)

1 ـ الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

* ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم (ت630هـ/ 1233م)

2 ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979.

* البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 1094م).

3 ـ جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1968.

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 868م).

4 ـ رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة أو (مفاخر الترك) مجموعة رسائل الجاحظ، نشر: الحاج محمد أفندي ساسي المغربي التونسي، مصر، 1324هـ.

* الجواليقي، أبو منصور موهوب بن الخضر (ت539هـ/ 1144م).

5 ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1969.

* الحميري، محمد بن عبد الله (ت710هـ/ 1310م).

6 ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار نشره وترجمه إلى الفرنسية: ليفي بروفنسال، القاهرة ـ ليدن، 1938.

* ابن حوقل، محمد بن علي (ت367هـ/ 977م).

7 ـ صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت. 1979.

* ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/ 1079م).
8 ـ المقتبس، نشر: ملشور أنطونيا، باريس 1937.
9 ـ المقتبس، تحقيق، عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965.
10 ـ المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973.
11 ـ المقتبس، نشر: ب شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ـ الرباط، 1979.
* الخشني، محمد بن حارث (ت360هـ/ 971م).
12 ـ قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966.
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت776هـ/ 1374م)
13 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الجزء الأول، القاهرة، 1973.
14 ـ أعمال الإعلام، القسم الثاني، الأندلس، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956.
15 ـ اللمحة البدرية في الدولة النصريّة، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، 1978.
* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).
16 ـ مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
17 ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1961. ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني (كان حياً في 1110هـ/ 1698م)
18 ـ المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، 1967. الرقيق القيرواني، أبو اسحق إبراهيم (ت بعد 417هـ/ 1026م)
19 ـ تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968. ابن سعيد المغربي وغيره (ت685هـ/ 1286م)
20 ـ المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964. ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت594هـ/ 1198م)
21 ـ تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، السفر الثاني، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964.
* الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م)
22 ـ تاريخ الرسل والملوك، نشر: دي غويه، ليدن، 1879 ـ 1901، الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد القهري ت520هـ/ 1126م).
23 ـ سراج الملوك، القاهرة، 1935 عبد الله، الأمير عبد الله بن بلقين (ت بعد

488هـ/ 1095م)
24 ـ مذكرات الأمير عبد الله، أو كتاب التبيان ، نشر: ليفي بروفنسال القاهرة، 1955.

* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً في 712هـ/ 1312م).
25 ـ البيان المغرب، الجزء الأول والثاني، نشر: كولن وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، الجزء الثالث، نشر: ليفي بروفنسال، باريس، 1930.
26 ـ البيان المغرب، القسم الموحدي، نشر: أمبروسي هويسي مرانده مع محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني، دار كريماديس، تطوان، 1960.

* العذري، أحمد بن عمر (ت478هـ/ 1085م).
27 ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965.

* ابن غالب، محمد بن أيوب (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)
28 ـ كتاب فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة ـ معهد المخطوطات العربية، العدد الأول، القسم الثاني، القاهرة، 1955 ـ 1956.

* الغساني، محمد بن عبد الوهاب (القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)
29 ـ رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد، رقم (5304).

* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/ 977م)
30 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشره وترجمه إلى الإسبانية، خوليان رايبيرا، مدريد، 1926.

* ابن الكردبوس، عبد الملك بن الكردبوس التوزري (ت573هـ/ 1177م)
31 ـ تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، 1971.

* مجهول:
32 ـ أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي، القنطرة، مدريد، 1867.

* مجهول:
33 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.

* مجهول:
34 ـ الرسالة الشريفية، نشرت بدون اسم مؤلف ملحقاً لكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد، 1926 ص191 ـ 214. وهي على ما يعتقد

جزء من كتاب رحلة الوزير في افتكاك الأسير، للغساني.

* مجهول:

35 ـ مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1937 المقري أحمد بن محمد (ت1041هـ/ 1631م).

36 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

* ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ/ 1311م)

37 ـ لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ.

* النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت733/ 1332).

38 ـ نهاية الأرب، الجزء الثاني والعشرون، القسم الأول، نشره وترجمه إلى الإسبانية، جاسبار راميرو، غرناطة، 1917.

(ب) المراجع الثانوية:

* بيضون إبراهيم

39 ـ الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.

* ثابت، نعمان.

40 ـ الجندية في الدولة العباسية، بغداد، 1939.

* الجنابي، خالد جاسم.

41 ـ تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1984.

42 ـ تنظيمات الجيش في العصر العباسي، جامعة بغداد 1971 .

* الدوري، ابراهيم ياس خضير.

43 ـ عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1982.

* زكي، عبد الرحمن.

44 ـ السلاح في الإسلام، القاهرة. 1951.

* سالم، السيد عبد العزيز.

45 ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، الجزء الأول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

46 ـ تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس بالاشتراك مع أحمد مختار

العبادي)، بيروت، 1970.

* السامرائي، خليل إبراهيم صالح.

47 ـ التعبئة العسكرية الإسلامية في الأندلس، مجلة مكتبة زانكو العدد 2، جامعة السليمانية، تموز، 1977.

48 ـ الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد، 1976.

* السامرائي، عبد الجبار محمود.

49 ـ نظم التعبئة عند العرب، مجلة المورد، المجلد 12، العدد الرابع، بغداد، 1983.

* سويد، ياسين.

50 ـ معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977

طه، عبد الواحد ذنون.

51 ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ميلانو ـ بغداد، 1982.

52 ـ العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، منشورات مكتبة بسام، الموصل، 1985.

53 ـ الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، العدد23، بغداد، 1983.

* الطيبي، أمين توفيق.

54 ـ دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس، 1984.

* العارف، حازم إبراهيم.

55 ـ الجيش العربي الإسلامي، دار الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، 1405هـ

* العبادي، أحمد مختار.

56 ـ الصقالبة في إسبانيا، مدريد، 1953.

57 ـ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1968.

58 ـ في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.

* عباس، إحسان.

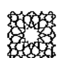
59 ـ تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، 1981.

* العلي، بسام.

60 ـ فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر العربي، بيروت، 1974.

* العلي، صالح أحمد.
61 ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة، بيروت، 1969.
* عنان، محمد عبد الله.
62 ـ دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، القاهرة، 1969.
* عون، عبد الرؤوف.
63 ـ الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف بمصر 1961.
* كمال، أحمد عادل.
64 ـ الطريق إلى دمشق، دار النفائس، بيروت 1982.
* مؤنس، حسين.
65 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.
* هندي، إحسان.
66 ـ الحياة العسكرية عند العرب، أو الجيش العربي في ألف عام، مطبعة الجمهورية، دمشق.
* Levi-Provencal, Evaritse.
67 - Histoire de l'Espagne Musulmane, Vo.I III' Paris, 1967.

نشأة التدوين التاريخي في الأندلس
دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد الرازي



نشر في مجلة دراسات التي تصدرها الجامعة الأردنية،
المجلد السابع، العدد الأول، عمان ـ 1980.

هذه محاولة لتسليط الأضواء على دور العرب والمسلمين في كتابة التاريخ في إسبانيا المسلمة، أي الأندلس، التي كانت أحد أركان العالم العربي الإسلامي في العصور الوسطى. ونظراً لشمول الموضوع وتشعبه، اقتصرت هذه الدراسة على استعراض سريع لكيفية نشوء وتطور الكتابة التاريخية وروادها الأوائل. ثم ركزت على مرحلة واحدة متطورة برزت فيها أسرة الرازي المؤلفة من محمد بن موسى الرازي، وابنه أحمد، وحفيده عيسى، ولهؤلاء الثلاثة مؤلفات قيمة عن تاريخ الأندلس. ويعد أحمد الرازي، الذي اتخذ نموذجاً تطبيقياً لهذه الدراسة، من أبرز أعضاء هذه الأسرة من حيث كثرة مؤلفاته التاريخية والجغرافية وتنوعها. وفي البحث تحليل لهذه المؤلفات، ومصادرها، وطريقة كتابتها، وأهم ما تبقى منها،

وفائدتها لخدمة التاريخ العربي في إسبانيا، ودور هذا التاريخ في خدمة الحضارة الإنسانية عامة.

كان الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا عام 92هـ/ 711م نقطة البداية لتاريخ عريض غني بكل مظاهر الحضارة والرقي والتقدم. فلقد أصبحت شبه الجزيرة الأيبيرية مركز إشعاع وإيحاء لما يجاورها من دول أوروبا الغارقة في ظلام العصور الوسطى. وكان المسلمون خلال وجودهم الذي استمر ما يقارب الثمانية قرون في هذه البلاد، قد أولوا اهتماماً واسعاً للعلوم والآداب والفنون، ولم يكن التاريخ، بطبيعة الحال، بعيداً عن هذا الاهتمام. فلقد برز في الأندلس ـ الاسم الذي أطلقه المسلمون على المناطق التي يسيطرون عليها من شبه الجزيرة الأيبيرية ـ مؤرخون كبار أسهموا في تدوين تاريخ هذا الجزء من العالم، ونقلوا بأمانة تصوراتهم عن الأحداث التي رافقت وجود المسلمين في هذه البلاد.

ولكن يوجد اختلاف في أول من كتب في تاريخ الأندلس من الأندلسيين، وكذلك فيما إذا كانت البدايات أندلسية خالصة، أم إنها ظهرت نتيجة لتأثيرات جاءت من المشرق، ومن مصر بالذات. ويعتبر عبد الملك ابن حبيب السلمي (ت238هـ/ 852م) أوضح مثال على هذا التأثير. فهو أندلسي المولد والنشأة وأول مؤرخ عربي تنجبه أرض إسبانيا، يؤلف كتاباً يتعرض فيه إلى تاريخ بلاده. لكن القيمة العلمية لهذا (التاريخ) تبدو ضئيلة جداً نظراً لما يشوبه من أساطير وخوارق. ابتدأ ابن حبيب كتابه بالحديث عن قصة العالم، وتاريخ الأنبياء، والرسل، وسيرة النبي محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين، مركِّزا اهتمامه على مسائل الفقه والأحاديث النبوية، ومع هذا فقد كتب بعض الفصول عن تاريخ الأندلس، بدأها بالكلام عن فتح البلاد، ودور كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير في هذا الفتح، ثم تطرق باختصار إلى بعض ولاة وأمراء الأندلس في العهد الأموي. ولكن هذه المادة التي يقدمها ابن حبيب، تختلط بالأساطير والخرافات، وبشكل خاص، ما تعلق

منها بدور موسى بن نصير وفتوحاته بالأندلس[1]. ولقد أخذ ابن حبيب معظم هذه الأخبار والروايات عن شيوخه المصريين، من أمثال الليث بن سعد (ت175هـ/ 791م) وعبد الله بن وهب (197هـ/ 812م)، مما يشير إلى أن كتابة التاريخ الأندلسي في هذه المرحلة كانت متأثرة جداً بالفقهاء والرواة المصريين. والنسخة الوحيدة لمخطوطة تاريخ عبد الملك بن حبيب موجودة في مكتبة البودليانا في أوكسفورد تحت رقم (127). ويرى الدكتور محمود علي مكي، الذي قام بدراسة وافية عن الكتاب، ونشر الجزء المتعلق منه بالأندلس، أن هذه النسخة ما هي إلا مختصر صغير لكتاب ابن حبيب الحقيقي، وأن الذي قام بوضع هذه النسخة إنما هم بعض تلامذة ابن حبيب[2].

وقد ذكر بعض المؤرخين محاولات رائدة أخرى في كتابة تاريخ الأندلس ترجع في زمنها إلى القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي. ويقول الحميدي في ترجمته لموسى بن نصير، بأن مؤرخا من أحفاده، يدعى معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، قد ألف كتاباً

---

(1) ابن حبيب، استفتاح الأندلس، نشره محمود علي مكي في مجلة العهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد5، 1957، ص221 ـ 243، انظر: ص229، 230، 231.

(2) M.A.Makki, Egipto y los origenes de la historiografia arabes-espanola, Revista del Instituto de Estudios Islamicos, V. Madrid, 1957, pp. 197 - 200.

وعن عبد الملك بن حبيب وكتابه بصورة عامة راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، القسم الأول، ص269 ـ 272، الحميري، جذوة المقتبس، القاهرة، 1966، ص282 ـ 284، ابن عذاري، البيان المغرب، نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، ج2، ص110 ـ 111، بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969، ج3، ص86، Pons. Boihgues, Los historiadores y geografos arabigo espanoles, Amesterdam, 1972, Reprint of Madrid edition, 1898, pp. 29 - 38: A,G Palencia, Historia de la literature arabigo-espanola, 2nd edition, Barcelona, 1945 pp. 141 - 144. وانظر ترجمة حسين مؤنس العربية لهذا الكتاب تحت عنوان: تاريخ الفكر الأندلسي، القاهرة، 1955، ص193 ـ 195.

في تاريخ الأندلس، تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح البلاد[3]. ويرى الدكتور محمود علي مكي أن القسم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نصير من كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، مأخوذ من كتاب معارك بن مروان، حفيد موسى بن نصير[4]، ولكن ربما كان مؤلف (الإمامة والسياسة) قد أفاد أيضاً من مصادر أخرى. وعلى أية حال تطغى على هذا القسم من الكتاب أيضاً صفة الأساطير والروايات الخرافية التي تهدف إلى إبراز دور موسى بن نصير وإضفاء صفة البطولة الأسطورية عليه[5].

ومن المؤرخين الأندلسيين الذين ألّفوا في أخبار بلادهم في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، عبد الله بن عبيد الله الأزدي، الملقب بالحكيم (ت341هـ/ 952م)، الذي كان عالماً باللغة وحفظ الأخبار وقول الشعر[6]. ألف كتاباً في الأنساب عنوانه (أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم)، أهداه إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله سنة 330هـ/ 941م. وقد ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس وقريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف لهم، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس[7]. ولم يتطرق إلى ذكر هذا المؤرخ إلا قليل من الباحثين، وربما يعود سبب ذلك إلى أن كتابه هذا قد ضاع في جملة ما ضاع من كتب الأندلس، ولم يبق منه إلاّ شذرات قليلة، ولكنها غنية في معلوماتها عن

(3) الحميدي، المصدر السابق، ص338.

(4) انظر: M.A.Makki, Op. Cit, pp. 21f.

(5) انظر الجزء الخاص بالأندلس من كتاب الإمامة والسياسة المنشور مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد، 1926، ص118 ـ 120.

(6) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956 ج2، ص783.

(7) الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت بدون تاريخ ص 213، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1973، ص208.

استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس، نقلها بعض المؤرخين من أمثال الأنصاري في كتابه (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة)[8].

ومن الذين كتبوا عن الأندلس، محمد بن حارث الخشني (361هـ/ 971م)، وأبو بكر بن القوطية (367هـ/ 977م). وقد ألف الأول كتاباً في (قضاة قرطبة)[9]، كما كتب أيضاً عن (طبقات المحدِّثين بالأندلس). وهذا الكتاب الثاني ما يزال مخطوطاً لم يطلع عليه الكثير من الباحثين، وهو محفوظ في المكتبة الملحقة بالقصر الملكي في الرباط بالمغرب، ويحتوي على مئة واثنتين وثمانين ورقة.

وعلى الرغم من أنه مكرَّس للحديث عن العلماء والمحدِّثين، إلا أنه يضم أيضاً معلومات تاريخية واجتماعية جمة، تساعد على التعرف على طبيعة الحياة التي كانت سائدة في الأندلس آنذاك أما ابن القوطية، فقد ألف كتاباً في (تاريخ افتتاح الأندلس)، تناول فيه أحداث الفتح وتاريخ الأندلس اللاحق إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد (أي سنة 300هـ/ 929م). ولكن من المعتقد بأن هذا الكتاب لم يكن من إنشاء ابن القوطية نفسه، وربما يكون قد كتبه بعض تلامذته سماعاً عنه[10]، وهذا ما دعا أحد الباحثين المحدثين إلى استبعاد ابن القوطية من جملة أوائل المؤرخين الأندلسيين الذين كتبوا عن تاريخ بلادهم[11]. وكذلك فقد استبعد الخشني أيضاً باعتباره

(8) انظر على سبيل المثال: السفر الأول، القسم الأول، ص213، السفر الخامس، القسم الأول (تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965). ص250، السفر الخامس، القسم الثاني، ص574، 654، السفر السادس، ص208.

(9) نشر هذا الكتاب مع ترجمة إسبانية، خوليان رايبيرا تحت عنوان Historia de los Fueces de Cordoba, Madrid, 1914.، كما نشر أيضاً مع كتاب تاريخ علماء إفريقية لنفس المؤلف، من قبل عزت العطار، القاهرة، 1952.

(10) cf.Pons Boigues, Op. cit pp. 83 - 84: Palencia, Op. Cit. pp. 148 - 149. الترجمة العربية، ص202 ـ 204، انظر: بروكلمان، المرجع السابق، ج3، ص89 ـ 90.

(11) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، بيروت، 1974 ص616 ـ 617.

ليس أندلسياً[12]. إنما هو قيرواني الأصل من شمال إفريقية، رحل إلى الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350/ 366هـ ـ 961 ـ 976م)[13].
ومع هذا لا يمكن للمرء أن يتفق مع الدكتور مصطفى الشكعة فيما ذهب إليه من أنّ الأندلسيين لم يؤلفوا في تاريخهم أو أدبهم قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأن الكتاب الأندلسي الأول الذي لا يمكن أن تحوم حوله الشكوك في رأيه ـ هو كتاب (تاريخ علماء الأندلس)، الذي ألفه أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي[14] (ت403هـ/ 1012م). والدليل على عدم إمكانية القطع الجازم بهذا الرأي، هو ما سبق ذكره عن محاولات عبد الملك بن حبيب، ومعارك بن مروان وعبد الله بن عبيد الله الحكيم، في كتابة تاريخ بلادهم الأندلس على الرغم مما قد يشوب هذه الكتابات من نقصان أو ضياع.

إن المحاولات الجادة الأولى لوضع أساس علم التاريخ في الأندلس ظهرت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لا بعده، وذلك على يد أحمد بن محمد بن موسى الرازي، الذي كان مؤرخاً وجغرافياً في الوقت نفسه. وهو وإن كان مشرقي الأصل، لكنه أندلسي الولادة والنشأة والثقافة، عاش في الأندلس ومات بها. وقضى عمره في تدوين تاريخها، ووصف جغرافيتها، فهو مؤرخ الأندلس الأول، وجغرافيُّها الذي لا ينازع.

كان والد أحمد، محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي، تاجراً متجولاً من المشرق من أهل الري، في إيران الحالية[15]،

(12) نفس المرجع، ص 615 ـ 616.

(13) انظر: ابن الفرضي، القسم الثاني، ص112 ـ 113، الحميدي، ص53.

(14) مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص619.

(15) ابن الأبار، التكملة، ج2، ص670، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968، ج3، ص111 (رواية ابن حيان): وانظر أيضاً: الحميدي، ص104، ياقوت، معجم الأدباء، بيروت، ج4 ص235 ـ 236 Pons Boigues, Op. cit p. 45.

وإلى هذه المدينة تعود نسبته «الرازي». وفد على الأندلس سنة 250هـ/ 864م ببضائع مختلفة نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م). فأجزل له المكافئة، وقرَّبه إليه، خاصة بعد أن نقل إليه رسالة من إبراهيم بن الأغلب، أمير إفريقية. ثم كلفه الأمير الأموي محمد بسفارة إلى ابن الأغلب لإحكام الصلة بين الأندلس وبين دولة الأغالبة في تونس. وقد توثقت مكانة محمد الرازي عند الأمير محمد، وأخذ يتردد بين الأندلس وبلاد المشرق. وعندما توفي الأمير محمد سنة 273هـ/ 886م استدعى الأمير المنذر بن محمد محمداً الرازي إلى الأندلس، فدخلها لثالث مرة، وعلت منزلته فأصبح جليس الأمير ومشاوره. وبعد وفاة المنذر، خرج محمد الرازي من قرطبة ينوي الرجوع إلى المشرق، لكنه مرض في طريقه بمدينة البيرة Elvira، وتوفي بها سنة 277هـ/ 890م. وكان ابنه أحمد ما يزال آنذاك طفلاً في الثالثة من عمره، فظل في الأندلس، ونشأ بها[16].

ولكن قبل الحديث عن أحمد بن محمد الرازي ودوره في تدوين التاريخ الأندلسي، يحسن مناقشة مسألة هامة، ألا وهي مكانة والده محمد في الأدب والتاريخ، وهل كان مجرد تاجر أو سفير ومشاور للملوك، أم إنه كان يمتلك مواهب أخرى وله مؤلفات تاريخية؟ يعتقد بعض الباحثين مثل ليفي بروفنسال Levi-Provencal وغرسيه غومس Garcia Gomez[17]، بأن محمداً الرازي لم يكن له أي دور في كتابة التاريخ. ودليلهم على هذا، أن رواية حفيده عيسى بن أحمد الرازي، المذكورة أعلاه لا تشير إلى أي نشاط

---

(16) رواية عيسى بن أحمد الرازي لوفادة جده على الأمير محمد، من كتاب المقتبس، لابن حيان، نشرها ليفي بروفنسال في مجلة Arabica تحت عنوان: Sur l'installation des Razi en Espagne, II, 1955, PP 228 - 230.

وانظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص226 ـ 269.

(17) Sanchez-Albornoz, Precisiones sobre Fath al-Andalus, Revista del Instituto de Estudios Islamicos IX Madrid, 1961 - 1962, pp. 18 - 20.

لمحمد في مجال التدوين. ولكن إذا ما استثنينا هذه الرواية، فإن هناك إشارات أخرى واضحة تدل على أن محمداً الرازي قد ألف كتاباً في التاريخ يسمَّى (بكتاب الرايات). يذكر الكاتب الأندلسي، محمد بن عيسى بن مزين[18]، أنه وجد سنة 471 هـ/ 1078م كتاباً من تأليف محمد بن موسى الرازي بعنوان (كتاب الرايات) في إحدى مكتبات إشبيلية Seville، وفي هذا الكتاب معلومات قيِّمة عن فتح الأندلس من قبل القائد موسى بن نصير، وكيفية دخوله إلى البلاد، وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته. وفيه تفصيلات عن هذه القبائل، وتجمعاتها، وراياتها التي كانت تحارب تحت ظلها، وإلى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب. ومما يؤسف له أن هذا العمل الجليل يعتبر الآن في عداد المفقودات، ولكننا، لحسن الحظ، ما نزال نمتلك بعضاً من فقراته التي نقلها محمد بن مزين، وأعاد اقتباسها عنه الكاتب المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني في حديثه عن إحدى سفاراته إلى إسبانيا عام 1103هـ/ 1691م[19].

ويبدو أن هذا الكتاب الذي ذكره ابن مزين، هو الأول في مجال الكتب التي بحثت موضوع توزيع القبائل العربية واستقرارها في الأندلس ومن

---

(18) عن محمد بن مزين انظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة 1963، ج1، ص88.Pons Boigues, Op. Cit, p171 .

(19) انظر: الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد رقم (5304) ص99 ـ 102، وقد نشر هذا الكتاب من قبل الفريد البستاني في تطوان عام 1951. ويمكن أن نجد قسماً من رواية ابن مزين في كتاب فتح الأندلس (مجهول المؤلف)، نشره دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889، ص13، وفي الرسالة الشريفة، ص197 ـ 200، وهي جزء من كتاب الغساني المذكور أعلاه نشرت ملحقاً لكتاب ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، من قبل خوليان رايبيرا، مدريد، 1926، ص191 ـ 214. وانظر أيضاً: Pons Boigues, op. cit, pp 45 - 47, 171, palencia, Op. Cit, pp. 144 - 145. Sanchez-Albornoz, Op, Cit, pp. 18 - 20, F.Rosenthal, A History of Muslim Historiography, 2nd edition, Leiden, 1968, p. 164. وقد ترجم الدكتور صالح أحمد العلي هذا الكتاب إلى العربية بعنوان: علم التاريخ عند المسلمين، بغداد، 1963، ص224.

المرجح أن عدداً من المؤلفين الذين كتبوا عن هذا الموضوع فيما بعد، وعلى رأسهم بطبيعة الحال، أحمد الرازي، استعانوا (بكتاب الرايات) ونقلوا عنه، وإن لم يشيروا إليه في كتبهم.

ولد أحمد بن محمد الرازي يوم الاثنين العاشر من ذي الحجة سنة 274هـ/ السادس والعشرين من نيسان سنة 888م[20]. ولم نتوفر على معلومات كثيرة عن حياته ونشأته الأولى، لكننا نعرف من رواية ابنه عيسى، أنه ولد قبل ثلاث سنوات من وفاة والده في مدينة البيرة. وكان منذ صغره يطلب العلم ويميل إلى الأدب، ثم غلب عليه حب البحث عن الأخبار التاريخية والتنقيب عنها[21]. وتتلمذ في هذا على شيوخ محدِّثين قرطبيين ذوي مكانة عالية، من أمثال قاسم بن أصبغ (ت340هـ/ 951م)، وأحمد بن خالد (ت322هـ/ 933م)[22].

ويبدو أن تأثير قاسم بن أصبغ كان كبيراً على أحمد الرازي، فلقد اشتهر قاسم بمؤلفات عديدة تتناول شتى العلوم الدينية والدنيوية[23]، نخص بالذكر منها موضوع الأنساب يذكر بن حزم أن ابن أصبغ ألف كتاباً في الأنساب[24] ولا شك أن الرازي قد استفاد من هذا الكتاب، المفقود حالياً، كما استفاد من كتاب والده المذكور أعلاه. ويدل على ذلك مادة الرازي الغزيرة في موضوع الأنساب التي ضمَّنها في كتابة المفقود (الاستيعاب في

(20) ابن الفرضي، القسم الأول، ص40، ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص236.

(21) المقتبس تحقيق: مكي (رواية عيسى بن أحمد الرازي) ص269، انظر أيضاً عن نفس الرواية مجلة: Arabia, II, 1955, p230.

(22) عن أحمد بن خالد انظر: الحميدي، ص121 ـ 122، الضبي، بغية الملتمس، نشر: فرانسكو كوديرا، مدريد، 1885، ص163 ـ 164، ابن الفرضي، القسم الأول، ص31.

(23) نفس المصدر، ص364 ـ 367، الحميدي، ص330 ـ 331: الضبي، ص433 ـ 434، معجم الأدباء، ج16، ص336 ـ 337: Pons Boigues, p. 60.

(24) رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، ج3، ص156 ـ 186، انظر ص174.

أنساب مشاهير الأندلس)، وحفظها لنا العديد من المؤرخين وكتّاب التراجم في مؤلفاتهم الباقية، مثل (تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي)، (والمقتبس) لابن حيان، (والتكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار، (والإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب.

ومن الأمور الأخرى التي برز فيها قاسم بن أصبغ، الترجمة، ويعتقد بعض الباحثين استناداً إلى نصين وردَا في (كتاب العبر) لابن خلدون[25]، أن قاسماً بن أصبغ قد قام بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران، قاضي النصارى في قرطبة، بترجمة (كتاب التاريخ) لهروشيش[26]، (باولوس أوروسيسوس Paulus Horosius) للحكم المستنصر عندما كان ما يزال ولياً للعهد[27]. ويرى الدكتور حسين مؤنس أن الرازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه، حيث إنه استعان بالمادة البسيطة التي يقدمها هروشيش، إضافة، إلى المادة المشرقية التي كانت تتوفر في الأندلس في ذلك الوقت نتيجة الرحلات والاتصالات ما بين الأندلس والمشرق، وبنى الرازي من كل ذلك جغرافية متكاملة لشبه الجزيرة، وضعها مقدمة لتاريخه عن الأندلس، كما فعل هروشيش فصارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس بعد

---

(25) ابن خلدون العبر، بيروت، 1956 ـ 1960، ج2، ص169، 402.

(26) هو المؤرخ الإسباني الذي عاش في القرن الرابع والخامس الميلاد، وكتابه المؤلف باللاتينية Historiea adversus Paganos كان ضمن ما أرسله ملك القسطنطينية البيزنطي أرمانيوس Romanos سنة 377هـ/ 948م، إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر. ويوجد في مكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك نسخة وحيدة من الترجمة العربية لكتاب هروشيش تحت رقم X, 893. 71 2h وقد استفاد مؤلفون آخرون من هذه الترجمة من أمثال ابن خلدون، وابن جلجل، المتوفى بعد سنة 384هـ/ 994م. انظر كتابه: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، 1955، ص2، 11، 12، 36.

(27) راجع مقدمة المصدر السابق بقلم فؤاد السيد، ص كط ـ لج، وانظر أيضاً: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967، ص30/ 31، ومقالة: G.Levi Della Vida, Ta Iraduzione Arabe dlla Storie di Orosio, Al-Andalus, XIX, 1954, fasc, 2, pp. 257 - 260.

ذلك، وهي التقديم للتاريخ بالجغرافية على وصف الميدان قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد[28].

والآن لننظر في مدى إسهام الرازي في تدوين تاريخ بلاده الأندلس. فهو بحق من أبرز من كتب في هذا المجال، ولقد لقِّب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، وللمجلدات العديدة التي دوَّنها في تاريخ الأندلس[29] يذكر ابن حزم أن الرازي ألف كتاباً في (أخبار ملوك الأندلس)، وآخر في (صفة قرطبة)، يتحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها[30]. كما أنه كتب أيضاً موسوعة ضخمة عن أنساب العرب في الأندلس، بعنوان (كتاب الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس) الذي يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة[31] وللرازي أيضاً كتاب ضخم عن طرق الأندلس، وموانئها، ومدنها الرئيسة، وتجمعات جندها، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره، وهو الكتاب المسمى (بمسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة)[32]. ويضيف ابن الأبار، أن للرازي كتاباً آخر عن

(28) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص54 ـ 55.

(29) الحميدي، ص104، ابن الفرضي، القسم الأول، ص42، نفح الطيب (رواية ابن حيان)، ج3، ص111، وانظر أيضاً الترجمة العربية، ص197، Pons Boigues, Op, Cit, p.62 Palencia, OP. Cit. p.144.

(30) رسالة في فضل الأندلس، (نفح الطيب، ج3، ص173)، وانظر أيضاً: الحميدي ص104، الضبي، ص140، Pons Boigues, Op. Cit, pp. 62 - 63 Palencia, Op, cit p. 144. الترجمة العربية ص197، بروكلمان، المرجع السابق، ج3، ص87، ليفي بروفنسال، مادة: «الرازي» في دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية ص210) Rosenthal, Op, Cit p. 153. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص57.

(31) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس (نفح الرطيب، ج3، ص174)، الحميدي ص104، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص254، ج2، ص366، اليعمري، الجواب على الأسئلة في الفقه، مخطوط مكتبة الإسكوريال رقم (1160)، ورقة 99أ، وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية، مادة: «الرازي».

(32) ابن حزم، المصدر السابق، (نفح الطيب، ج3، ص160 ـ 161)، الحميدي ص104، دائرة المعارف الإسلامية، مادة: «الرازي»، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص57.

مشاهير الموالي في الأندلس، وهو كتاب (أعيان الموالي)[33].

إن هذا الاستعراض السريع لإنتاج الرازي ليدلنا لأول وهلة على ضخامة ما قام به في حقل التدوين. فهو قد غطى تاريخ الأندلس وجغرافيته إلى العصر الذي عاش فيه، ولم يترك ناحية من نواحي بلاده إلا وصفها، ولا حادثة من حوادث تاريخها إلا دوَّنها. ولكن مما يؤسف له أننا لا نملك كتاباً واحداً كاملاً من هذه الكتب، فلقد ذهبت جميعها مع الكثير من كتب الأندلس، نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث ، ولما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربي الإسلامي عنها. وقد أدى هذا الأمر إلى الاتلاف المتعمد لكثير من المخطوطات العربية، كما حدث مثلاً في غرناطة سنة 950هـ/ 1499م على يد الكاردينال خمينيث Cardinal Jimenez، الذي أمر بإحراق ما يزيد على ثمانية آلاف كتاب عربي في ساحات المدينة[34].

إن خسارتنا لمعظم كتب الرازي قد عوضت نتيجة لما قام به المؤرخون المتأخرون من اقتباس الكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم. وهكذا فقد حفظوا لنا معلومات جمة عن تاريخ المسلمين ومظاهر حضارتهم خلال القرون الأولى من تواجدهم على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية. فكانت معظم كتب الرازي المذكورة أعلاه، المصادر الأساسية الأولى لكثير من الكتّاب العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس. وجدير بالتنويه هنا أن كتابه في (أخبار ملوك الأندلس)، كان مصدراً استمد منه المؤلفون المجهولون لكتب (فتح الأندلس)[35]، (أخبار مجموعة)[36]، (وذكر بلاد

---

(33) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص40، انظر أيضاً: Pons Boigue, Op. Cit, p.63. بروكلمان، المرجع السابق، ج3، ص87.

(34) Pascual Gayangos, the History of the Muhammedan Dynasties in Spain, New york, 1964, Reprint of London edition 1840 - 43, Vol. I. PP. VIII ----- IX.

(35) نشره وترجمه إلى الإسبانية: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.

(36) نشره وترجمه إلى الإسبانية: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.

الأندلس)[37]، كثيراً من مادتهم التاريخية. يضاف إلى ذلك، أن كتاب الرازي هذا كان أيضاً من المراجع الرئيسة لمؤرخين وجغرافيين أفذاذ من أمثال ابن حيان، ابن الأبار، ابن الأثير، ابن عذاري، ياقوت الحموي، ابن الخطيب، الحميري، والمقري[38].

ومن تدقيق نصوص الرازي المقتبسة في بعض مؤلفات هؤلاء الكتاب، يتبين لنا أهمية مادة الرازي، وما تقدمه من معلومات في خدمة تاريخ بلاده. وقد استقى هذه المادة الشاملة، التي تغطي معظم التاريخ الأندلسي إلى عصره، من مصادر متعددة. ويمكن أن نلاحظ مصادر مشرقية أيضاً في رواياته، وبشكل خاص تلك الأخبار التي بثها بعض التابعين الذين ساهموا في فتح الأندلس، بعد رجوعهم إلى المشرق. ومن هذه الأخبار، روايات فتح الأندلس، وفتوحات موسى بن نصير بالدرجة الأولى التي ينقلها الرازي عن محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/ 823م) الذي أخذها بدوره عن موسى ابن علي بن رباح عن أبيه[39]. وعلي بن رباح، هو أحد التابعين الذين صحبوا موسى بن نصير في حملته إلى الأندلس سنة 93هـ/ 712م[40]. وشبيه بهذه الروايات أيضاً ما ينقله الرازي عن عبد الملك بن حبيب السلمي، الفقيه والمؤرخ الأندلسي، الذي يرفع أخباره إلى بعض التابعين الداخلين إلى الأندلس وتعتبر روايات تخميس أراضي الأندلس بعد الفتح لإخراج حصة الخلافة، من أهم الروايات في هذا المجال[41].

يتضح من هذا أن كتابة التاريخ في الأندلس لم تكن معزولة عن التأليف التاريخي في المشرق في هذه المرحلة، بل كانت هناك صلات قوية توثقت

---

(37) مخطوط الخزانة العامة في الرباط، رقم (85ج)، وكذلك المكتبة الملكية في الرباط رقم(558).

(38) انظر: Sanchez-Albornoz, Op. Cit, pp. 10 - 11.

(39) الرازي برواية ابن عذاري، ج2، ص6، 13.

(40) نفح الطيب، ج1، ص8، 278.

(41) انظر الرسالة الشريفية، ص205.

بالرحلات التي كان يقوم بها العلماء من الأندلس إلى المشرق وبالعكس. من ذلك مثلاً، رحلة شيخ الرازي، قاسم بن أصبغ، الذي التقى بعلماء القيروان ومصر والحجاز والشام والعراق، وأخذ عنهم، واطَّلع على مؤلفاتهم ونقل ذلك كله إلى تلامذته، وإلى بقية العلماء بالأندلس، فتأثروا به[42].

ولكن الرازي يعتمد أيضاً أخباراً أندلسية صرفة، يأخذها من رجال أندلسيين، مثال ذلك ما يرويه عن الفقيه محمد بن عيسى (ربما هو عم الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المتوفي سنة 314هـ/ 927م)[43]، عما فعله المسلمون الفاتحون بكنيسة قرطبة الرئيسة، حيث شطروها إلى شطرين، شطر بنى فيه المسلمون مسجداً، وبقي الشطر الآخر للمسيحيين[44]. ولا بد أن تكون معظم أخباره الأخرى عن التاريخ الأندلسي مستقاة من كتب ومصادر أندلسية سابقة أو معاصرة لعهده أو عن شيوخ لهم اطلاع ودراية بالأحداث الماضية، أو أنه عاصرها بنفسه. ومن جملة المصادر المعاصرة التي اعتمدها الرازي، كتاب (قضاة قرطبة) لمحمد بن حارث الخشني، وكتاب (الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس) لأحمد بن محمد بن عبد البر المتوفي سنة 341هـ/ 952م ـ وهو غير أبي عمر بن عبد البر ـ فقد أشار إليهما حينما تحدث عن قضاة قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[45]. ووصف الرازي أحد الشيوخ الذين اعتمد عليهم في أخبار الأمير محمد، وهو أصبغ الكاتب الأشبيلي، على أنه «كان مسنّاً صدوق اللهجة حافظاً لأخبار بني أمية»[46]. وأفضل نموذج على الأخبار التي عاصرها الرازي بنفسه ما يورده عن الأحداث في عهد عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، الذي

(42) انظر: ابن الفرضي، القسم الأول، ص364 ـ 367.

(43) عن محمد بن عيسى راجع: ابن حزم، المصدر السابق (نفح الطيب، ج3، ص178).

(44) انظر الرازي برواية ابن عذاري، ج2، ص229.

(45) المقتبس، تحقيق: مكي، ص39.

(46) نفس المصدر، ص277.

عاش في عصره[47]، وكذلك معلوماته عن الجباية في عهد هذا العاهل العظيم، التي ينقلها عن الرازي المؤلف المجهول لمخطوطة (ذكر بلاد الأندلس)[48] وهو يسمي الرازي بصاحب التاريخ[49].

والرازي دقيق في معلوماته، إذ يحاول أن يبين تواريخ الأحداث المهمة التي يرويها باليوم والشهر والسنة، ويمكن أن نذكر هنا محاولته في تثبيت يوم الموقعة الفاصلة بين القائد طارق بن زياد ولذريق ملك القوط (يوم الأحد 28 من رمضان سنة 92هـ/ 19 من تموز 711م)، وتحديد مدتها بثمانية أيام[50]. وكذلك تحديده لخروج موسى بن نصير إلى الأندلس (في رجب سنة 93هـ/ آذار ـ نيسان 712م)[51]. وتصاحب هذه الدقة الرازي في مؤلفاته الأخرى في الأنساب حيث يعطي كل المعلومات المتعلقة بالجماعات أو بالأفراد الذين يتحدث عنهم، وتنقلاتهم من بلد إلى آخر. فعن أحد بيوتات البلديين في اشبيلية (بيت زيد الغافقي) يقول في كتابه (الاستيعاب)، أنهم «هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة، بلديون، ثم انتقلوا إلى طليطلة (Toledo) ثم قرطبة (Cordoba)، ثم غرناطة (Granda)»[52]. وكذلك الحال في المعلومات التي يوردها عن ذرية الصحابي الأنصاري، سعد بن عبادة، واستقرارهم في الأندلس ومدّتها[53].

ولا يكتفي الرازي بذكر الأخبار التاريخية الصرفة، بل نجده يكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران، ولنا في رواياته الباقية عن تطور جامع

(47) الرازي برواية ابن عذاري، ج2، ص105، 129 فما بعدها.

(48) ذكر بلاد الأندلس، ص126.

(49) نفس المصدر، ص125.

(50) الرازي برواية المقري، نفح الطيب، ج1، ص259.

(51) الرازي في المصدر السابق، ج1، ص277.

(52) الرازي برواية ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان القاهرة، 1973، ح2، ص133.

(53) الرازي في المصدر السابق، ج2، ص92.

قرطبة الكبير وزياداته من قبل الأمراء الأمويين[54] وكذلك عن منية الرصافة، وبعض خطط قرطبة، والعمران في عهد الأمير محمد المثل الجيد على هذا[55].

وتمتد غزارة معلومات الرازي لتشمل معظم مظاهر الحياة في العصور التي يؤرخ لها. فهو وإن كان على عادة مؤرخي العصور الوسطى يكثر من الحديث عن الأمراء والملوك ويلزم جانبهم، لكنه في الوقت نفسه يورد معلومات قيمة عن عهودهم. فيذكر حجاب الأمير الذي يؤرخ له، ووزرائه وأخلاقهم، وأصحاب شرطته وقضاته[56]، والعلماء في عهده وموقفه منهم، واهتمامه بهم، وتكريمه لهم[57]. كما يتكلم عن غزوات الأمير وصوائفه، وكيفية استنفاره للمتطوعة من أهل قرطبة[58]، وعن موقفه من حركات التمرد المختلفة[59]. وكذلك عن علاقته مع الدول الخارجية، سواء كان ذلك مع دول النصارى والفرنجة، أم الدول الإسلامية في الشمال الإفريقي[60].

ويتبين من هذا أن طريقة الرازي في كتابة التاريخ ربما كانت قائمة على أساس توالي الأمراء، وإن كان يشير أحياناً إلى الأحداث حسب السنوات، مثال ذلك ما ينقله عنه ابن حيان في أخبار سنة خمس وأربعين ومئتين، حيث يروي الرازي أنّ الأمير محمد عقد في هذه السنة أمانا لأهل طليطلة[61].

ولا تقتصر معلومات الرازي على السرد التاريخي المجرَّد، بل إنه يحلل

(54) الرازي برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت. 1965، ص243 ـ 246.

(55) الرازي في المصدر السابق، تحقيق: مكي، ص234، 236.

(56) الرازي في المصدر السابق، ص25، 28، 38، 39، 162 ـ 164.

(57) الرازي في المصدر السابق، ص245، 248، 250.

(58) الرازي المصدر السابق، ص304، 270 ـ 271.

(59) الرازي في المصدر السابق، ص307.

(60) الرازي في المصدر السابق، ص130، 275 ـ 277.

(61) نفس المصدر، ص307.

أحياناً الوقائع ويبين رأيه في أسباب الخلافات ونتائجها. ومن ذلك رأيه في النزاع بين العرب والبربر والعداوة التي استحكمت بين الطرفين نتيجة لتغير موقف العرب وتصلبهم تجاه البربر، الأمر الذي أورث الخصام والعداوة المتجددة بين الاثنين على مدى عصور طويلة في الأندلس[62]، كما يعزو أيضاً أسباب اتخاذ عبد الرحمن الأول للمماليك والبربر في جيشه، إلى توجسه من العرب نتيجة لثوراتهم المستمرة عليه، مما أدى إلى ضعف أمر العرب بصورة عامة في الأندلس[63].

لنعد الآن إلى ما تبقى من مؤلفات الرازي. ويأتي في طليعة هذه الكتب، كتاب (مسالك الأندلس)، الذي يدور معظمه حول صفة الأندلس، أي الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الآيبيرية. وفي الحقيقة فإن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة جغرافية لكتاب الرازي الكبير في التاريخ، (أخبار ملوك الأندلس). ويتميز هذان الكتابان المزدوجان عن بقية كتب الرازي الأخرى، بأننا لا نزال نملك جزءاً لا بأس به منهما. ولكن من الضروري التذكير بأن النص العربي لهذا الجزء مفقود نهائياً، وكل ما يوجد منه، ما هو إلا ترجمة إسبانية اعتمدت بالأصل على ترجمات برتغالية ولاتينية أخذت عن النص العربي المفقود، وقد نشر جاينجوس P.Gayangos قسماً منها بالإسبانية سنة 1852م تحت عنوان Cronica Moro Rasis[64] وأكمل نشرها رامون مننديث بيدال R. Menendez Pidal[65].

---

(62) الرازي برواية المؤلف المجهول، فتح الأندلس، ص32.

(63) الرازي في المصدر السابق، ص66.

(64) P.Gaynos, Memoria Sobre la autenticided de la cronica denominda del Moro Rases, Memorias de la real Academia de la Historia, VIII, Madrid, 1852.

(65) Catalogo de la Real Biblioteca. Manuserites, cronicas generales de Espana, Madrid, 1898. Palencia, Op. Cit. p.144.

قارن: دائرة المعارف الإسلامية، مادة: الرازي (الترجمة العربية، ص197) حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص11. وقد ظهرت مؤخراً بالإسبانية طبعة

ويتألف هذا الجزء من ثلاثة أقسام، الأول: جغرافي وهو (صفة الأندلس)، والنص الإسباني الباقي هو ترجمة رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية قسيس يسمى خل بيريث Gill Perez وذلك بأمر من الملك دينيس Dinis ملك البرتغال (1279 ـ 1325). ومن الصعب الجزم في هوية هذا القسيس، لكن يبدو أن معلوماته عن اللغة العربية لم تكن كبيرة، لذلك فقد استعان في إنجاز هذه الترجمة ببعض المغاربة المسلمين، كان من أشهرهم شخص يدعى المعلم محمد Maestro Muhammad[66] والقسم الثاني من هذا الجزء باللغة اللاتينية، وهو تاريخي يتناول الأحداث في إسبانيا منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لذريق Roderic آخر ملوك القوط، ومعركته الأخيرة مع القائد المسلم طارق بن زياد وهذا القسم برأي بعض المستشرقين أمثال رينهارت دوزي R. Dozy وباسكال دي جاينجوس P. Gayngos من تأليف القسيس Gil Perez نفسه[67] وقد ترجم المستشرق الإسباني سافيدرا D. Eduardo Seavedra هذا القسم إلى الإسبانية، ونشره عام 1892 ملحقاً لدراسته المفصلة عن فتح المسلمين للأندلس[68].

أما القسم الثالث، فهو تاريخي أيضاً، ويعتبر مكملا للقيسم الثاني ويتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى زمن الرازي، والكتاب أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر كتاب الرازي[69].

جديدة لحولية الرازي نشرها في مدريد عام 1975 بعنوان Diego Catalan Cronica del Moro Rasis.

(66) Pons Boigues, op. cit p64. Palencia, op. cit. p145 الترجمة العربية ص197. Levi-provencal, la description de l'Espagne d'Ahmad al-Razi. AL-Andalus, I. 1953. P.52.

(67) الترجمة العربية: ص198. palencia, op, cit p 140.

(68) D.Eduardo Saavedre, Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana Madrid, 1892. Apendice, Fragmentos intedios de la Cronica LLanada del Moro Rasis pp. 145 - 54, see also. p.8ff وقارن: حسين مؤنس، المصدر السابق، ص11.

(69) انظر نص حولية الرازي بالإسبانية: Gayangos, Op. CIT , PP. 67 - 100.

ولكنه يركز على أحداث فتح الأندلس وعهد الولاة فيها. يبدأ بالحديث عن فتوحات طارق بن زياد، وبشكل خاص عن دور الكونت يوليان Conde D.Julano Julian حاكم سبتة Ceuta في مساعدة وتأييد طارق(70) وكذلك فتوحات موسى بن نصير خاصة فتح ماردة Merida حيث ورد نص العهد الذي أعطاه موسى بن نصير لأهل هذه المدينة(71). وهناك تفصيلات أخرى عن دور عبد العزيز بن موسى في الفتح، ومعاهدة الصلح التي عقدها مع الحكم القوطي Theodemiro(72). وعن فتح قرطبة Cordoba من قبل القائد المسلم مغيث الرومي، الذي يوصف خطأ في النص على أنه رجل من المسيحيين(73). إن هذا الخطأ، وغيره من الأخطاء التي توجد في هذا النص، تعود بطبيعة الحال إلى جهل المترجمين وكثرة استنساخ المادة ونقلها من لغة إلى أخرى. وهذه الأخطاء لا يمكن أن تكون ضمن المادة الأصلية التي كتبها الرازي، ويدل على ذلك أن روايات الرازي هذه، والتي نجد نصوص بعضها منقولاً ومقتبساً في بقية الكتب العربية، تخلو من هذه الأخطاء. ولذا فإن هذا الكتاب على صورته الراهنة التي بين أيدينا، يعتبر قليل الأهمية، كثير الأخطاء، فهو مجرد واحد من الملخصات التاريخية التي كانت منتشرة في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع للهجرة، ولهذا فإن نسبته إلى الرازي قد أصبحت موضع شك من قبل بعض الباحثين(74).

أما الجزء الجغرافي من مؤلف الرازي (صفة الأندلس) فيمكن الاعتماد عليه خاصة بعد أن عثر أحد الباحثين البرتغاليين Luis F. Lindley Cintra على

(70) Al. Razi. Ibid, pp. 67 - 69.

(71) Ibid, p. 78.

(72) Ibid, p. 79.

(73) Ibid, p. 69.

(74) cf. Pons Boigues, Op, cit. pp. 64 - 66, palencia, op. cit p145.

نسخة فريدة من المخطوط ونشرها بالبرتغالية سنة 1952[75].

وقد عمد المستشرق المعروف ليفي بروفنسال Levi-Provencal إلى دراسة واختبار هذه النسخة فظهر له بأنها أكثر صحة من النصوص القشتالية (الإسبانية) المعروفة لحد الآن، وإنها تعتبر إلى حد كبير جزءاً قيماً من الأصل العربي الضائع، فترجمها إلى الفرنسية ونشرها مع دراسة قيمة في مجلة Al-Andalus عام 1953[76]. ودرس هذا النص أيضاً دراسة وافية من قبل الدكتور حسين مؤنس[77]، ولهذا صرف النظر عن التفصيل في هذا الموضوع، وكل ما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب هو باختصار كونه وثيقة قيّمة من الناحية الجغرافية والسياسية والاجتماعية بالنسبة للأندلس، فيه تحديد لموقع البلاد بالنسبة لباقي أجزاء العالم ، وتفصيل لمناخها كما فيه أيضاً وصف شاهد عيان لكل إقليم من أقاليمها، وما تشتهر به من محاصيل ومعادن وثروات. وتوفي الرازي في اليوم الثاني عشر من شهر رجب سنة 344هـ/ الأول من تشرين الثاني 955م، ولكن لم تنطفىء بوفاته شعلة التأليف التي أوقدها عميد هذه الأسرة، محمد بن موسى الرازي فلقد أنجب أحمد الرازي ابناً تولى هو الآخر دراسة التاريخ والاهتمام به، فأكمل ما بدأ به والده من كتابه تاريخ الأندلس إلى عصره، ذلك هو عيسى بن أحمد الرازي (ت379هـ/ 989م) الذي أصبح مؤلفه المفقود هذا أيضاً موضع اهتمام واقتباس من قبل مورخي الأندلس المتأخرين مثال ابن حيان، وابن سعيد، وابن الأبار. وتبعاً لما يذكره المؤرخ الأخير فإن عيسى الرازي قد ألف كتابين

---

(75) Cronica genera de Espanha de 1344 edicaro critica go texto protugues por luis f. Inidley Cintra, Academia portuguessa de Historia, II. Lisboa. 1952, pp. 39 - 75.

(76) Levi-provencal, la description de l'Espagne d'Ahmad al-Razi. Al-Andalus, I 1953, PP 51 - 108.

(77) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص59 ـ 72.

آخرين: أولهما عن (الوزراء والوزارة في الأندلس) والثاني عن (الحجَّاب للخلفاء بالأندلس)[78].

ولكن من المؤسف أن هذين الكتابين يعدان الآن في جملة المفقودات.

(78) ابن الأبار، التكملة، نشر الأركون وكونثاليث بالينثيا: Apoendice: a la edition de la Takmila de Aben al-Abbar, in Miscelanea de estudios y textos Arabes, Madrid 1951, pp. 23 - 39. الحلة السيراء، ج1، ص138، ج2، ص30، الأنصاري، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص491 Pons Boigues cp. cit p. 82 الترجمة العربية، ص198) Palencia, op. cit, p149. دائرة المعارف الإسلامية، مادة (الرازي) بروكلمان، المرجع السابق، ح، ص18.

مصادر ومراجع البحث

(أ) المصادر الأولية:

* ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت658هـ 1260م)

1 ـ الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

2 ـ التكملة لكتاب الصلة، نشر : عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956 وقطعة أخرى نشر الأركون وكونثاليث بالنثيا:

Apendic a la edicion de la Takimla de Aben al-Abbar in: Miscelanea, Madrid, 1915.

3 ـ الإمامة والسياسة، منسوب لابن قتيبة، الجزء الخاص بالأندلس، منشور مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد، 1926، ص120 ـ 188.

* الأنصاري، أبو عبد الله محمد (ت703هـ/ 1303م).

4 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول بقسميه، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الخامس والسادس، تحقيق، إحسان عباس، بيروت 1965، 1973 على التوالي.

* ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (كان حيا سنة 384هـ/ 994م).

5 ـ طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق، فؤاد السيد، القاهرة، 1955

* ابن حبيب، عبد الملك (ت238هـ/ 852م).

6 ـ استفتاح الأندلس، نشره، محمود علي مكي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد 5 ـ 1957، ص221، 243.

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/ 1064م).

7 ـ رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، ج3، ص156 ـ 186.

* الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت488هـ/ 1095م).

8 ـ جذوة المقتبس، القاهرة، 1966

* ابن حيان، حيان بن خلف (ت469هـ/ 1079م)

9 ـ المقتبس، تحقيق، عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965.

10 ـ المقتبس، تحقيق، محمود علي مكي، بيروت، 1973 الخشني، محمد بن حارث (ت360هـ/ 971م).

11 ـ قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1952.

12 ـ طبقات المحدِّثين، مخطوط مكتبة القصر الملكي في الرباط، رقم (6916)

* ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت776هـ/ 1374م).

13 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، جزءان القاهرة 1973 ـ 1974.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).

14 ـ كتاب العبر، بيروت، 1956 ـ 1961.

* الرازي، أحمد بن محمد (ت344هـ/ 955م).

15 ـ نشر: د ـ كاتالان، مدريد 1975 Gronica del Moro Rasis.

16 ـ نشر: جاينجوس، La Gronica del Moro Rasis [Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominda del Moro Rasis], Memorias de la Real Academia de la Historia, VIII, Madrid, 1852 pp. 67-00

17 ـ La Description de l'espagn d'Ahmad al-Razi نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، AL-Andalus, XVII. 1953, pp. 51-108 Fragmentos ineditos de la cronica llanada del Moro Rasis نشرها: سافيدرا ملحقاً لدراسته عن فتح المسلمين للأندلس Estudio Sobre la invasion de los arabes en Espana, Madrid 1892, pp. 145 - 154.

* الضبي، أحمد بن يحيى، (ت599هـ/ 1202م).

19 ـ بغية الملتمس، نشر: فرانسكو كوديرا، مدريد، 1885.

* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد 712هـ/ 1312م).

20 ـ البيان المغرب نشر: كولان وليفي بروفنسال، ج2، ليدن، 1948.

* الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت1119هـ/ 1707م).

21 ـ رحلة الوزير في افتكاك الأسير مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد، رقم (5304).

* ابن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت403هـ/ 1013م).

22 ـ تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.

* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/ 977م).

23 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926 .

* مجهول المؤلف.

24 ـ أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد 1867 .

* مجهول المؤلف.

25 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الخزانة العامة بالرباط، رقم (85ج).

* مجهول المؤلف.

26 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.

* المقري، أحمد بن محمد (ت1031هـ/ 1631م).

27 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968.

* ياقوت، شهاب الدين (ت626هـ/ 1229م).

28 ـ معجم الأدباء، بيروت، بدون تاريخ.

* العيمري، فتح الدين محمد (ت734هـ/ 1333م).

29 ـ الجواب على الأسئلة في الفقه، مخطوط مكتبة الأسكوريال، رقم (1660).

(ب) المراجع الثانوية

* بروكلمان، كارل.

30 ـ تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد الحليم النجار، جـ3، القاهرة، 1969.

* الشكعة، مصطفى.

31 ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، بيروت، 1974 .

* مؤنس، حسين.

31 ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967.

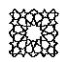
32 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.

* دائرة المعارف الإسلامية:

33 ـ مادة: الرازي.

* Gayangos pascual
34 - the history of the Mohammedan Dynascies in Spain vol.II, New York-London, 1964, reprint of London, edition 1843.
* Gonzalez Palencia, Angel.
35 - Historia de la literature arabigo-espanala, 2nd edition Barcelona, 1945.
* ترجمه حسين مؤنس إلى العربية بعنوان: تاريخ الفكر الأندلسي، القاهرة 1955.
* Levi-Provensal, Evaritse
36 - "Sur L'installation des Razi en Espagne" Arabica, II, 1955.
* Makki, Mahmud Ali,
37 - Egipto y los origenes de la historiografia arabes-espanola. Revesta del instituto islamicos, V, Madrid. 1957 - 248.
* Pons Boigues, Francisco
38 - Los historiadores y geografos arabigo-espanoles Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898. Rosenthal, F.
39 - Ahistory of muslim historiography, 2nd edition Leiden, 1968.
* ترجمه إلى العربية صالح أحمد العلي بعنوان: علم التاريخ عند المسلمين، بغداد 1963.
* Saavedra, Eduardo
40 - Estudio sobre la invasion de los arabes en espana, Madrid, 1892.

نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض



نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الأول ـ
المجلد الرابع والثلاثون، بغداد 1983.

مقدمة

لا يخفى أن الكثير من كتب التراث بعيدة عن متناول الباحثين، لصعوبة الوصول إليها، ولكونها ما تزال في عداد المخطوطات. ولهذا فإن الأمة أحوج ما تكون إلى نشر وتحقيق هذه الكنوز كلما وجد أبناؤها إلى ذلك سبيلاً. ومما لا شك فيه أيضاً، أن تراثنا في الأندلس يحتل مكانة خاصة في قلوب العرب والمسلمين جميعاً، ومن هنا فإن أي جهد يبذل للقيام بنشر ما تيسّر من هذا التراث، الذي فقدنا الكثير منه، يعدُّ جديراً بالمحاولة، لأنه لا بد وأن يخدم تاريخ هذه الأمة وحضارتها. وهذا بطبيعة الحال، ما دفعني إلى التفكير بنشر هذه القطعة من كتاب «العبر» لابن أبي الفياض. فهي نص جديد يضاف إلى غيره من النصوص التي تروي قصة فتح الأندلس. وعلى الرغم من أن المعلومات الجديدة التي جاءت في النص قليلة في مجموعها،

لكن النص بشكل عام على جانب كبير من الأهمية لأنه جزء من كتاب كبير مفقود عن تاريخ الأندلس. ولم يبق لدينا منه إلا هذه القطعة المخطوطة، ويسير من النصوص الصغيرة المتفرقة الأخرى، التي احتفظ لنا بها بعض المؤرخين المتأخرين في مؤلفاتهم. ومما يزيد في أهمية نشر هذا النص، هو التعريف بمؤلفه، حيث إنه يكاد يكون غير معروف بالنسبة لكثير من الدارسين. ولهذا، فإن هذا البحث يهدف، إضافة إلى نشر هذا النص الجديد، إلى التعريف بمؤلفه المؤرخ أحمد بن أبي الفياض، ومحاولة التوصل إلى معرفة مصادره التي اعتمد عليها، وطريقة كتابته، مع الإشارة إلى كتاب «العبر» ومحتوياته، وأشهر من استفاد منه من المؤرخين المتأخرين.

النص:

عثرت في أثناء زيارتي لمكتبة دير الأسكوريال El-Escorial عام 1976 على ثلاث ورقات اندرجت خطأ في نهاية مخطوط (الحلة السيراء) المرقم 1654. وهي مكتوبة بخط مغربي، وتحتوي على ثلاثة وعشرين سطراً لكل صفحة، وحجم هذه الصفحات هو 17X27سم. وتبدأ هذه الورقات بالتفاصيل الأخيرة لحملة طارق بن زياد على إسبانيا ثم يلي ذلك في نهاية الصفحة الأولى عبارة «تم الجزء الأول»، وهي بخط يخالف خط المخطوط ثم يبدأ بعد هذا عنوان، ذكر استفتاح طارق لجزيرة الأندلس. ويبدو أن هناك خطأ في هذا العنوان لأن السياق يدل على أن المراد هو ذكر استفتاح موسى ابن نصير لجزيرة الأندلس. وفي هذه الورقات وصف تفصيلي لحملة موسى ابن نصير، وفيها بعض الإشارات الجديرة بالاهتمام، مثل تعيين موقع بلاط مروان إلى الغرب من قرطبة وعلى نهر الوادي الكبير. وكذلك معلومات عن كيفية إعادة بناء جامع سرقسطة Zaragoza في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مع الاحتفاظ بالمحراب الأول القديم وهذه أخبار قيّمة ومفيدة، ويمكننا أن نثق بصحتها، لأنها حدثت في العصر الذي عاش

فيه المؤلف، وهناك معلومات تفصيلية عن فتح ماردة Merida، ثم عن لقاء طارق وموسى، وما تم بينهما في هذا اللقاء. وكذلك عن تعيين عبد العزيز ابن موسى والياً على الأندلس، والمؤامرة التي أدت إلى مقتله. ثم يستمر المخطوط بعد ذلك بالكلام عن العمال الداخلين إلى الأندلس، وعددهم، ومدد حكمهم، ولكن ابن أبي الفياض، لا يضبط تماماً مدد هؤلاء الولاة، بل إنه يلتبس عليه الأمر، فيخلط أخيراً بين ثوابة بن سلامة الجذامي، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري، ويضع مدة الثاني للأول، مع نسيان اسم الثاني، وتختتم هذه الورقات بالكلام عن العمال الداخلين وذلك تحت عنوان أخير ومن أخبار العمال الداخلين إلى الأندلس وفتنهم وحروبهم.

لقد نسب ميخائيل الغزيري M.Casiri في فهرسه المشهور (المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال)، مدريد 1760 ـ 1770، هذه الورقات خطأ إلى المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي. ولكن المستشرق الهولندي رينارت دوزي R.Dozy، كان أول من نبه إلى أنها تعود إلى ابن أبي الفياض، وذلك في مقدمته لكتاب (البيان المغرب) الذي نشره في ليدن سنة 1848 ـ 1851، ص75 ـ 76[1]. وكانت هذه الورقات أيضاً موضوع مقالة للأب ملشور انطونيا P.Melchor M. Antuna تحت عنوان [Un fragmento arabigo-hisorico (Biblioteca del Escorial) نشرها في الأسكوريال عام 1921. وقد تطرق فيها إلى مختلف الآراء التي وردت بشأن هذه الورقات من قبل كل من الغزيري، وكوندي Conde، وجاينجوس P.Gayngos ودوزي. وقد شكك انطونيا في نسبة هذه الورقات إلى ابن الفياض[2]. لكن كما سيتبين

(1) See:Saavedra, Estudios sobre la invasion de los arabes en espana: Madrid 1892: p.70 (notes3): Pons Boigues Los historiadores y geografos arabigo-espanoles, Amsterdam. 1972, reprint of Madrid dition, 1898, pp. 138. 139.

(2) Hartwig Derenbourg and Levi- provencal, Las Manuscrits Arabes de L'Escurial, paris, 1928. Vol. III. PP. 188. 189.

من النص فإن نسبة هذة الورقات إلى ابن أبي الفياض صحيحة، ويؤيد ذلك، ذكر المؤلف لاسمه مرتين في النص، الأولى باسمه المجرد، أحمد، والثانية كاملاً حيث يقول في الورقة الأخيرة: «قال أحمد بن أبي الفياض». وقد أشار إلى هذه الورقات مؤخراً الدكتور حسين مؤنس، معتبراً إياها، الوحيدة التي نملكها من كتاب «العبر» لابن أبي الفياض، وخصها بدراسة مقتضبة وذلك في محاولة للتوصل إلى أن الجزء الأول من كتاب «العبر» يدور حول جغرافية الأندلس(3).

المؤلف:

ولد أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض، ويعرف أيضاً بابن الفشاء(4). في استجة Ecija في حدود سنة 375 أو 379هـ/ 986 أو 989/ 990م لكنه عاش وعمل في مدينة المرية Almeria التي تقع في جنوب إسبانيا على ساحل البحر المتوسط. ومما يؤسف له أننا لا نملك تفصيلات كثيرة عن حياة هذا المؤرخ، ولا توجد له إلا ترجمة مقتضبة في (كتاب الصلة) لابن بشكوال، حيث يقول عنه ما يلي: «أصله من استجة وسكن المرية، يكنى أبا بكر. سمع باستجة من يوسف بن عمروس، وبالمرية من أبي عمر الطلمنكي، وأبي عمر بن عفيف، والمهلب بن أحمد ابن أسيد بن أبي صفرة وغيرهم. وله تأليف في الخبر والتاريخ. وتوفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة وقد خانق (كذا ولعلها جاوز) الثمانين سنة ذكره ابن مدير»(5). وقد ذكر بعض الكتّاب المتأخرين ابن أبي الفياض وخصوه ببضعة أسطر لا تخرج في مجموعها عما أورده عنه ابن بشكوال(6).

---

(3) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1967، ص106 ـ 107.

(4) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج2، ص10، 312.

(5) ابن بشكوال، كتاب الصلة، القاهرة، 1966، (ترجمة 126) ج1، ص60.

(6) See: Pons Boigues, Op, cit. pp. 138 - 139 وانظر أيضاً انخل جنثاليث بالنثيا، تاريخ

ويبدو أن ابن أبي الفياض أمضى فترة لا بأس بها في مدينة استجة، فقد عاش فيها حتى بلغ عمراً يمكِّنه من السماع والأخذ والدراسة عن أحد أبنائها، وهو يوسف بن محمد بن يوسف بن عمروس المؤدب[7]. ولكننا لا نعلم السر في انتقاله إلى مدينة المرية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن هذه المدينة أصبحت مقراً لإحدى ممالك الطوائف التي ظهرت في الأندلس بعد تدهور الخلافة الأموية منذ عام 400هـ/ 1009م. فقد غلب عليها خيران الصقلي العامري، الذي كان من جملة فتيان المنصور بن أبي عامر، وحكمها إلى سنة 419هـ/ 1028م ثم تولاها من بعده لحقبة أخرى، زهير الفتى العامري. وانتقلت إمارة المرية بعد ذلك في سنة 433هـ/ 1041م إلى معن بن صمادح التجيبي ثم إلى ابنه أبي يحيى بن معن بن صمادح، الذي تلقب بلقب المعتصم بالله الواثق بفضل الله وكان من أهل الأدب والمعارف، يحب الشعر[8]. وقد يكون لهذا الجو العلمي أثر في استطابة ابن أبي الفياض البقاء في هذه المدينة التي حكمت من قبل هذا الأمير لفترة طويلة، تقرب من واحد وأربعين عاماً، وفي عهده توفي مؤرّخنا ابن أبي الفياض.

أما أشهر من تتلمذ على يديهم في هذه المدينة، فهو أحمد بن محمد ابن عبد الله الطلمنكي[9]، الفقيه، الحافظ، المحدث، الذي كان إماماً في القراءآت، وثقة في الرواية. وكان من جملة العلماء الذين رووا عن هذا الفقيه، أبو محمد علي بن حزم القرطبي (456هـ/ 1064م)، وأبو عمر بن عبد

الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة دار النهضة المصرية، 1955، ص212، مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص107، هامش(1).

(7) انظر ترجمته عند الحميدي، جذوة المقتبس، القاهرة، 1966 (رقم 77)، ص367، والضبي بغية الملتمس، نشر فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884، رقم (1434)، ص472 ـ 473.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، نشر: ليفي بروفنسال، باريس، 1930، أعادت نشره دار الثقافة، بيروت، ص166 ـ 168.

(9) انظر ترجمته عند: الضبي، (رقم 437) ص151، الحميدي (رقم 187)، ص114 ابن بشكوال (رقم92) ج1، ص44.

البر (463هـ/ 1070م) وغيرهما. وممن اعتمد عليهم ابن أبي الفياض في سماعه ودراسته، فقيه آخر له إلمام بالحديث والتاريخ هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف[10]، وكذلك المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، وهو أيضاً من الفقهاء المحدِّثين بالأندلس[11]. ومن المرجح أن هؤلاء الفقهاء ساهموا في تكوين الحس التاريخي والاستماع إلى الروايات المختلفة، وتقصي الأحاديث والحرص على الإسناد عند ابن أبي الفياض، ولم يتعد ذلك إلى الاعتماد عليهم اعتماداً كبيراً في تأليف (كتابه العبر)، الذي هو كتاب تاريخي بالأساس، وبعيد عن مجال تخصص بعض هؤلاء الشيوخ الدقيق في العلوم الدينية. ولا بد أن يكون أبو العباس أحمد بن أنس العذري المتوفى سنة 478هـ/ 1085م قد التقى بابن أبي الفياض، وأثَّر كل منهما بالآخر وبشكل خاص اتجاههما نحو التاريخ والجغرافية، لأنهما عاشا في عصر واحد تقريباً، وسكنا في نفس المدينة، أي المرية. ويذكر ابن بشكوال[12]، أن العذري قد كتب عن أبي عمر أحمد بن محمد بن عفيف، والمهلب بن أحمد بن أبي صفرة، وهذان الفقيهان، كما رأينا، يعدَّان من شيوخ ابن أبي الفياض أيضاً ومن المؤكد أن مؤلفنا قد التقى بالفقيه العالم ابن حزم القرطبي المعاصر له، وتتلمذ على يديه، حيث يذكر في (كتابه العبر)، كما ينقل إلينا ابن الخطيب، رواية عن ابن أبي عامر المنصور، أخبره بها الفقيه أبو محمد علي بن أحمد[13].

كتاب العبر:

لا يوجد ذكر لهذا الكتاب في (فهرسة ابن خير)، ولا عند حاجي

(10) راجع: المصدر السابق، (رقم 75)، ج1، ص38، الضبي (رقم 344) ص150/ 151.

(11) انظر: الحميدي (رقم 827) ص352.

(12) الصلة (رقم 141) ج1، 67.

(13) انظر: أعمال الأعلام، القسم الثاني الخاص بإسبانيا، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، ص77.

خليفة في (كشف الظنون) ولكن مؤرخين آخرين أشاروا إليه بأشكال عديدة. فيذكر ابن حزم، أن أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض ألف كتاباً اسمه (العبر)[14]، بينما يكتفي ابن بشكوال بالقول بأن له «تأليف في الخبر والتاريخ[15]». أما ابن الأبار، فيذكر الكتاب باسم (العبر)[16]. ويسميه محمد بن علي بن محمد بن محمد بن الشباط المصري التوزري (ت861هـ/ 1282م) بـ كتاب (العبرة)[17]. وقد ورد اسم هذا الكتاب في مخطوطات (نفح الطيب) بثلاثة أشكال هي: (كتاب العبر) (وكتاب العيق) (وكتاب العين)[18]، ويشير المستشرق الإسباني بونس بويجس Pons Boigues إلى صيغة أخرى لهذا الاسم، وهي كتاب (الحبر)[19]. ويبدو أن الأشكال الثلاثة الأخيرة ما هي إلا تصحيف لعنوان الكتاب الصحيح (العبر).

فما هو هذا الكتاب وعلام يدور؟ من ملاحظة النص المنشور تجد في نهاية الصفحة الأولى عبارة «تم الجزء الأول» وهذا يدل على أن هذا الجزء ينتهي بأحداث حملة طارق بن زياد، ويبتدأ الجزء الثاني بحملة موسى بن نصير. ويرى الدكتور حسين مؤنس[20]، أن الجزء الأول ربما يكون جزءاً جغرافياً قياساً على التقليد الذي سار عليه مؤرخو الأندلس من التمهيد للتاريخ بالجغرافية. ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره عبد الواحد المراكشي من أن

(14) رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968، ج3، ص156 ـ 186، انظر: ص172).

(15) الصلة، ج1، ص60.

(16) الحلة السيراء، ج2 ص10 ـ 312.

(17) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان) تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، 1971، ص164.

(18) p.Gayangos, The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, New York-London, 1964, reprint of london edition 1843, Vol.I. P. 474.

(19) Los Historiadores y geografes arabigo-espanole.p. 198.

(20) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص106.

ابن أبي الفياض قد ألف كتاباً في (المسالك والممالك)[21]. ولكننا لا نجد في المصادر المتوفرة لدينا ما يؤيد تأليف ابن أبي الفياض لكتاب مستقل في المسالك والممالك مما يحمل على القول بأن مقدمة (كتاب العبر) الجغرافية كانت من الطول بحيث أدرجها المراكشي ضمن كتب (المسالك والممالك)[22]. وكذلك فإن ابن أبي زرع[23]، يذكر كتابين لابن أبي الفياض، الأول دون عنوان، والثاني هو (كتاب العبر). ولم يذكر المؤرخون سوى كتاب واحد في التاريخ لابن أبي الفياض، ولهذا فالغالب أن الكتاب الأول، الذي أشار إليه ابن أبي زرع، هو (كتاب المسالك والممالك) الذي تحدث عنه المراكشي[24]. وعلى الرغم من أننا لا نمتلك شيئاً من تأليف ابن أبي الفياض في الجغرافية ولكن، استناداً إلى ما ذكر أعلاه، يمكننا القول بأن الجزء الأول من كتابه (العبر) لا بد وأن يكون جغرافياً. ويؤيد هذا الاتجاه أيضاً، أن المؤلف المجهول لمخطوط (ذكر بلاد الأندلس)، يذكر اسم ابن أبي الفياض ضمن المؤلفين الذين اعتمد عليهم في كتابة معلوماته عن وصف بلاد الأندلس وموقعها من العالم المعمور آنذاك، ومزروعاتها، وخيراتها، ومعادنها، وصفات أهلها[25].

ويظهر من النص الذي نقدم له، ومن النصوص الأخرى المتفرقة لهذا الكتاب، إنه يضم بعد المقدمة الجغرافية، نبذة عن تاريخ الأندلس القديم، والأساطير التي كان يتداولها الناس عن ملوك البلد في العهود السحيقة[26].

---

(21) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963 ص431.

(22) قارن: مؤنس، المرجع السابق، ص107.

(23) الأنيس المطرب بروض القرطاس، نشر بعناية: كارل تورنبرج أبسالا، 1843 ص9.

(24) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص431، مؤنس، المرجع السابق، ص107.

(25) ذكر بلاد الأندلس وفضلها، مجهول المؤلف. مخطوط الخزانة العامة في الرباط (رقم 85ج) ص20 ـ 21.

(26) انظر رواية ابن أبي الفياض عن أشبان ملك الأندلس ولقائه وبالخضر عليه السلام في وصف الأندلس لابن الشباط، ص166، 172.

وكذلك أخبار عن أول من دخل جزيرة الأندلس وملكها، والسبب في تسمية الأندلس بهذا الاسم[27]. ثم ينتقل بعد ذلك إلى ممهدات الفتح، والأساطير التي تروى عن لذريق، ملك القوط، ودخوله إلى بيت الحكمة أو بيت الملوك[28]. ثم يتحدث عن حملة طريف بن مالك الاستطلاعية إلى الأندلس[29]. ويشرع بعد ذلك يسرد حوادث الفتح في عهد طارق بن زياد[30]، وموسى بن نصير ثم يتكلم عن الأحداث في عصر الولاة، وعصر الإمارة، ثم الخلافة إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ولدينا روايات أخيرة عن كتاب (العبر)، تؤرخ لأحداث عاصرها المؤلف، وجرت في أوائل هذا القرن، وهي عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمستعين بالله (400 ـ 407هـ/ 1009 ـ 1016م)[31]. وكذلك ما يرويه ابن أبي الفياض عن محمد بن عبد الملك المظفر بن أبي عامر المنصور، المتوفي سنة 421هـ/ 1050م وسيطرته على أوريولة ومرسية في شرق الأندلس، وعلاقته مع خيران العامري[32].

ويبدو من النصوص المتوفرة لدينا عن هذا الكتاب أنه يختص بتاريخ الأندلس بالدرجة الأولى، ولكن ابن عذاري ينقل أحد النصوص عن ابن أبي الفياض، وذلك أثناء كلامه عن حملة عقبة بن نافع على السوس الأقصى[33]، ويشير هذا، بطبيعة الحال، إلى أنه ربما قد كتب ضمناً عن تاريخ العرب في شمال إفريقية، ولكن لا تتوفر لدينا معلومات أخرى لتأييد

(27) ابن أبي الفياض، في المصدر نفسه، ص128.

(28) ابن أبي الفياض، في المصدر نفسه، ص132.

(29) ابن أبي الفياض، في المصدر نفسه، ص167.

(30) ابن أبي الفياض، في المصدر نفسه، ص168.

(31) انظر: ابن أبي الفياض في الحلة السيراء، ج2، ص10 ـ 11.

(32) ابن أبي الفياض في أعمال الأعلام: ص193 ـ 194.

(33) ابن أبي الفياض في البيان المغرب نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، ج1، ص27.

هذا الأمر، ولا تقتصر معلومات كتاب (العبر) على الأحداث التاريخية الصرفة، ويظهر من النص التالي، الذي ينقله عبد الواحد المراكشي، أن الكتاب كان يعنى أيضاً بالأمور الثقافية إضافة إلى المسائل التاريخية: «حكى ابن [أبي] الفياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال: كان بالربض الشرقي من قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها؟»[34].

ففي هذا النص معلومات إحصائية مفيدة عن دور المرأة في الحركة العلمية في قرطبة. ومن المحتمل، لو أننا عثرنا على هذا الكتاب، أن تزداد معلوماتنا بشكل كبير عن هذه الناحية المهمة في الأندلس عامة.

مصادر الكتاب:

اعتمد ابن أبي الفياض في كلامه على جغرافية الأندلس، وتاريخها قبل الإسلام، على جغرافيين ومؤرخين سبقوه أو عاصروه. ونذكر من الجغرافيين على سبيل المثال العذري. الذي أسلفنا الإشارة إليه، وكذلك أبو عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م)[35] ولا بد أنه اطلع أيضاً على مؤلفات أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/ 955م) الجغرافية والتاريخية، واستفاد منها، وعلى الأخص في تنظيم كتابه، وتجزأته إلى جزءين، أحدهما خاص بالجغرافية، والآخر خاص بالتاريخ[36]، وهو المنهج الذي سار عليه العديد من مؤرخي الأندلس، ومن المؤرخين الذين ينقل عنهم ابن أبي الفياض، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/ 853م). وهو يشير في النص الذي نقدم له إلى أنه استفاد من ابن حبيب في المعلومات التي ذكرها عن فتح

(34) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص456 ـ 457.

(35) انظر: وصف الأندلس، من كتاب صلة السمط، ص164 ـ 167، 172.

(36) انظر عن مؤلفات الرازي، ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس. (المقري ج3 ص160 ـ 161، 173 ـ 174)، الحميدي، ص104، الضبي، ص104، Pons Boigues Op. cit. pp. 62 - 63.

مدينة ماردة. ولكن المطبوع من كتاب ابن حبيب ليس فيه إشارة إلى هذا الموضوع، ولهذا، ربما كان ابن أبي الفياض ينقل من نسخة أخرى لم تصل إلينا[37]. وعلى أية حال، فإن بعض المعلومات التي أوردها ابن أبي الفياض تتشابه مع ما كتبه ابن حبيب، وبشكل خاص اهتمامها بالأساطير، مما يؤيد أخذ ابن أبي الفياض عن كتاب (التاريخ) لابن حبيب[38].

وينقل ابن أبي الفياض أيضاً عن أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت367هـ/ 977م). ولدينا نص ذكره ابن الشباط، يعتمد فيه ابن أبي الفياض على ابن القوطية في تثبيته لاسم آخر ملوك القوط على أنه لذريق وليس رذريق[39]. ويعتمد ابن أبي الفياض أيضاً رواية ابن القوطية بخصوص العلاقة بين أولاد غيطشة، الملك القوطي، وطارق بن زياد. حيث إنهم فضلوا التعاون مع المسلمين مقابل تأمين ضياعهم في الأندلس التي تبلغ نحو ثلاثة آلاف ضيعة[40].

وحينما يؤرخ ابن أبي الفياض لأحداث قريبة من الفترة التي عاش فيها. يعتمد على ملاحظاته الخاصة، أو يقول «أخبرني أحد إخواني قال»[41]. أو يعتمد على من عاصره من المؤرخين الذين ينقلون عن رواة شاهدوا أو حضروا الأحداث، مثال ذلك ما يرويه عن ابن حزم فيقول:

«أخبرنا الفقيه أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني محمد بن موسى ابن عزرون، قال: أخبرني أبي قال: اجتمعنا يوماً في منتزه لنا بجهة الناعورة

---

(37) راجع: ابن حبيب، استفتاح الأندلس، نشره: محمود علي مكي في مجلة الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الخامس، 1957، ص221 ـ 243.

(38) انظر: المصدر السابق، ص225.

(39) ابن أبي الفياض في صلة السمط، ص168.

(40) المصدر نفسه، ص169 ـ 170، وانظر: ابن القوطية، تاريخ استفتاح الأندلس، نشر: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926، ص3 ـ 4، 8.

(41) الحلة السيراء، ج2، ص11.

بقرطبة، ومعنا ابن أبي عامر، وهو في حداثته. . .» ثم يذكر الرواية التي يتطلع فيها ابن أبي عامر المنصور إلى ملك الأندلس، ويطلب فيها من أصدقائه أن يتمنوا عليه بما يريدون أن يتولوا من مناصب حينما يتحقق حلمه[42]. ونلاحظ أن ابن الفياض يردد بعض الأبيات الشعرية نقلاً عن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي[43]. كما يروي بعض الأحداث المهمة التي عاصرها. وقد احتفظ ببعض هذه الروايات ابن الأبار، وهي عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم، فيروي عنه وعن نماذج من أشعاره، وعن أخباره قبل توليه الخلافة وبعدها، وكل ذلك نقلاً عن صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن[44]. وهذا الأخير من أهل الدراية والمعرفة والرواية، وهو من مواليد المرية، توفي سنة 462هـ ـ 1069م[45]. وقد احتفظ لنا ابن الخطيب أيضاً بما أورده المؤلف عن بقايا العامريين في عهده، ونشاطهم في شرق الأندلس[46].

أهم المؤرخين الذين استفادوا من كتاب العبر:

اعتمد عدد كبير من المؤرخين المتأخرين على كتاب العبر لابن أبي الفياض، نذكر منهم، على سبيل المثال، ابن عذاري، الذي أشار إليه أثناء كلامه عن شمال إفريقية[47]، وكذلك حينما تحدث عن محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب مدينة قرمونة Carmona بالأندلس[48]. ويعتمد عليه ابن الأبار

(42) أعمال الأعلام، ص77 ـ 78.

(43) الحلة السيراء، ج1، ص216 ـ 217، وعن عبد الله بن عبد العزيز انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1962، ص98.

(44) الحلة السيراء، ج2، ص10 ـ 11.

(45) ابن بشكوال (رقم 540)، ج1، ص236 ـ 237.

(46) أعمال الأعلام، ص193 ـ 194.

(47) البيان المغرب، ج1، ص27.

(48) المصدر نفسه، ج2، ص129.

أيضاً في بعض رواياته، كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك قبل قليل، وينقل عنه كذلك رواية مطولة عن غزوة المنصور بن أبي عامر إلى مدينة برشلونة Barcelona. وفي هذا النص بالذات تتبين لنا محاولة ابن أبي الفياض في تحري التواريخ التي يذكرها ومقابلتها مع التاريخ الميلادي، فيقول بأن المنصور خرج من «قرطبة يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت لذي الحجة من سنة أربع وسبعين وثلاث مئة وهو الخامس من مايه». وحسابه هنا قريب من الصحة لأن الثاني عشر من ذي الحجة سنة 374هـ يقابل السابع من أيار سنة 985م[49].

وينقل عبد الواحد المراكشي، كما أسلفنا، عن ابن أبي الفياض نصاً عن أخبار قرطبة[50]. وكذلك يعتمد المقري على أحد نصوص ابن أبي الفياض التي تروي قصة الأمير عبد الرحمن بن الحكم وبعض فقهاء قرطبة، حين جمعهم في قصره للنظر في إصدار فتوى شرعية للأمير[51]. ولكن يبدو أن أكثر المؤرخين استفادة من كتاب (العبر)، هو ابن الشباط، حيث أورد له نقولات عديدة، ذكرنا بعضها عرضاً أثناء الحديث عن الكتاب، وهي بصورة عامة تشمل المواضيع التالية:

1 ـ اسم إشبان ملك الأندلس ولقائه مع الخضر عليه السلام[52].

2 ـ رواية تسمية الأندلس[53].

3 ـ رواية دخول لذريق إلى بيت الملوك[54].

---

(49) الحلة السيراء، ج2، ص312 ـ 313، وانظر حاشية رقم (3)، للمحقق حسين مؤنس.

(50) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص456 ـ 457.

(51) نفح الطيب، ج2، ص10.

(52) صلة السمط، ص166 ـ 172.

(53) المصدر نفسه، ص128.

(54) المصدر نفسه، ص132.

4 ـ حملة طريف بن مالك الاستطلاعية[55].

5 ـ دخول طارق بن زياد إلى الأندلس وتاريخ الفتح[56].

6 ـ موقف أولاد غيطشة من طارق بن زياد[57].

7 ـ أسر طارق لقائد حامية مدينة استجة[58].

8 ـ فتح طارق لمدينة قرطبة[59].

9 ـ شرح صورة الأسد في سور قرطبة[60].

وهناك أخيراً بعض التشابه بين ما يورده ابن أبي الفياض، في النص الذي ننشره الآن، عن مدد حكم الولاة، وبين ما يذكره ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام وهذا يشير إلى أن ابن الخطيب قد نقل هذه المعلومات عن (كتاب العبر)، وإن كان لم يذكر ذلك[61] ولكن ابن الخطيب يشير في فقرة تالية إلى اسم ابن أبي الفياض، حيث ينقل عنه رواية عن الأمير عبد الرحمن بن معاوية[62]. وقد احتفظ لنا ابن الخطيب أيضاً ببعض الروايات الأخرى المنقولة عن (كتاب العبر)، والتي أشرنا إليها أعلاه أثناء الحديث عن المؤلف ومصادر الكتاب.

(55) المصدر نفسه، ص167.

(56) المصدر نفسه، ص133 ـ 168.

(57) المصدر نفسه، ص169 ـ 170.

(58) المصدر نفسه، ص173.

(59) المصدر نفسه، ص144.

(60) المصدر نفسه، ص174.

(61) قارن: أعمال الأعلام، ص6 ـ 7.

(62) المصدر نفسه، ص7.

قطعة من كتاب العبر لابن أبي الفياض

[198أ] فكانت الكرَّة عليه فانهزم العلج[1] بجنده في فحص أوريولة[2]، بموضع لا يستتر فيه منهزم إلا فضحته السهول والرمال، فركب المسلمون ظهورهم فيه وقتلوهم وأفنوهم. ودخل العلج أوريولة في نفر يسير ممن بقي

---

(1) المقصود هو تدمير Theodemir الحاكم القوطي لإقليم مرسية في الجنوب الشرقي من إسبانيا. وقد ورد اسمه في المصادر العربية على أشكال مختلفة، مثل تدمير بن غندريس أو تدمير بن عبدوش أو غبدوش ويعتقد المستشرق الإسباني سافيدرا Saavedra أنه كان ابن أحد كبار قواد الملك غيطشة، وأن اسم أبيه يجب أن يقرأ غوبادوش أو جوبادوش Gobados وإن هذا الإسم بالأصل هو Ergobadus وهو من الأسماء الجرمانية الشائعة في إسبانيا انظر: العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق، عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965، ص4، الضبي، ص259، الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937، ص62، (1) Saavedra, op. cit, p87. note وقارن: حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص112.

(2) أوريولة، وهي عاصمة إقليم مرسية آنذاك، وبها مقام تدمير وهي تقابل الآن بلدة Orihuela من أعمال المقاطعة لقنت Alicante، وتقع على بعد ثلاثة وعشرين كيلو مترا إلى الشمال الشرقي في مدينة مرسية Murcia، وعلى بعد ثمانية وخمسين كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من لقنت. وتفسير اسمها، كما أورده كل من العذري، والحميري، يعني (الذهبية)، وهو مشتق من Oro أي الذهب بالإسبانية. انظر: نصوص عن الأندلس، ص10، وهامش المحقق الأهواني، ص139، رقم 10 ـ 5 الروض المعطار، ص34، الترجمة الفرنسية، ص43، ياقوت، معجم البلدان، بيروت 1957، جـ1، ص 28.

معه، فلما رأى أنه لا طاقة له بالمسلمين لما لم يبق من رجاله إلا يسير، تحيَّل وأوقف النساء على الأسوار مع بقية الرجال وأعطاهن القصب، وأمرهن بكشف شعورهن، وخرج هو إلى عسكر المسلمين كأنه رسول لتدمير ومن معه، فتحيَّل وأخذ الأمان والعهود، وصالح الجيش على الطاعة. فلما استوثق لنفسه أعلم المسلمين أنه هو تدمير، وسار معهم، وأدخلهم أوريولة. فلما دخلها المسلمون رأوا قلة من فيها، وأنهم ما كانت لهم طاقة بمدفع، ندموا على المصالحة، وقد كانوا أعطوا العهود فلم يقدروا على النقض، وأقروا الصلح له[3]. ونهض بعض الجيش إلى طارق بن زياد إلى طليطلة بالفتح، وقد كان دخل طارق بن زياد مدينة طليطلة، وأخلاها[4] من كل من كان فيها من الأعلاج، ولحقوا بمدينة خلف الجبل يقال لها مائدة طارق، واتبعهم وأدخل بطليطلة رجالا من أصحابه، فسلك إلى وادي الحجارة[5] ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج

---

(3) وردت قصة فتح المسلمين لمنطقة تدمير، مع اختلاف بسيط في الألفاظ، في مصادر أخرى مثل: أخبار مجموعة، مجهول المؤلف، نشره وترجمه إلى الإسبانية لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867، ص13، ابن عذاري، ج2، ص11، العذري، ص4، ولكن الأصح أن فتح هذه المنطقة تم على يد عبد العزيز بن موسى. ويحتمل أن تكون قصة تدمير Theodemir، وحيلته الطريفة هذه موضوعة، ولكن الذي لا شك فيه هو أن تدمير استطاع أن يحصل على شروط ممتازة للصلح. ومن حسن الحظ أن ثلاثة من مصادرنا المعتمدة تحتفظ بنص المعاهدة التي عقدها تدمير مع المسلمين، انظر: الضبي، ص259، العذري، ص4 ـ 5، الحميري، ص62 ـ 63.

(4) الثابت أن الحامية القوطية وكذلك أهالي المدينة هم الذين تركوها خوفاً من تقدم طارق ابن زياد وكذلك فعل رجال الدين، وعلى رأسهم أسقف طليطلة، الذي نجح في الوصول إلى روما انظر: ابن عذاري، ج2، ص12، Isidoro pacense or the chronicle of 754, p. 147 (no.35) (نشرت ملحقاً للترجمة الإسبانية لكتاب أخبار مجموعة).

(5) وادي الحجارة Guadalajara، بلدة تقع على مسافة ستين كيلومتراً، إلى الشمال الشرقي من مدريد، انظر عنها، الحميري، ص193، الترجمة الفرنسية، ص234، معجم البلدان، ج5، ص343.

طارق[6]، وبه سمّي فبلغ مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة[7]، لأنه وجد فيها مائدة سليمان بن [داؤد][8] عليهما السلام. وكانت من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها[9]. ثم نهض إلى مدينةماية[10]، فأصاب بها حلياً كثيراً وذهبا عظيماً، ثم رجع إلى مدينة طليطلة والله أعلم[11].

---

(6) يحتمل أن يكون موقع هذا المكان بالقرب من Bibtrak أو Buitrago وهي المدينة التي تتحكم بالمر الجبلي الذي يفصل بين قشتالة الجديدة New Castle وقشتالة القديمة Old Castle، راجع: .P.Gayangos, op. Cit. Vol. I. p.533.

(7) يرى سافيدرا، أن مدينة المائدة ما هي إلا البلدة الإسبانية المسماة قلعة هنارس Alcala de Henares الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدريد: .Saavedra, op. Cit, p.79.
وعن هذه المدينة انظر أيضاً: .Gayangos, Op. Vol. I. pp. 533 - 535.

(8) هذا اللفظ ساقط من الأصل مثبت في الحاشية.

(9) ورد في كثير من المصادر العربية، نسبة هذه المائدة إلى النبي سليمان بن داود عليهما السلام، لكن المؤرخ الأندلسي ابن حيان ينفي هذه النسبة، ويذكر أن هذه «المائدة» كانت مصنوعة من الذهب والفضة ومعادن ثمينة أخرى، جمعت من تبرعات ومساهمات أغنياء القوط لكنيسة طليطلة. واستخدمت من قبل القساوسة لحمل الأناجيل أيام الأعياد، وزينة توضع فوق مذابح الكنيسة، انظر: رواية ابن حيان في نفح الطيب، ج1، ص172، وكذلك ابن الشباط، في صلة السمط، تحقيق: العبادي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد العدد الرابع عشر، 1967 ـ 1968، ص121. والاحتمال الغالب أن هذه «المائدة» كانت مذبحاً لكنيسة طليطلة، أكبر من كونها «مائدة» حقيقية، حملت إلى هذا المكان من قبل الهاربين من القساوسة، قارن: مؤنس، فجر الأندلس، ص78 ـ 79.

(10) كذا في الأصل، والأصح أماية Amaya، وقد أشارت روايات عديدة إلى أن طارقاً قد مضى شمالاً إلى هذه المدينة وإلى أسترقة Astorga في حملته الأولى هذه قبل وصول موسى بن نصير، انظر: ابن القوطية، ص9، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1965 ـ 1967، ج4، ص564، أخبار مجموعة، ص15، المقري، ج1، ص265، ولا يمكن أخذ هذه الروايات على محمل التصديق، وذلك لقدوم فصل الشتاء وصعوبة تضاريس المنطقة.

(11) مكتوب في نهاية هذا القسم بخط يخالف المخطوط عبارة (تم الجزء الأول).

ذكر استفتاح طارق لجزيرة الأندلس[12]

في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، قال أحمد[13]، ولما افتتح طارق ابن زياد الأندلس حسده موسى بن نصير. فاستخلف أحد بنيه على إفريقية[14] ودخل معه ابنه عبد عبد العزيز، وابنه عبد الأعلى، وابنه مروان، الذي كان ينسب إليه بالأندلس بلاط مروان[15]، [198ب]. الذي بغرب قرطبة وعلى نهرها. ودخل معه من قريش والعرب ووجوه الناس مثل عشرة آلاف[16]. وكان موسى بن نصير هذا من التابعين، ودخل معه من الصحابة رجل واحد ويقال له المنيذر[17]، ودخل معه من التابعين أيضاً علي بن رباح

---

(12) سياق الكلام يشير إلى خطأ في العنوان الذي يجب أن يكون (ذكر استفتاح موسى لجزيرة الأندلس).

(13) هو المؤرخ أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض.

(14) هو عبد الله بن موسى، والمقصود بإفريقية تونس الحالية، انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، نشر: شارلس توري، نيوهيفن، 1922، ص207، الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص76، ابن عذاري، ج1، ص43.

(15) ورد ذكر بلاط مروان في الطريق التي سلكها الخليفة الناصر لدين الله سنة 323هـ/ 934 ـ 935م أثناء سيره من قرطبة في حملة إلى سرقسطة، وهو بالقرب من قرطبة. انظر: ابن حيان، المقتبس، ج5، نشره: شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979، ص358.

(16) ذكر هذا العدد أيضاً ابن حبيب، ص223، وكذلك أحمد الرازي، وعريب بن سعد، انظر: ابن الشباط، ص116 ـ 117، ابن عذاري، ج2، ص13. واستناداً إلى روايات أخرى، كان عدد الجند الذين رافقوا موسى بن نصير هو ثمانية عشر ألفاً انظر: أخبار مجموعة، ص15، فتح الأندلس، مجهول المؤلف، نشره وترجمه إلى الإسبانية دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889، ص10، المقري (برواية ابن حيان) ج1، ص269.

(17) المنيذر الإفريقي: يقال بأنه من أصاغر الصحابة، وله صحبة، وسكن إفريقية، ودخل الأندلس أثناء الفتح. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، قسم14، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص1485 (رقم 2571)، المقري، ج1، ص277 ـ 278، ج3، ص5 ـ 6.

اللخمي[18]، وهو والد موسى بن علي بن رباح، وحيوة بن رجاء التميمي[19]، وحنش بن عبد الله الصنعاني، وحنش هذا هو الذي أسس لأهل سرقسطة المسجد الجامع وبنى المحراب وقوّم القبلة، ومات بها، وقبره معروف فيها[20]. ولذلك السبب نقل[21] أهل سرقسطة محراب الجامع إذ زادوا فيه في القبلة، ولم ينقضوه، ودرجوه على الأفلاط[22] والعجل في زمن الفتنة الأندلسية بعد الأربع مئة سنة من تاريخ الهجرة، في أيام منذر بن يحيى التجيبي الثائر بها[23]. وذلك أنهم حفروا تحته ودعموه، وأدخلوا تحته الأفلاط والعجل، واستوثقوا ثم حلوا الدعائم، وجرّوه حتى أوثقوه حيث أرادوا، ثم بنوا تحته وأسسوا له، ثم أخرجوا الأفلاط والعجل وبنوا زيادتهم كما أرادوا. قال أحمد: وجاز البحر موسى بن نصير، وحل بساحل الأندلس، في الغرب منه، في الجزيرة، في رمضان من سنة ثلاث وتسعين،

(18) علي بن رباح اللخمي: ولد عام اليرموك سنة 15هـ/636م واشترك في معركة ذات السواري وكانت له منزلة عند عبد العزيز بن مروان، والي مصر، وشارك في فتح إفريقية، كما دخل الأندلس مع موسى بن نصير، توفي في إفريقية سنة 114هـ/732م. انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، قسم2، ص310 ـ 311، المقري، ج3، ص8.

(19) حيوة بن رجاء التميمي: ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وأنه من جملة التابعين، ويسميه ابن الأبار أيضاً برجاء بن حيوة، ولا يعتقد أنه دخل الأندلس، انظر: المقري، ج3، ص10.

(20) حنش بن عبد الله الصنعاني: تابعي جليل، شارك في فتوح المغرب، ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، لكنه رجع وتوفي في إفريقية سنة 100هـ/718م، على عكس ما ورد في النص. انظر: ابن الفرضي، قسم1، ص125 ـ 127، الحميدي، ص201، 203، المقري، ج3، ص7.

(21) في الأصل نقلوا.

(22) يفهم من السياق أن الأفلاط قد تكون آلة من آلات البناء.

(23) منذر بن يحيى التجيبي، رجل من عرض الجند، ترقى إلى القيادة في أواخر الدولة العامرية، واستغل الفتنة في قرطبة بعد تدهور الخلافة الأموية فاستقل بمدينة سرقسطة وما يجاورها، قتل سنة 430هـ/1038م. راجع: ابن عذاري، ج3، ص175 ـ 178.

فكان دليل من العجم[24] يدله على بلدان لم يدخلها طارق بن زياد فدله على لبلة[25]، وباجة[26]، وأكشونبة[27]، وماردة[28]. فنهض موسى إلى مدينة اشبيلية[29]، ففتحها بعد مقاتلتها شهراً[30]، وخلف فيها جماعة من المسلمين مع قائد لهم، وصار منهم إلى ماردة. وكانت دار الملك من قواعد الملوك

(24) المقصود هو يوليان أو جوليان Julian الذي تتناقض الروايات بشأن شخصيته ولكنه على الأغلب كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريتانيا الطنجية. وعندما فتح العرب شمال إفريقيا وحرروها من البيزنطيين، انقطعت الأسباب بين يوليان وبيزنطية، ثم اضطر إلى التعاون مع العرب مقابل بقائه حاكماً على ستبة. The Chronicle of 754, p. 150. (no. 40) انظر: ابن القوطية، ص7، أخبار مجموعة، ص4، فتح الأندلس، ص2 ـ 3، ابن عذاري، ج1، ص26، ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت 1956 ـ 1961، ج6، ص437 ـ 438، قارن: مؤنس، فجر الأندلس، ص 52 ـ 54 السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، 1962، ص67، Livermore, the Origins of Spain and Portugal, London, 1971, pp. 191, 245 - 246.

(25) لبلة Niebla، مدينة صغيرة في جنوب غرب الأندلس، تقع على بعد خمسة وستين كيلو متراً إلى الغرب من أشبيلية: العذري، ص110 ـ 111، الحميري، ص168 ـ 169، الترجمة الفرنسية، ص203.

(26) باجة Beja، مدينة تقع في جنوب البرتغال الحالية، في منتصف المسافة بين Faro، Evora، انظر: الحميري، ص36، والترجمة الفرنسية، ص45.

(27) بالأصل خشونية، وهو خطأ في النسخ، Ocsonaba، وهي بلدة رومانية قديمة، تقع على بعد ثلاثة وخمسين كيلو متراً من الحدود الجنوبية بين إسبانيا والبرتغال، ويطلق عليها في الوقت الحاضر اسم Faro. انظر: الحميري، ص106 ـ 114، الترجمة الفرنسية، ص129.

(28) ماردة Merida، مدينة في غرب إسبانيا على بعد نحو مئتي كيلومتراً إلى الشمال من إشبيلية، الحميري، ص175، والترجمة الفرنسية، ص210، معجم البلدان، ج5، ص38 ـ 39.

(29) إشبيلية Sevilla، مدينة كبيرة في إسبانيا، تقع إلى المغرب من قرطبة، وبينهما نحو مئة وأربعين كيلو متراً. انظر: الحميري، ص18 ـ 22، والترجمة، ص24، معجم البلدان، ج1، ص195. ويلاحظ هنا أن المؤرخ قد أغفل فتح مدينة قرمونة، الذي يسبق إشبيلية. راجع عن فتح هذه المدينة: أخبار مجموعة، ص15 ـ 16، ابن عذاري، ج2، ص13 ـ 14.

(30) انظر عن فتح اشبيلية المصدر السابق، ج2، ص14، وكذلك أخبار مجموعة، ص16، حيث يرد أن موسى حاصر المدينة أشهراً، وليس شهراً واحداً فقط، كما جاء في النص.

الأوائل فقاتلها موسى مدة، وكانت حصينة، فلما انجلت الحرب طاف بها موسى، فرأى نقبا كان لمقاطع الصخر، فكمن فيه الرجال والخيل ليلاً، فلما أصبح نهض إليهم للقتال على العادة، فخرجوا كهيئة خروجهم في الأيام قبله، وانتشروا فركبهم المسلمون، وخرج عليهم ذلك الكمين، فقتلوا أصرح قتل، ونجا من نجا إلى المدينة، فقاتلها أشهرا، وكانت على المسلمين في جهتها ردعة في جهة برج من أبراجها استشهد فيها جماعة [199أ] من المسلمين، فسمي ذلك البرج برج الشهداء[31]. وبعث الأعلاج رسلاً إلى موسى بن نصير بالصلح، فلما دخلوا عليه رأوه أبيض اللحية، فشافهوه بما لم يوافقه ولم يرضه[32]. ولم يقعدوا معه. فلما كانت تلك الليلة صبغ لحيته بالحناء فاحمرت، فلما دخلوا عليه يوماً ثانياً عجبوا منه ولم يقعدوا معه ولا تم لهم صلح. فصبغ لحيته سوداء، ثم دخلوا عليه ثالثاً، وكان يوم الفطر من سنة أربع وتسعين[33]، رأوه ولحيته سوداء، فعجبوا منه، ورجعوا إلى المدينة وقالوا لمن فيها: [ويحكم][34] إنما تقاتلون من يتخلقون كيف شاءوا ويتشببون بعد المشيب، قد عاد ملكهم حدثا بعد أن كان شيخاً، اذهبوا فأعطوه ما سأل. وانعقد الصلح بينهم على أموال القتلى يوم الكمين في المنقب[35]، وأموال الهاربين منهم إلى جليقية، وأموال الكنائس وحليها

(31) ورد ذكر قصة فتح ماردة بصورة أوضح عند كل من ابن عذاري، ج2، ص14، 15، وأخبار مجموعة، ص16 ـ 18. ونظراً لحصانة المدينة، فقد اضطر موسى لأن يستعمل آلات الحصار، فعمل المسلمون دبابة لدك الأسوار، ومشى المقاتلون تحتها إلى برج من أبراج سور المدينة، لكنهم يئسوا من اختراق صخور السور، واستطاع المدافعون عن المدينة أن يقتلوا كثيراً من المسلمين الذين كانوا تحت الدبابة، فسمي ذلك البرج ببرج الشهداء.

(32) في الأصل، ولم يرضيه.

(33) في الأصل ثلاث وتسعين، وهو خطأ. انظر: أخبار مجموعة، ص17، ابن عذاري، ج2، ص15. ويوافق هذا التاريخ بالتاريخ الميلادي، تموز 713.

(34) هذا اللفظ ساقط من الأصل مثبت في الحاشية.

(35) في الأصل المتقب.

للمسلمين. ثم فتحوا الباب فدخل المدينة يومهم ذلك، وهو يوم الفطر مستهل شوال من سنة أربع وتسعين[36]. ذكر ذلك عبد الملك بن حبيب رحمه الله[37]. وكان العجم[38] بإشبيلية قد ثاروا على من كان تخلف بها [حين كان][39] موسى بن نصير مشغولاً[40] بحصار ماردة، فقتلوا من المسلمين نحو ثلاثين رجلاً[41]، وفر من بقي من المسلمين إلى عسكر موسى بن نصير فأخبروه. فلما افتتح موسى مدينة ماردة بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى مدينة اشبيلية، فافتتحها وقتل من أهلها كثيراً. ونهض موسى بن نصير من ماردة إلى مدينة طليطلة وبها طارق بن زياد. فخرج إليه طارق معظِّماً له ومسلِّماً عليه، فالتقى معه بمقربة من مدينة طلبيرة[42]، ورجع مع موسى إلى طليطلة. فلما وصل موسى إلى طليطلة قال لطارق: أحضرني المائدة، فأتاه بها ناقصة رِجل من أرجلها، فقال له موسى: أين هذه الرِّجل[43]، فقال: لا علم لي هكذا وجدتها[44] فأمر بالرِّجل فعملت[45] من

(36) في الأصل ثلاث وتسعين، وهو خطأ كما أسلفنا.

(37) لم ترد قصة فتح موسى لمدينة ماردة في تاريخ عبد الملك بن حبيب المطبوع الخاص بالأندلس.

(38) المقصود بهم القوط.

(39) زيادة يقتضيها السياق.

(40) في الأصل يشغله ولا يستقيم بها المعنى.

(41) عدد المسلمين الذين قتلوا نتيجة تمرد اشبيلية هو ثمانين رجلاً. انظر: ابن عذاري، ج2، ص15، أخبار مجموعة، ص18.

(42) طلبيرة Talavera de la Reina، مدينة تقع على نهر تاجة Tajo على بعد نحو ثمانين كيلو متراً إلى الغرب من طليطلة. انظر: الحميري، ص127 ـ 128، الترجمة الفرنسية، ص155، معجم البلدان، ج4، ص37. أما مكان اللقاء بين القائدين، فيقال بأنه تم في مكان يسمى المعرض Almaraz، بين نهري تاجة والتيتار Tietar: أخبار مجموعة، ص18، فتح الأندلس، ص11، ابن عذاري، ج2، ص16، المقري (برواية ابن حيان) ج1، ص271، وقارن: Saavedra, op. cit. p. 98.

(43) في الأصل هذا الرجل.

(44) في الأصل وجدته، انظر: ابن عذاري، ج2، ص16.

(45) في الأصل فعمل.

ذهب، ثم رفع المائدة. وقيل إنه عذبه على ذلك، وضربه بالسياط، وبلغ به مبلغ النكال، وعرض عليه إفراط الغضب[46]، ثم رضي عنه وقدمه إلى افتتاح الثغور. ثم نهض موسى إلى سرقسطة[47] فحاصرها حتى [199ب] افتتحها، وافتتح ما حولها من الحصون. فلما [سمع][48] الوليد بن عبد الملك ما جرى لطارق بن زياد وموسى بن نصير من الخلاف، بعث فيهما فانصرفا إلى المشرق. واستخلف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز على الأندلس، وأسكنه مدينة اشبيلية، وخلف معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري[49]. فأقام عبد العزيز يستفتح ما بقي عليه من مدائن الأندلس، وتوجه مع موسى بن نصير من الأندلس أربع مئة[50] رجل من أبناء الملوك العجم على رؤوسهم تيجان الذهب، وفي أوساطهم مناطق الذهب. فلما قرب من الشام اعتل الوليد بعلته التي مات منها، فأوصى إلى موسى بن نصير أخوه سليمان بن عبد الملك أن يتوقف بالسير حتى يكون دخوله في أيامه فلم يفعل ودخل قبل موت الوليد فحقد سليمان ذلك[51]. فلما وصل

---

(46) هناك روايات أخرى، وهي الأصح على الأغلب، تصور اللقاء بين طارق وموسى تصويراً أكثر ليناً وتفاهماً بين الاثنين. فالذي جرى بينهما هو مجرد عتاب بسبب توغل طارق في الفتح دون أوامر من موسى. انظر: أخبار مجموعة، ص19، ابن الشباط (برواية عريب ابن سعد) ص121 ـ 122.

(47) سرقسطة Zaragoza، من المدن المهمة في الشمال الشرقي من إسبانيا وكانت من قواعد الأندلس، وتعرف بالمدينة البيضاء: الحميري، ص96، الترجمة الفرنسية، ص118، معجم البلدان، ج3، ص212 ـ 213.

(48) هذا اللفظ ساقط في الأصل ومثبت في الحاشية.

(49) حبيب بن أبي عبيدة من أحفاد عقبة بن نافع، وهو من وجوه أصحاب موسى بن نصير الذين دخلوا معه إلى الأندلس ـ توفي في إفريقية سنة 123هـ/740م. انظر: الحميري، ص199، الضبي، ص258 ـ 259.

(50) يذكر ابن عذاري، ج2، ص19 أن موسى حمل معه عشرين ملكاً من ملوك الروم، والمقصود بطبيعة الحال، أمراء وكبار رجال القوط.

(51) تبالغ الروايات في أسباب معاملة سليمان موسى بن نصير، وتركز على هذه المسألة الشخصية والحقيقة أن غضب سليمان على موسى لا علاقة له بهذه الأمور، بل يعود بالدرجة الأولى إلى سياسة موسى بن نصير أثناء فتح الأندلس، وتباطئه في إطاعة =

موسى بن نصير إلى إفريقية، وجد أهلها في محل ومجاعة فاستسقى فسُقوا[52]. ثم نهض إلى الشام ومعه طارق بن زياد بكل ما أصابا من الأموال والحلي والجواهر بالأندلس، وبالمائدة. فلما وصلا إلى الوليد ألفياه مريضا. فأهدى إليه موسى المائدة وقال له: إني أصبتها، فقال له طارق: بل أنا أصبتها يا أمير المؤمنين، وكذّبه موسى وادعى أنه أصابها، فقال طارق للوليد: يا أمير المؤمنين ادع لنا بالمائدة وأحضرها وانظر إن كان يعجز منها شيء، وسله عما يعجز منها، فإن أتى به فهو أصابها. فدعى بالمائدة، فإذا برجل منها تعجز قد صنعت من الذهب، فقال طارق للوليد: سله عنها فإن أتى فيها ببرهان فهو وجدها. فسأله الوليد، فقال: هكذا أصبتها، فأخرج طارق الرجل نفسها فوضعها في مكانها[53]، فعجب الوليد من صدقه وكذّب موسى[54].

ومات الوليد إلى أيام، وصار الأمر إلى أخيه سليمان، فسخط على موسى، وحقد عليه، وسجنه وعذبه في الشمس، وضربه بالسياط، وأغرمه مئة ألف مثقال، وقيل مئتي ألف، وعجز عن بعضها، وقيل إن يزيد[55] بن المهلب ضمن عنه أكثرها، وطلب فيه. وكتب سليمان إلى خمسة نفر من وجوه العرب بالأندلس منهم، ثقة موسى بن نصير، حبيب بن أبي عبيدة

= أوامر الخلافة. ويؤيد هذا أيضاً، أن الوليد الأول نفسه لم يقابل موسى بمقابلة حسنة للسبب ذاته. انظر: ابن عبد الحكم. ص213، ابن عذاري، ج2، ص21 ـ 22.

(52) هذه الرواية مذكورة بتفصيل أكثر في المصدر السابق، ج2، ص19.

(53) استعملت بالأصل صيغة المذكر للحديث عن رجل المائدة في العبارة كلها.

(54) هذه الرواية مذكورة أيضاً عند ابن عبد الحكم، ص211. وهي كما يبدو من الأخبار التي قصد منها الإساءة إلى هذا القائد العربي الكبير، وربما يكون مصدرها بعض أعدائه الذين قصدوا التزلف للسلطة باختلاق مثل هذه الروايات.

(55) في الأصل زياد، وهو خطأ. انظر: المصدر السابق، ص213: الرقيق، ص91 ابن عذاري، ج2، ص20، الإمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة)، الجزء الخاص بالأندلس، نشره: خوليان رايبيرا ملحقاً لكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص146 ـ 147.

الفهري [200أ] الذي خلفه[56] موسى مع ابنه عبد العزيز وإلى زياد بن النابغة[57] وأصحابهما، وعهد إليهم بقتل عبد العزيز بن موسى فقصدوا إليه وقتلوه. وكان عبد العزيز قد تزوج امرأة من القوط يقال لها أيلة[58]، كانت زوج لذريق قبله، سميت عنده أم عاصم، وكان يسكن معها في كنيسة ربينة[59] بقرية اشبيلية[60] وكان عبد العزيز قد بنى مسجداً على باب الكنيسة يجمع الناس للصلاة فيه، وكان هو يصلي فيه بالناس فلما افتتح القراءة في صلاة الصبح، وهؤلاء النفر قد صروا لقتله، افتتح بالحمد لله رب العالمين وبدأ بقراءة إذا وقعت الواقعة[61]، أوقع القوم سيوفهم عليه وقتلوه، وبعثوا برأسه إلى سليمان، فلما وصل إليه الرأس وأراه موسى بن نصير إياه فقال له موسى: والله لقد قتلته صواماً قواماً، فيحكى أن سليمان بن عبد الملك لم يكن له زلة غير فعله بموسى وولده[62]. وكان قتل عبد العزيز هذا في آخر

---

(56) في الأصل تخلفه.

(57) زياد بن النابغة التميمي، من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير. وقد شارك في اغتيال عبد العزيز بن موسى. الحميدي، ص219، الضبي، ص280 ـ 281.

(58) هي ايخيلونا Egilona أرملة لذريق التي تزوجها عبد العزيز بن موسى وكانت قد «صالحت على نفسها في وقت الفتح وباءت بالجزية، فأقامت على دينها فحظيت عنده وغلبت على نفسه» انظر: فتح الأندلس، ص21، ابن عذاري، ج2، ص23.

(59) تسمى هذه الكنيسة أيضاً باسم رفينة Santa Rufina، وهي مشرفة على مرج اشبيلية انظر: ابن القوطية، ص11، فتح الأندلس، ص22، ابن عذاري، ج2، ص24، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص112 ـ 73.

(60) هكذا وردت، والأصح بطبيعة الحال بمدينة اشبيلية.

(61) سورة الواقعة، وهي السورة رقم 56 في القرآن الكريم.

(62) وردت هذه القصة بتفصيل زائد في الإمامة والسياسة، ص170 ـ 171، وانظر أيضاً: ابن القوطية، ص11، ابن عذاري، ج2، ص24، المقري ج1، ص281، والواقع أن اتهام الخليفة سليمان بتدبير مقتل عبد العزيز أمر بعيد الاحتمال. ويبدو أن المؤرخين العرب تأثروا بموقف سليمان بن موسى بن نصير، فاعتقدوا أنه لا بد قد دبر أيضاً مقتل ابنه عبد العزيز. وهناك روايات أخرى تشير إلى أمر الخليفة بالتحقيق أخبار مجموعة، ص22، الإمامة والسياسة، ص176. وأغلب الظن أن القادة الذين دبروا مؤامرة الاغتيال، كانوا يخشون من سياسة عبد العزيز اللينة، وتسامحه الشديد مع أهل البلاد الأصليين، مما =

سنة ثمان وتسعين، وبقيت الأندلس بلا أمير نحو عام بعده[63].

عدد العمال الداخلين إلى الأندلس

في روايتي عن شيوخي عشرون رجلاً[64]، ومدة عملهم باختلاف دولتهم أربع وأربعون سنة وسبعة أشهر، وقيل غير ذلك لاختلاف الناس في روايتهم، وتاريخهم والله أعلم[65]. دخل طارق بن زياد الصدفي[66]، فملك الأندلس سنة واحدة، ودخل موسى بن نصير البكري، وقيل إنه مولى[67]،

= كان يهدد مصالح هؤلاء القادة المتنفذين في الحادث ومعاقبة القتلة، وكذلك أسف سليمان لما حدث لعبد العزيز بن موسى.

(63) في الأصل بعد.

(64) يذكر المقري (برواية ابن حيان) ج1، ص249، أيضاً أنهم كانوا عشرين عاملاً. والحقيقة أن عددهم كان، منذ تولي طارق بن زياد إلى يوسف بن عبد الرحمن الفهري، واحداً وعشرين والياً، تولى اثنان منهم مرتين، وهما: عبد الرحمن الغافقي، وعبد الملك بن قطن الفهري. ونلاحظ أن ابن أبي الفياض يعدد تسعة عشر والياً فقط، ويغفل ولاية عبد الرحمن الغافقي الأولى، ويذكر ولايتي عبد الملك بن قطن، لكنه يسقط اسمي عذرة بن عبد الله الفهري، ومحمد بن عبد الله الأشجعي.

(65) ابن أبي الفياض محق في هذا، فقد ذكر المقري، على سبيل المثال، روايات عديدة لمدة عمل الولاة، منها روايتان مختلفتان لابن حيان، الأولى، أن مدة حكمهم بالتاريخ الشمسي كانت خمساً وأربعين سنة، وبالقمري سبعاً وأربعين سنة غير أشهر. ج1، ص249، والرواية الثانية: أن مدة حكمهم كانت ستاً وأربعين سنة وخمسة أيام، ج1 ص300، وذكر المقري، ج3، ص53، فترة الولاة على أنها ست وأربعون سنة وشهران وخمسة أيام.

(66) تختلف الروايات بشأن أصل طارق، فمنها ما ينسبه إلى عشيرة الصدف العربية، ومنها ما يرجع نسبه إلى الفرس، ومنها ما يؤكد بأنه كان من موالي موسى بن نصير، وينتمي إلى قبيلة نفزة البربرية. وهذا الرأي الأخير هو الأرجح وعليه غالبية المؤرخين، انظر ابن حبيب، ص221، ابن عبد الحكم، ص207، الرقيق، ص69، ابن خلكان وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ، ج5، ص320، ابن عذاري، ج1، ص43، ابن خلدون، ج4، ص402، ج6، ص220، 437، المقري، ج1، ص239.

(67) تردد بعض الروايات أن والد موسى بن نصير، كان من سبي عين التمر في العراق، والأرجح أنه كان عربياً من عشيرة لخم، أو من عشيرة أراشة التي تنتمي إلى بلي من قضاعة. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، نشر، دي غوية، ليدن، 1866، =

فملك هو وابنه عبد العزيز نحو ثلاث سنين، وأيوب بن حبيب اللخمي، وهو ابن اخت موسى بن نصير، إذ أقامت الأندلس دون وال مدة من نحو سنتين حتى قدَّم الناس أيوب بن حبيب هذا، فملك ستة أشهر[68]. ودخل الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي، فملك سنة وسبعة أشهر[69]. ودخل السمح بن مالك الخولاني والياً من قبل عمر بن عبد العزيز، فملك سنتين وسبعة أشهر[70].

ودخل[71] عنبسة بن سحيم[72] الكلبي فملك نحو أربع سنين وخمسة أشهر[73]. ودخل[74] يحيى بن سلامة والياً على الأندلس، فملك نحو سنة

= ص230، 247، ابن الفرضي، قسم2، ص146، ابن عذاري، ج1، ص39، ج2، ص22، أخبار مجموعة، ص30، المقري، ج1، ص250.

(68) يذكر ابن عذاري، ج2، ص25، أن أهل الأندلس مكثوا شهوراً لا يجمعهم وال حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمي ليؤمهم في صلاتهم.

(69) هناك خلاف في الفترة التي تولى فيها الحر بن عبد الرحمن الثقفي فيذكر ابن عذاري ج2 ص25، إن ولايته استمرت ثلاث سنوات، بينما يذكر كل من ابن خلدون، ج4، ص257، والمقري، ج1، ص235، والمؤلف المجهول لكتاب فتح الأندلس، ص23، أنه تولى سنتين وثمانية أشهر. ويذكر ابن الخطيب في كتاب أعمال الأعلام، ص6، نفس الفترة التي يشير إليها ابن أبي الفياض، وهي سنة وسبعة أشهر.

(70) يذكر ابن عذاري، ج2، ص26، أن ولايته كانت سنتين وأربعة أشهر، أو ثمانية أشهر، أو ثلاث سنوات.

(71) أسقط ابن أبي الفياض ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأول التي استمرت فترة قصيرة فقط، من ذي الحجة 102 ـ صفر 103هـ/ حزيران ـ آب 721م. انظر: فتح الأندلس، ص25، ابن عذاري، ج2، 26، ابن خلدون، ج4، ص257، المقري، ج1، ص235.

(72) في الأصل شحيم، وهو خطأ.

(73) يذكر ابن الخطيب التاريخ ذاته، أعمال الأعلام، ص2، وعند ابن عذاري، ج2، ص27 أنه تولى أربع سنين وثمانية أشهر. ويشير مؤلف فتح الأندلس ص26، إلى المدة على أنها أربعة أعوام وسبعة أشهر. أما المقري، ج1، ص235، فيشير إلى أن عنبسة حكم أربع سنين وأربعة أشهر.

(74) أسقط ابن أبي الفياض ولاية عذرة بن عبد الله الفهري المبتدئة من شعبان ـ شوال 107هـ/ شباط ـ آذار 726م. وقد قدمه أهل الأندلس عليهم حينما استشهد عنبسة بن سحيم أثناء فتوحاته في فرنسا. انظر: ابن عذاري، ج2، المقري، ج2، ص17 ـ 18.

وستة أشهر[75]. وولي حذيفة بن [200ب] الأحوص، فملك ستة أشهر[76]. وولي عثمان بن أبي نسعة الجهني فملك نحو سنة وستة أشهر[77]. وولي الهيثم بن عبيد الكناني، فملك نحو أربعة أشهر[78]. وولي بعده[79] عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، فملك نحو سنتين وسبعة أشهر[80]. وولي عبد الملك بن قطن الفهري، فملك نحو ثلاث سنين وشهرين[81]. ثم دخل عقبة بن الحجاج السلولي، فملك نحو خمس سنين[82] وشهرين[83]. ثم قام عبد

---

(75) يذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام، ص6، الفترة نفسها، بينما يشير مؤرخون آخرون إلى مدة ولاية يحيى بن سلامة كانت نحو سنتين ونصف، انظر: ابن عذاري ج2، ص27، المقري، ج1، ص235. أما مؤلف فتح الأندلس، ص26، فيذكر المدة على أنها سنتين وعشرة أشهر.

(76) تتفق الفترة التي وردت في النص مع كل مما أورده ابن عذاري، ج2، ص27، وابن الخطيب، المصدر السابق، ص6.

(77) هو عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، وليس الجهني، وقد حكم خمسة أو ستة أشهر فقط. انظر: ابن القوطية، ص13، ابن عذاري، ج2، ص28، ابن خلدون، ج4، ص257.

(78) انظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص6، حيث يذكر الفترة نفسها. ويذكر ابن عذاري، ج2، ص28، أنه تولى عشرة أشهر، أو سنة وشهرين.

(79) أسقط ابن أبي الفياض ولاية محمد بن عبد الله الأشجعي، الذي قدمه أهل الأندلس على أنفسهم بعد وفاة الهيثم بن عبيد، فكانت ولايته شهرين انظر: ابن عذاري، ج2، ص28. ويذكر ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956، ج1، ص254، بأن الهيثم بن عبيد هو الذي قدمه للولاية عند وفاته.

(80) يذكر كل من ابن عذاري ح2، ص28، وابن الخطيب، المصدر السابق، ص6، الفترة نفسها، أي سنتين وسبعة أشهر، وهي الأصح، بينما يشير مؤلف فتح الأندلس، ص28، والمقري، ج1، ص236، إلى أن ولاية الغافقي كانت سنة وثمانية أشهر.

(81) وردت المدة نفسها في أعمال الأعلام، ص6، ولكن الأرجح إن ولاية عبد الملك بن قطن الأولى لم تطل كثيراً، فهي في حدود ستة أشهر، أخبار مجموعة، ص25، أو سنة، فتح الأندلس، ص28، أو سنتين، ابن عذاري، ج2، ص28.

(82) في الأصل خمسة.

(83) يتفق كثير من المؤرخين على أن ولاية عقبة بن الحجاج السلولي استمرت خمس سنين وشهرين ومنهم: ابن عذاري، ج2، ص29، ومؤلف فتح الأندلس، ص229، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص7، والمقري، ج3، ص19. ولكن الرازي يذكر أن ولاية عقبة كانت ستة أعوام وأربعة أشهر. انظر: الرازي (عند المقري) ج3، ص19، ابن خلدون، ج4، ص258.

الملك بن قطن الفهري على عقبة، فخلعه وملك نحو سنة وشهر[84]. ثم دخل بلج بن بشر القشيري في الطائفة الثانية[85]، فملك نحو ستة أشهر[86]. ثم ولي ثعلبة بن سلمة العاملي، فملك نحو خمسة شهور[87]. ثم ولي أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، فملك نحو سنتين وثمانية أشهر[88]. ثم ولي ثوابة بن سلامة، فملك نحو تسع سنين وأحد عشر شهراً[89]. وقيل إنه وليها رجل ولم أدر له حقيقة، تمام عشرين عاملاً في روايتي، ولم أجد له تاريخ

(84) يذكر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص7، الفترة نفسها، ويجعلها مؤلف فتح الأندلس ص30، سنة وعشرة أشهر، ويذكر ابن عذاري، ج2، ص30، 31، أن عبد الملك بن قطن تولى للمرة الثانية في سنة 122هـ/ 740م واستمر في الولاية إلى ما بعد ذي القعدة 123هـ/ أيلول 741م.

(85) المقصود بهؤلاء طالعة بلج بن بشر القشيري، أو الشاميين الذين عبروا من سبتة إلى الأندلس نتيجة لتمرد البربر في شمال إفريقيا. وقد استطاع هؤلاء بقيادة بلج أن ينتزعوا الحكم من عبد الملك بن قطن، ويولُّوا بلجاً على الأندلس. انظر: ابن عبد الحكم، ص220، أخبار مجموعة، ص39 ـ 44، ابن عذاري ج2، ص31 ـ 32.

(86) يذكر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص7، هذه المدة أيضاً. ولكن ابن عذاري، ج2، ص32، يرجح أن ولاية بلج كانت نحو اثني عشر شهراً. انظر أيضاً: فتح الأندلس، ص33 ـ 34، ابن خلدون، ج4، ص259، المقري ج1، ص236 ـ 237.

(87) ورد اسمه أيضاً ثعلبة بن سلامة العاملي، وحكم نحو عشرة أشهر، انظر: ابن عذاري ج2، ص32 ـ 33، أخبار مجموعة، ص44 ـ 46، فتح الأندلس، ص34/ 35، وتؤيد رواية ابن الخطيب، المصدر السابق، ص7، عن فترة حكم ثعلبة ما جاء في النص من أنها كانت خمسة أشهر.

(88) انظر عن الحسام بن ضرار الكلبي، الحلة السيراء، ج1، ص61 ـ 65، حيث ورد أن مدة حكمه كانت أربع سنين وتسعة أشهر. وكذلك يورد المقري، ج3، ص24، أنه حكم الفترة نفسها، ولكن الأرجح أنه حكم ما يقارب السنتين فقط، انظر: فتح الأندلس، ص38، ابن عذاري، ج2، ص34. ويذكر ابن الخطيب أيضاً في أعمال الأعلام، ص7، أنه حكم سنتين وثمانية أشهر.

(89) يخلط المؤلف هنا بين ولاية ثوابة بن سلامة الجذامي التي استمرت من رجب 127 ـ المحرم 129هـ/ نيسان 745 ـ تشرين الأول 746م/ وولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس، انظر: ابن عذاري، ج2، ص35، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص7.

مدة[90]. واختلف الناس في أسمائهم ودولهم، وإنما عوَّلت على ما رويته[91]، وأنا متبرىء من الاختلاف إن شاء الله تعالى.

ومن أخبار العمال الداخلين الأندلس وفتنتهم وحروبهم

قال أحمد ابن أبي الفياض: كان العمال بالأندلس إذا اجتمع لهم مال وجَّهوه مع شيوخ منهم، فإذا وصل المال إلى الخلفاء بالشام حلف أولئك النفر الذين جلبوا المال، أنه ما أخذ إلا من حقه ولا أنفق منه شيء إلا في حقه، وإن هذا فضل ذلك المال بعد أعطيات الجند أهل البلد، وكذلك كان يقبض ذلك منهم. فلما اجتمع مال إفريقية ومال الأندلس، بعثوه مع عشرة رجال، فيهم السمح بن مالك الخولاني، واسماعيل بن عبيد الله[92]، ومولى بني مخزوم فلما أتى هذا الوفد بالمال والخراج، وذلك في آخر أيام سليمان بن عبد الملك، أمروا أن يحلفوا على ما جرت العادة به قبلهم فحلف الثمانية رجال، ونكل اسماعيل بن عبيد الله، مولى بني مخزوم، ونكل السمح بن مالك الخولاني.

إلى هنا ينتهي النص.

---

(90) العامل المقصود الذي غاب عن رواية ابن أبي الفياض، هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي حكم من ربيع الثاني 129 ـ 10 ذي الحجة 138هـ/ كانون الأول 746 ـ 14 أيار 756. انظر: الحلة السيراء، ج2، ص347 ـ 348، ابن عذاري، ج1 ص62، ج2 ص36 ـ 37، المقري، ج3، ص25.

(91) هذه الرواية بالأصل عن عبد الملك بن حبيب يرفعها إلى بعض التابعين الداخلين إلى الأندلس وقد نقلها عنه أيضاً أحمد الرازي، انظر: الرسالة الشريفية، نشرها: خوليان رايبيرا ملحقاً لكتاب ابن القوطية المذكور آنفاً، ص205.

(92) في الأصل إسماعيل بن عبد الله، وعبيد الله هو الأصح، كما يذكره المؤلف في المرة الثانية. وهو من الرجال الذين اشتهروا بالتقوى والنزاهة، وقد ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز على إفريقية عام 100هـ/ 718م، وبعث معه عشرة من التابعين ليساعدوه في تركيز دعائم الإسلام بين البربر، انظر: أخبار مجموعة، ص22 ـ 23، ابن عذاري، ج1 ص48.

مصادر ومراجع المقدمة والتحقيق

(أ) المصادر الأولية:

* ابن الأبّار: محمد بن عبد الله (ت658هـ/ 1260م).

1 ـ التكملة لكتاب صلة، نشر: عزت العطار، القاهرة 1955 ـ 1956.

2 ـ الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس القاهرة، 1963.

* ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/ 1233م).

3 ـ الكامل في التاريخ، بيروت، 1965 ـ 1967.

4 ـ الإمامة والسياسة، منسوب لابن قتيبة، الجزء الخاص بالأندلس منشور مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد 1926، ص120 ـ 188.

* ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/ 892م)

5 ـ كتاب الصلة، القاهرة، 1966.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م).

6 ـ فتوح البلدان، نشر: ذي غوية، ليدن، 1866.

* ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/ 852م).

7 ـ استفتاح الأندلس، نشره محمود علي مكي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد 5، 1957، ص221 ـ 243.

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/ 1064م).

8 ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962.

9 ـ رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، ج3 ص156 ـ 186.

* الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت488هـ/ 1095م).

10 ـ جذوة المقتبس، القاهرة، 1966.

* الحميري: محمد بن عبد الله (ت حوالي 710هـ/ 1310م).

11 ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937.

* ابن حيان، حيان بن خلف (ت469هـ/ 1079م).

12 ـ المقتبس، ح5، نشر: ب شالميتا وآخرين، المعهد الإسباني العربي للثقافة مدريد، 1979.

* ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت776هـ/ 1374م).

13 ـ أعمال الأعلام. القسم الثاني الخاص بإسبانيا، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).

14 ـ كتاب العبر، بيروت، 1956 ـ 1961.

* ابن خلكان.

15 ـ وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ.

16 ـ الرسالة الشريفية، نشرها خوليان رايبيرا ملحقاً لكتاب ابن القوطية، مدريد، 1926.

* الرقيق القيرواني، أبو أسحق إبراهيم(ت بعد 417هـ/ 1026م).

17 ـ تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968.

* ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد (كان حياً قبل 726هـ/ 1326م).

18 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس، نشر بعناية كارل تورنبرج، أبسالا، 1843.

* ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد التوزري (ت681هـ/ 1282م).

19 ـ صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط) تحقيق: أحمد مختار العبادي مدريد 1971، وكذلك النص نفسه المنشور في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الرابع عشر، 1967 ـ 1968.

* الضبي، أحمد بن يحيى، (ت599هـ/ 1202م).

20 ـ بغية الملتمس، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1885.

* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد 712هـ/ 1312م).

21 ـ البيان المغرب، ج1، و2 نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن 1848 ج3، نشر ليفي بروفنسال، باريس 193 أعادت نشره دار الثقافة، بيروت.

* العذري، أبو العباس أحمد بن أنس (ت478هـ/ 1085م).
22 ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965.
* ابن عبد البر.
23 ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، قسم 4، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.
* ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/ 871م).
24 ـ فتوح مصر وأخبارها، نشر: شارلس توري، نيوهيفن، 1922.
* ابن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت403هـ/ 1013م).
25 ـ تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.
* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر(ت367هـ/ 977م).
26 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926.
* مجهول المؤلف.
28 ـ ذكر بلاد الأندلس، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 85ج).
* مجهول المؤلف.
29 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.
* المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت بعد 621هـ/ 1240م).
30 ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963.
* المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ/ 1631م).
31 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968.
* ياقوت، شهاب الدين (ت626هـ/ 1229م).
32 ـ معجم البلدان، بيروت، 1957.

(ب) المراجع الثانوية:

* بالينثيا، انخل كونثاليث بالينثيا.
33 ـ تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، 1955.
* سالم، السيد عبد العزيز سالم.
34 ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت 1962.

* مؤنس، حسين مؤنس.

35 ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967.

36 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.

* Gayangos, Pascual.

37 - The history of the Mohammedan Dynasties in Spain Vol. I. New York-London, 1964, Reprint of London edition 1843.

* Hartwig Derenbourg and Levi-Provencal.

38 - Las Manuscrits Arabes de L'Escorial, Paris, 1928, vol. III.

* Isidoro pacenseor.

39 - The chronicle of 754.

* Livermore, H.V.

40 - The Origins of Spain and Portugal, London 1971.

* Pons Boigues, Fransisco.

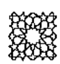
41 - Los Historiadores y geografos arabigo-espanoles, Amsterdam, 1942, reprint of Madrid edition, 1898.

* Saavedra, Eduardo.

42 - Estudio sobre la invasion de los arabes en Espana, Madrid, 1892.

أحمد بن عمر العذري ودوره في

كتابة التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس



تمهيد

عرف أحمد بن عمر بن أنس العذري باهتمامه بعلم الحديث وبإقراء أمهات مصنفاته خاصة الصحيحين، كما ذاع صيته أيضاً لاشتغاله بالتأليف في الجغرافية. وقد كتب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي[1]. والدكتور حسين مؤنس عن اهتمام العذري بهذا العلم الأخير. وتطرق الدكتور مؤنس إلى الملكة الجغرافية عند العذري، كما تناول، بالدراسة والتحليل المادة الجغرافية التي وصلتنا في مؤلفات العذري[2]. ولم يغفل الذين كتبوا عنه أيضاً عن الإشارة إلى المادة التاريخية التي وردت في مؤلفه، وأهميتها في

(1) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، 1963، 1/ 273 ـ 274.

(2) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد 1967، ص81 ـ 96.

الكشف عن تاريخ الأندلس، وإزاحة بعض الغموض الذي كان يحيط بمعلوماتنا عن تاريخ الثغور الأندلسية في الشمال[3]. ولكن لم يخصص حسب علمي، أحد من الباحثين المحدثين دراسة خاصة مفصلة عن المادة التاريخية في كتاب العذري أو يتناول الجوانب التاريخية عند هذا الباحث العربي الشهير. وهذا هو هدف هذا البحث الذي يرمي إلى الكشف عن دور العذري في كتابة التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس، وإبراز الناحية التاريخية لديه، وتبيان أهميتها في ضوء المعلومات المتوفرة لدينا من كتابه (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك).

ولد العذري في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة 393هـ/ 1002م وتوفي في آخر شعبان سنة 478هـ/ 1085م، وهو ينتسب إلى قبيلة عذرة العربية التي استقرت في الأندلس بعد أن فتحها المسلمون. وكانت قرية دلاية Dalias التي تقع في محافظة المرية Almeria الحالية في الجنوب الشرقي من إسبانيا، من أهم مراكز استقرار هذه القبيلة[4]. ويذكر العذري أنه يرتفع بنسبه إلى أحد كبار المستقرين الأوائل في دلاية وهو زغيبة بن قطبة. فهو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن أبي الخيار بن فلذان بن عمران بن منيب بن زغيبة بن قطبة العذري[5]. كما يعرف أيضاً بابن الدلائي نسبة إلى قرية

(3) انظر مقدمة الدكتور عبد العزيز الأهواني الذي نشر قطعة من كتاب العذري بعنوان نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، مدريد 1965.

(4) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962 ص450 A.D. Taha the Muslim Conquest and Settlement of North Africa and Spain, Unpublished PH. D. thesis, University of Extere, 1978, p. 213. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية، عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982، ص231.

(5) العذري، نصوص عن الأندلس، ص90 ـ 92.

دلاية[6]. وقد ترجم للعذري كل من ابن بشكوال، والحميري، والضبي وكذلك ياقوت في (معجم البلدان) في أثناء حديثه عن مدينة دلاية. ولا تكاد ترجمة الضبي تختلف عن ترجمة الحميري إلا قليلا لأن الأول نقلها عن الأخير[7]. وتعد ترجمة ابن بشكوال أكثر تفصيلاً من بقية التراجم، حيث يذكر أن العذري رحل مع أبويه إلى المشرق سنة سبع وأربع مئة هجرية، وأقام بمكة ما يقارب تسع سنوات، سمع فيها الحديث كثيراً من أهل الحجاز، ومن جماعة من المحدِّثين من أهل العراق وخراسان، ولم يكن له بمصر سماع[8]. ويذكر الحميدي[9] أن العذري كتب في الحجاز قطعة كبيرة من المصنفات والتواريخ. ولا نعلم على وجه التحقيق ماهية هذه المصنفات، أهي جزء من كتابه المعروف بترصيع الأخبار وتنويع الأثار، أم مادة أخرى؟.

وفي الأندلس عرف العذري برواية الحديث وإقرائه وضبطه، وكان موثوقاً لدى المهتمين بهذا العلم جليل القدر عالي الإسناد وقد كتب الأحاديث عن عدد كبير من المحدِّثين، من أشهرهم أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف الذي كان له إلمام بالحديث والتاريخ[10]، والقاضي يونس ابن عبد الله بن محمد بن مغيث، قاضي الجماعة بقرطبة ومن أعيان أهل العلم[11]، والمهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة من الفقهاء المحدِّثين

(6) ابن بشكوال، الصلة... القاهرة، 1966، 1/ 66.

(7) انظر الحميري، جذوة المقتبس، القاهرة، 1966، رقم 236، ص136 ـ 137 الضبي، بغية الملتمس، طبعة مدريد، 1884، رقم 446، ص182 ـ 183.

(8) ابن بشكوال: 1/ 66 ـ 67، رقم (41)، وانظر: ياقوت، معجم البلدان، مادة دلاية، بيروت، 1957، 2/ 460م.

(9) جذوة المقتبس، ص138.

(10) انظر ترجمته عند ابن بشكوال: 1/ 38 رقم (75)، الضبي، رقم (334)، ص150 ـ 151.

(11) انظر ترجمته عند الحميدي، رقم (910)، ص384 ـ 385، الضبي، رقم (1498) ص498.

بالأندلس[12]. وقد سمع منه أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري[13] وأبو محمد علي بن سعيد بن حزم القرطبي[14]، وأبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري[15]. وجماعة آخرون من كبار الأعيان والشيوخ في عصره.

لقد أشار الجغرافيون العرب القدماء من أمثال أبي عبيد البكري، وأبي عبد الله محمد الإدريسي، وياقوت الحموي إلى اهتمام العذري بالجغرافية، كما ذكر بعضهم كتابه (نظام المرجان في المسالك والممالك)[16]. لكن لم يتطرق غير هؤلاء، ممن ترجم للعذري إلى اهتمامه بالجغرافية والتاريخ، أو التأليف فيهما، بل كان التركيز، كما رأينا، على اهتمامه بعلم الحديث والسماع والرواية. وربما يعود السبب في ذلك ـ كما يرى الدكتور حسين مؤنس ـ إلى أن الناس في ذلك الوقت كانوا لا يرون الاشتغال بالجغرافية وعلوم الأوائل والفلسفة مما يستحق الذكر بين أعمال العلماء، لأن الاشتغال بذلك كان في رأي الكثيرين مضيعة للوقت لا ينفع[17]. ومما يؤيد هذا الأمر أن أحد الجغرافيين العرب وهو ابن عبد المنعم الحميري، اعتذر في مقدمة كتابه: (الروض المعطار في خبر الأقطار) عن اشتغاله بالجغرافية، وعدّ ذلك من عمل العاطلين ومن لا يهمه وقته[18].

---

(12) انظر ترجمته عند الحميدي، رقم (827)، ص352.

(13) انظر ترجمته عند الحميدي، رقم (875)، ص369. ابن بشكوال: 2/ 677 ـ 679 رقم (1501).

(14) انظر ترجمته عند الحميدي، رقم (708)، ص308 ـ 311 الضبي، رقم(1204) ص403.

(15) انظر ترجمته عند ابن بشكوال: 1/ 287، رقم (633).

(16) راجع: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة روما ص5. ياقوت، معجم البلدان: 2/ 260. وقارن: F.Pons Boigues Los Historiadores y Geografos Arabigo-Espanoles 800 - 1450 A.D. Amsterdam 1972, reprint of Madrid edition, 1898, pp. 158 - 159.

(17) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص532.

(18) الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1975، ص1 ـ 2.

مؤلفات العذري

رأينا فيما سبق اهتمام العذري بعلم الحديث، ولكن ما ورد من أسماء مؤلفاته في هذا المجال لا يشكل إلا جزءاً يسيراً تغلب عليه الرواية. وقد ذكر ابن خير الأشبيلي أحد هذه الكتب وهو، (افتضاض أبكار أوائل الأخبار)[19] الذي يدل عنوانه على أنه كتاب في موضوع التاريخ، لكنه، وكما يفهم مما ذكره ابن خير، كان عبارة عن مختارات منتقاة من كتب الحديث تتصل بالقضايا الفقهية التي ظهرت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام[20] وللعذري كتاب آخر أشار إليه ياقوت عنوانه (أعلام النبوة)[21]. ولم يصلنا هذان الكتابان، كما لم يصل إلينا أيضاً إلا قطعة صغيرة من كتابه الجغرافي التاريخي، (ترصيع الأخبار وتنويع الأثار...) لا تتجاوز عُشر الكتاب يدور معظم أخبارها عن الأندلس وقد قام الدكتور عبد العزيز الأهواني بتحقيق ونشر هذه القطعة الثمينة في مدريد عام 1965 فأسدى بذلك خدمة تستحق الثناء والتقدير للدراسات الأندلسية.

مادة العذري التاريخية

تعد المادة التاريخية التي وصلت إلينا في كتاب العذري المذكور آنفاً عن الأندلس ذات قيمة عالية لأنها تسد نقصاً واضحاً في معرفتنا عن تاريخ هذه البلاد، وبخاصة منطقة الثغر الأعلى. وقد وردت هذه المادة في أثناء الحديث عن كور الأندلس وجغرافيتها.

ومنطقة تدمير، التي تقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا الحالية. هي

(19) فهرسة ابن خير، منشورات دار الآفاق عن الطبعة الأوربية التي نشرها خليان رابيرا في سرقسطة 1893، ص222.

(20) المصدر نفسه، ص473، وانظر أيضاً: مقدمة الأهواني، ص د ـ هـ.

(21) ياقوت: 2/ 460.

أول المناطق التي يبدأ العذري بالحديث عنها، فيذكر فتحها، ويتعرض إلى الاتفاقية التي عقدها عبد العزيز بن موسى بن نصير مع حاكمها تدمير Theodimer. ثم يذكر عرضاً الفتنة بين المضرية واليمانية في المنطقة. ويبحث أخيراً في ثوار (تدمير) بالتفصيل. وتعد معاهدة الصلح التي أوردها العذري بين المسلمين والحاكم القوطي (تدمير) من أهم المواد التاريخية في هذا الجزء من الكتاب. فالعذري من المؤرخين القلائل الذين ذكروا هذه المعاهدة بالنص بل هو أقدم من أشار إليها من بين الكتَّاب العرب.

وقد ذكرها بعده أحمد بن يحيى الضبي في كتابه (بغية الملتمس)[22] وكذلك ابن عبد المنعم الحميري في كتابه (الروض المعطار)[23]. وهناك اختلافات يسيرة بين نصوص المعاهدة حسبما ذكرت في هذه المصادر الثلاثة[24]، ولكنها على العموم تتفق في الروح والجوهر بل في كثير من الألفاظ. ولو أن نص العذري يتميز بذكر أسماء ثمانية من الشهود الذين وقَّعوا على الصلح. إن نص المعاهدة يعد من النصوص الفريدة بالنسبة للاتفاقيات التي عقدها العرب مع غير المسلمين في الشرق أو في الغرب، وهو يدل دلالة قاطعة على مدى التسامح الذي تميز به المسلمون في معاملتهم للشعوب التي حرروها بالفتح، وإليك نص المعاهدة كما جاء عند العذري.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير ابن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد ﷺ ألا يقدم له وألا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يقتلون ولا تحرق كنائسهم ولا يكرهون على دينهم، وأن

(22) طبعة مدريد، ص259.

(23) طبعة إحسان عباس، ص133 ـ 135، وطبعة بروفنسال، ص62، الترجمة الفرنسية ص79.

(24) عن الاختلافات بشأن نصوص المعاهدة، انظر: هوامش الأهواني ص133 ـ 135.

صلحهم على سبع مدائن: أوريوله، ومولة، ولورقة، وبلنته، ولقنت، واية، وإلش. وأنه لا يدع حفظ العهد ولا يحل ما انعقد ويصحح الذي فرضناه عليه وألزمناه أمره، ولا يكتمنا خبراً علمه وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية، من ذلك على كل حر: دينار، وأربعة أمداد من قمح وأربعة أمداد من شعير، وأربعة أقساط خل وقسط عسل، وقسط زيت، وعلى كل عبد نصف هذا.

شهد على ذلك: عثمان بن عبيدة القرشي وحبيب بن أبي عبيدة القرشي وسعدان بن عبد الله الربعي وسليمان بن قيس ويحيى بن يعمر السهمي وبشر ابن قيس اللخمي ويعيش بن عبد الله الأزدي وأبو عاصم الهذلي وكتب في رجب سنة أربع وتسعين»[25].

وبعد الحديث عن تدمير ينتقل العذري إلى بلسنة Valencia وسرقسطة Zaragoza فيتكلم عن الثوار في المدينة الأخيرة وتوابعها حسب التسلسل التاريخي منذ عهد الإمارة الأموية، ويورد ما يقارب عشر صفحات عن بني قسي ودورهم في الثغر الأعلى وكذلك عن دور التجيبيين في تطور الأحداث في المنطقة إلى الفترة المعاصرة في كل من سرقسطة وقلعة أيوب Calatayud ودورقة Daroca ووشقة Huesca وغيرها من مناطق الثغر الأعلى. ومعلومات العذري عن إعادة بناء مسجد سرقسطة في عهد الطوائف طريفة جداً. وبشكل خاص وصفه لمحاولة المسلمين الإبقاء على المحراب القديم ومحاولة تثبيته في البناء الجديد وهذه المحاولات تتشابه إلى حد كبير مع ما أورده المؤرخ أحمد بن أبي الفياض عن هذا الأمر، وإن كان الأخير قد فصَّل أكثر في سرده للحادث[26].

(25) العذري، ص4 ـ 5.

(26) قارن المصدر نفسه، ص23، عبد الواحد ذنون طه، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الرابع والثلاثون بغداد، 1983، ص181.

وكذلك فإن معلوماته عن فتح وشقة فريدة في نوعها وقد نقلها الحميري بالنص تقريباً [27] وتفيد هذه المعلومات في الاطّلاع على بعض الأساليب التي اتبعها العرب في الفتح ونفسهم الطويل في تحقيق ضم المدن إلى حظيرة الإسلام دون الاعتداء على حقوق أهالي البلاد الأصليين. فقد امتنعوا عن دخول المدينة ضد إدارة أهلها وسمحوا لأهلها بوقت كاف استمر نحو سبع سنوات اقتنع خلاله سكان المدينة بضرورة التعاون السلمي مع الفاتحين سواء بالانضمام إلى الإسلام أو البقاء على الديانة المسيحية وإليك نص العذري:

«قال أحمد بن عمر: ولما دخل المسلمون الأندلس وتقدموا إلى الثغر الأعلى احتل بعض العرب بوشقة، واضطربوا عليها، ونزلوا منها بموضع يعرف اليوم بالعسكر نسب إليهم أنزلوهم فيه، فحصروا وشقة، وأهلها نصارى، وبنوا عليها المساكن وغرسوا الكروم، وحرثوا لمعاشهم، واتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام، وأهل وشقة في القصبة القديمة محصورين. فلما ضاقت لذلك حالهم نزلوا إلى هؤلاء العرب مستأمنين لأنفسهم وذراريهم وأموالهم. فمن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية. فليس اليوم بوشقة عربي صحيح ينتمي من العرب إلى أصل صحيح غير من اعتزى إلى نسب من أسلم على يديه من العرب»[28].

ويذكر العذري أيضاً معلومات تاريخية عن المنتزين بوشقة وما يجاورها من أمثال بني سلمة، وبهلول بن مرزوق، وخلف بن راشد. وينفرد العذري بمعلوماته عن الأخير حيث لم يرد له ذكر في بقية المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة، خاصة (البيان المغرب)، لابن عذاري[29].

وينتقل العذري بعد انتهاء كلامه على الثغر الأعلى إلى تعديد بعض

---

(27) الروض المعطار، طبعة إحسان عباس، ص612، وطبعة بروفنسال، ص195.

(28) العذري، ص56 ـ 57.

(29) المصدر نفسه، ص60 ـ 61.

غزوات الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إلى أراضي دول إسبانيا النصرانية، فيذكر خمساً وعشرين غزوة، ويورد لكل واحد منها التاريخ الهجري والميلادي المقابل لقيامها، وموعد رجوعه منها والمدة التي استغرقتها الغزوة، وقد ضاعت مع الأسف بعض أوراق المخطوطة التي تتضمن حديث العذري عن بقية غزوات الحاجب المنصور. وهناك نقص أيضاً في حديث المؤلف عن كورة البيرة Elvira. أما ما بقي من مادة تاريخية، فهي مكرسة عن الأحداث التي وقعت في البيرة والمرية منذ سنة 320هـ/ 932 إلى عهد العذري. وهذه المادة بطبيعة الحال من أهم مواد الكتاب، لأن العذري عاصرها وهي تتعلق بتاريخ مدينته التي عاش فيها.

وتتضمن مادة العذري عن إشبيلية Sevilla الحديث عن أوَّلية المدينة وتاريخها قبل الإسلام، ثم عن المجوس أو النورمانديين الذين هاجموا منطقة اشبيلية سنة 229هـ/ 843م وبعد ذلك يبدأ الكلام عن الثوار في كل من إشبيلية وقرمونة Carmona حسب التسلسل التاريخي منذ عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأول (138 ـ 172هـ/ 756 ـ 788م).

وهناك أيضاً استعراض لتاريخ اشبيلية في عهد بني حجاج، وكذلك عن قيام بني عباد وتوسع نفوذهم في اشبيلية وأطرافها حسب السنين حتى وفاة المعتضد بن عباد سنة 461هـ/ 1068م.

ولا يوجد إلا خبر واحد عن الثوار في نبله Niebla في أوراق المخطوط. ولكن هناك أخبار أخرى عن الثوار في كورتي شذونة Sidonia والجزيرة الخضراء Algeciras، وظهور النورمانديين في المنطقة الأخيرة سنة 245هـ/ 859م. ثم يبدأ المؤلف في الحديث عن قرطبة Cordoba، فيذكر باقتضاب عدد الولاة بالأندلس، ثم يتطرق إلى جباية البلاد ومسافة ما يملكه المسلمون منها ومعلومات أخرى عن قرطبة تدخل في باب الجغرافية.

وأخيراً فإن مادة العذري التاريخية تتميز بشكل عام بتوفر معلومات قيِّمة جداً عن استقرار العرب والبربر في الأندلس، ومما يزيد في قيمة هذه

المعلومات أن قسماً منها لم يرد في بقية المصادر بالتفصيل الذي ذكره العذري. مثال ذلك حديثه عن عامر بن أبي جوشن بن ذي النون بن سليمان ابن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح الهواري ونزوله في شنتبرية Santaver مع أهله وبني عمه، ثم ظهوره في الفتنة حيث لم يرد لهذه التفاصيل ذكر في (مقتبس) ابن حيان، أو عند ابن عذاري، وقد اكتفى الأخير بالإشارة إليه إشارة عابرة فقط[30]. وكذلك فقد ذكر العذري معلومات مفيدة جداً عن استقرار القائد الجبار بن نذير في الأندلس. وهو الذي نزل أولاً في الجانب الغربي من قرطبة حيث نسب إليه أحد أبوابها المسمى بباب عبد الجبار، ثم انتقل إلى منطقة تدمير في شرق الأندلس، وقد تحدث العذري عن انتقاله ومصاهرته لتدمير Theodimer حاكم المنطقة القوطي السابق، وأورد تفصيلات طريفة عن هذا الأمر، منها ذكر ما منحه تدمير لابنته بمناسبة هذا الزواج، وهو قريتين في المنطقة. كما استعرض أهم أحفاد عبد الجبار الذين استقروا وتكاثروا في جنوب شرق الأندلس. وهذه أيضاً معلومات قيمة لم ترد بمثل هذا التفصيل في بقية المصادر الأخرى[31].

ولا ننسى في هذا المجال معلومات العذري المفيدة التي أوردها عن استقرار قبيلة عذرة العربية في الأندلس، والتي أسلفنا الإشارة إليها في أثناء الحديث عن أصل العذري ونسبه.

مصادر مادة العذري التاريخية

يعتمد العذري في أخباره التاريخية جملة مصادر تختلف باختلاف المادة التي يؤرخ لها، والعصر الذي يكتب عنه. فحين يتحدث عن التاريخ القديم

(30) البيان المغرب، نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، أعادت نشره دار الثقافة، بيروت: 2/ 186.

(31) انظر العذري، ص15 ـ 16، وقارن: ابن حيان، المقتبس، نشر: ملتشور انطونيا باريس 1937، ص38، ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963: 2/ 308، 311.

للأندلس ويسرد الأحداث التي وقعت قبل دخول الإسلام إلى البلاد يعتمد كتباً أرّخت لهذه الأخبار القديمة. وهو ينص صراحة على أخذه من هذه الكتب، فيقول في حديثه عن تاريخ إشبيلية الأول مثلاً:

«ويذكر في بعض الكتب المؤرخة للأخبار القديمة أن أشبان بن طيطش....»[32]. ويبدو أن أهم هذه الكتب القديمة التي اعتمدها العذري هي (كتاب التاريخ) لهروشيش Orosio[33]، الذي ترجمه قاسم بن أصبغ البياني بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران قاضي النصارى في قرطبة للحكم المستنصر عندما كان ولياً للعهد[34].

وعلى الأرجح فإن العذري استفاد من هذه الترجمة التي كانت معروفة في الأندلس، أو أنه نقل منها عن طريق أحمد بن محمد الرازي (ت344هـ/955م) الذي استخدم كتاب هروشيش، واستفاد منه في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه عن الأندلس[35]. وتشير شروحات العذري لتفاسير أسماء المدن التي يتحدث عنها وعن أصولها إلى اعتماده على هذا الكتاب. من ذلك مثلاً حين يتحدث عن سرقسطة يقول إن تفسير اسمها باللسان اللاتيني هو

---

(32) العذري، ص97.

(33) هروشيش أو كما يسمى أيضاً باولوس أوروسيوس Paulus Horosius مؤرخ إسباني عاش في القرنين الرابع والخامس للميلاد وكتابه المؤلف باللاتينية Historiea adversus paganos كان ضمن ما أرسله ملك القسطنطينية البيزنطي أرمانيوس Romanos سنة 317هـ/ 948م إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ويوجد في مكتبة جامعة كولومبيا نسخة وحيدة من الترجمة العربية لكتاب هروشيش تحت رقم (X893. 712H).

(34) راجع مقدمة كتاب ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة 1955، ص كط ـ لج. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ص30 ـ 31. ومقالة: G.Levi Dell Vida, (Taraduzione Arabe Storie di Corsio, AL-Andalus, XIX. 1954.fasc, 2. pp. 257 - 265.

(35) قارن حسين مؤنس، المرجع السابق، ص54 ـ 55، عبد الواحد ذنون طه (نشأة التدوين التاريخي في الأندلس، دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد بن موسى الرازي) مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م7، العدد1، حزيران، 1980، ص81.

«جَاجَرْأغشت، وهو مشتق من اسم قيصر أوغسطوس وهو الذي بناها...»[36]. واسم المدينة باللغة اللاتينية هو Caesarea Augusta ويقابل لفظ «جاجر» كلمة Cesar. وقد ورد ذلك في الترجمة العربية لتاريخ هروشيش[37]. ويذكر العذري أيضاً أن تفسير لورقة Lorca باللاتيني هو الدرع الحصين[38]. وتفسير أوريوله Orihuela الذهبية[39].

ومن الكتب القديمة الأخرى التي اعتمدها العذري، كتاب سان أزيدور الأشبيلي ST. Isidore of Seville عن (تاريخ القوط والوندال والسويف). وقد ذكر العذري هذا المؤلف باسم اشيذر. ووصفه بأنه كان عالماً بعلم الكتاب[40]. وكلام العذري عن القوط يكاد يتفق تماماً مع ما جاء من حقائق تاريخية في كتاب سان أزيدور الأشبيلي، وللتدليل على هذا القول نورد بعض النصوص المتعلقة بتاريخ القوط التي أوردها العذري ثم نذكر ترجمة المادة المتعلقة بهذا النصوص كما جاءت في كتاب سان أزيدور.

يقول العذري:

«وولى القوط طوذشكلس (Theudiclus) وكان عاهراً شديد البسط إلى الخلق. وقتل كثيراً من خيار أهل الأندلس. وكان مستقره بمدينة اشبيلية فبينما هو في لذته ومنادمته اغتاله أحدهم فقتله»[41].

(36) العذري، ص21.

(37) انظر تعليق الأهواني، ص148.

(38) العذري، ص1.

(39) المصدر نفسه، ص10.

(40) المصدر نفسه، ص98، وكان سان أزيدور من كبار العلماء في العصور الوسطى، ولد سنة 506م، وخلف أخيه الأكبر ليندر Leander على أسقفية إشبيلية. وظل في هذا المنصب حتى وفاته في 4 نيسان 636م إضافة إلى كتابه الآنف الذكر الذي ينقل منه العذري كان لسان ازيدور مؤلفات أخرى منها الحولية الكبيرة Chronica Maiora وهي حولية عالمية تبدأ بخلق العالم وتنتهي بسنة 615م. انظر مقدمة الترجمة الإنكليزية لكتاب تاريخ القوط، والوندال والسويف، ص VII.

(41) العذري، ص97.

«ثم ولي للقوط أثلة (Agila). وهو الذي خرج من مدينة طليطلة غازياً إلى قرطبة وأقام الحرب عليها، وانهزم عنها، وقتل ولده بها، وأصيب أمواله. ثم خرج من قرطبة منهزماً إلى مدينة ماردة مفلولا وثار عليه من مدنية اشبيلية عامل له يعرف باطنجلد Athannagild وأدخل مع نفسه أهل قرطبة، وخاطب ملك روما يسأله تفويته على محاربة أثلة. فبعث إليه بِخيل وقوة. وتقدم اطنجلد مع خيل صاحب رومة، واحتل بماردة على أثلة. وحاربه بها وحاصره فيها حتى ضج أهل ماردة عن الحصار فغاوروه حتى قتلوه وأخرجوا إلى اطنجلد رأسه»[42].

رواية سان أزيدور الأشبيلي

الفقرة (44): «... وبعد مقتل Theudis أصبح ملكاً على القوط Theudiclus، وحكم لمدة سنة. ولأنه دنس زواج الكثير من الرجال ذوي النفوذ عن طريق إشاعة البغاء، فقد رغب العديد من الناس في موته. ولقد أطيح به من قبل مجموعة من المتآمرين، وقتل بطعنة سيف في أشبيلية في أثناء حضوره لإحدى الحفلات»[43].

الفقرة (45): «وبعد موت Theudiculs عين Agila ملكاً وحكم خمس سنوات. وقد شنّ حرباً على مدينة قرطبة. لكنه ابتلي بالانتقام نتيجة لهذه الحروب، وفقد ولده هناك الذي قتل مع قسم كبير من جيشه، كما فقد جميع كنوزه الشهيرة بالغنى».

الفقرة (46): أما هو فقد هزم واضطر إلى الفرار خائفاً ذليلاً إلى ماردة وبعد مرور فترة من الزمن حاول Athanagild تولي السلطة ومقاومة الاستبداد ومعارضة Agila، بعد أن استطاع Athanagild أن يسحق بقوته العسكرية

(42) المصدر نفسه، ص98.

(43) St. Isidore of Seville, History of the Goth, Vandals and Suevi, Translated from the latin by: Guido Donin and Gordon, D. Ford Leiden, 1970, p21.

جيش أخيلا الذي أرسل ضده من اشبيلية، ورأى القوط أنهم قد ابتلوا بدمار مشترك، ومما زاد في خوفهم أيضاً احتمال غزو الرومان لإسبانيا تحت ستار المساعدة، فقتلوا Agila في ماردة واستسلموا لحكم Athanagild[44].

وتختلف المصادر التي استقى منها العذري أخباره عن الأحداث التي وقعت بعد دخول المسلمين إلى الأندلس، وذلك حسب طبيعة هذه الأحداث والفترات التي وقعت فيها. فبالنسبة إلى الأحداث التاريخية التي سبقته، كان معظم اعتماده على مؤرخين ثقاة لهم باع طويل في كتابه تاريخ الأندلس، من أمثال أحمد بن محمد الرازي، وابنه عيسى الرازي. ولكنه لا يشير إليهما إلا في مناسبات قليلة[45] بل يكتفي أحياناً بذكر اسمه فقط، فيقول:

«قال أحمد بن عمر. . .»[46] أو «ذكر أهل التواريخ لأهل الأندلس»[47] وتكون مصادره في بعض المناسبات غامضة لا يمكن الاهتداء إليها، لكنها تعتمد على الاتصال المباشر بالناس والنقل الشفوي فيذكر على سبيل المثال العبارات الآتية: «وأخبرني جماعة. . .»[48] أو «وحدثني بهذه القصة جماعة من حذاق الناس»[49] أو «حدثني بذلك جماعة من أهل سرقسطة»[50].

ويشير العذري أيضاً إلى أخذه المعلومات مباشرة من أشخاص يذكر أسماءهم أو أن الخبر وصله عنهم عن طريق جماعات أخرى لا يذكرها بالاسم. فبالنسبة للأمر الأول نرى العذري يقول: «أخبرني الحكيم عبد الملك قال. .»[51] ولا نعرف من هو الحكيم عبد الملك أو لماذا لقب بهذا

(44) Ibid. p. 22.

(45) انظر العذري، ص25، 49، 28، 42، 64.

(46) المصدر نفسه، ص21 ـ 41.

(47) المصدر نفسه، ص90.

(48) المصدر نفسه، ص6.

(49) المصدر نفسه، ص6.

(50) المصدر نفسه، ص24.

(51) المصدر نفسه، ص87.

اللقب. وبالنسبة للأمر الثاني يذكر العذري أخباراً أخرى تتعلق باستقرار بعض أحفاد الصحابي المعروف سعد بن عبادة في سرقسطة، لا بد أنها وصلته عن طريق الرواية الشفوية التي نقلت عن محدث معروف هو محمد بن وضاح بن يزيغ المتوفي سنة 286هـ/ 899م[52].

وهناك خبر آخر نقله العذري عما أخبر به إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي، يتعلق ببعض المراسلات بين أحد الملوك الأوروبيين والناصر لدين الله بشأن طلب الأول لنقل رفات أحد القديسين المسيحيين إلى بلاده[53].

ويوضح العذري كيفية حصوله على بعض الأخبار بالتفصيل وذلك عن طريق التحقيق الشخصي والاستقصاء من العارفين ببواطن الأمور ممن عاصروه. ومن ذلك مثلاً سؤاله لقاضي سرقسطة أبي عبد الله محمد بن فورتش عن قبرين يقال إنهما كانا يعودان لاثنين من التابعين دخلا مع موسى ابن نصير إلى الأندلس[54]. وكذلك روايته لخبر مؤامرة دبرها بعض أهالي لورقة على عبد الرحمن بن عبد الله بن وضاح، المتسلط على المدينة، لتسليمها إلى الخليفة الناصر لدين الله، وكيف أن ابن وضاح استطاع أن يطّلع على تلك المؤامرة، ويعاقب القائمين بها، يقول العذري: «ولقد سألت الوزير أبا عثمان سعيد بن بشتغير عن ذلك، فأراني عقداً تضمن هذه القصة

(52) انظر ترجمته عند ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، رقم(1136) القسم الأول، ص15 ـ 17، والحميدي، رقم (152)، ص93 ـ 94.

(53) العذري، ص7 ـ 8. والطرطوشي المذكور هو من معاصري أحمد بن محمد الرازي وهو يهودي من أهل طرطوشة Tortosa وكان تاجراً متجولاً ممن يعملون في جلب الرقيق الأوروبي إلى الأندلس، وقد كتب رسالة عن رحلة إلى ألمانيا. انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص76 ـ 80.

A.A. EL-Hajji, Ibrahim Iben Yaqub at-Turtushi Andalusian traveller Islamic Culture, Hyderabad-Deccan, India, Vol. XL. NO. I.

(54) العذري، ص23.

فيه شهادة مشاهير مرسية وثقاتها»[55]. وهكذا نجد العذري يحاول التأكد من الخبر وضبطه، وذلك عن طريق استشارة من لهم صلة بالأمر من أمثال أبي عثمان سعيد بن بشتغير الذي كان من وجوه أهل مدينة لورقة وأعلامها[56].

منهج العذري في كتابة التاريخ

يتبين من النصوص التي بين أيدينا أن كتاب العذري ما هو في الواقع إلا كتاب تاريخ وجغرافية في آن واحد. فالعذري يمزج التاريخ بالجغرافية على عادة المؤلفين الأندلسيين الذين ساروا على نهج أحمد بن محمد الرازي الذي كان أول من وضع هذه القاعدة، فسار عليها مؤرخو الأندلس بعد ذلك[57]. ومن هؤلاء المؤرخين أحد المعاصرين للعذري، وهو ابن أبي الفياض المتوفى عام 459هـ/ 1066م، فقد عاش الاثنان في عصر واحد تقريباً، وسكنا المدينة ذاتها أي المرية، ولا بد أنهما قد التقيا وأثَّر كل منهما بالآخر خاصة في اتجاههما نحو التاريخ والجغرافية[58].

إن طريقة العذري في تأليف الكتاب تتلخص بذكر المعلومات الجغرافية عن كل موضع ثم سرد تفاصيل الأخبار التاريخية المتعلقة بذلك المكان منذ الفتح، وأحياناً منذ عهد القوط والعهود التي سبقتهم إلى الزمان الذي عاش فيه هو. ولكنه يسير أحياناً في كتابة التاريخ وفق السنوات، خاصة في ذكر الحادثة الواحدة، فيلاحق تطورها في عهود الأمراء المتتابعين من ذلك مثلاً حين يشير إلى تمرد محمد بن لب سنة 258هـ/ 871م يستمر في سرد غزوات الأمير محمد بن عبد الرحمن عليه في السنوات التالية، ثم يشرح تطور

(55) المصدر نفسه، ص9.

(56) المصدر نفسه، ص2.

(57) انظر: طه، نشأة التدوين التاريخي في الأندلس ـ دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد بن موسى الرازي، المرجع السابق، ص81.

(58) انظر: طه، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، مجلد 34، ص167.

الأمور في عهد ابني الأمير محمد، المنذر وعبد الله[59].

ويراعي العذري التسلسل الزمني في ذكر الأحداث، فحينما يتحدث عن كورة تدمير على سبيل المثال، يذكر اسمها وفتحها ومعاهدة الصلح مع حاكمها، ثم يذكر عرضا الفتنة بين المضرية واليمانية وبعد انتهاء كلامه عن جغرافية تدمير، يبحث في ثوارها بالتفصيل أيضاً حسب التسلسل الزمني، فيبدأ بعبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، المعروف بالصقلبي، الذي ثار في زمن الأمير عبد الرحمن الداخل سنة 163هـ/ 779م[60] ثم يستمر في ذكر الثوار والفتن في تدمير ومرسية، والظروف التي رافقت تلك الأحداث حتى عام 472هـ/ 1079م، أي قبيل وفاته بنحو ست سنوات[61].

وفي أثناء السرد التاريخي لا ينسى العذري أن يسجل الكوارث الطبيعية التي حلّت بالبلد الذي يؤرخ له، من ذلك مثلاً الزلازل التي ضربت منطقة تدمير وأوريولة بعد سنة 440هـ/ 1408م، وما أعقب ذلك من نتائج مؤسفة وخسارة في الممتلكات والأنفس[62]. وللعذري أيضاً نظرات في المجتمع الذي يؤرخ له، فهو لا يهمل المسائل الاجتماعية بل يهتم بها، ويعطي انطباعه عن المدينة وأهلها، فيصف أهل بلنسية مثلا بقلة الهم فيقول:

«. . . لا تكاد ترى فيها أحداً من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم، مليئاً كان أو فقيراً قد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفرج، ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني. يقولون «عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك» وقد أخبرت أن مغنية بلغت في بلنسية

(59) العذري، ص35 ـ 36.
(60) المصدر نفسه، ص11.
(61) المصدر نفسه، ص16.
(62) المصدر نفسه، ص8.

أكثر من ألف مثقال طيبة، وأما دون الألف فكثيرات. . .»[63]

وربما كان في كلام العذري بعض المبالغة في إظهار هذا الجانب، فلأهل بلنسية، بطبيعة الحال، اهتماماتهم الأخرى التي تشمل نواح عديدة من حياة المدينة العلمية والفكرية والفنية[64].

والعذري، كمعظم مؤلفي القرون الوسطى، يلتزم في معظم الأحيان جانب الحكام فتراه يميل إلى الأسرة الأموية التي حكمت الأندلس، بل ينظر إليها نظرة فيها نوع من التقدير لأن الأمير هو حامي المسلمين وهو الإمام الشرعي. ولهذا نراه يستعمل لقب «الإمام» حين يذكر اسم معظم الأمراء الأمويين تقريباً[65]. ويشاطره في هذا الاتجاه من المعاصرين له ابن حزم القرطبي الذي كان يميل إلى الأمويين، ويعتقد بصحة إمامتهم[66] ويبدو أن السبب في هذا يعود إلى ظروف العصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء المؤرخون، حيث حلت النكبات والكوارث بالأندلس بعد سقوط الدولة الأموية والخلافة في قرطبة سنة422هـ/ 1031م وما أعقب ذلك من اضطراب وانعدام الأمن، مما دفع هؤلاء إلى النظر إلى الوراء بعين التقدير واعتبار عهد الأمويين في الأندلس من العهود الزاهرة التي حققت وحدة المسلمين وجمعت كلمتهم تحت راية إمام واحد، وهو الأمير الأموي.

ويتميز العذري بالدقة في ذكر التواريخ، حتى إنه يذكر الحادثة أحياناً باليوم والشهر والسنة. ويستعمل التاريخ الهجري عادة، لكنه يقرن في بعض الحالات التواريخ الميلادية مع التواريخ الهجرية. ويكون استعماله للتاريخ

(63) المصدر نفسه، ص18.

(64) انظر: كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة بيروت، 1976.

(65) المصدر نفسه، ص26، 27، 29، 30، 37.

(66) انظر رواية ابن حيان التي ينقلها علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979 القسم الأول، المجلد الأول ص169.

الميلادي مضبوطاً، فعلى سبيل المثال حين يتحدث عن تمرد إسماعيل بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسي في الثغر الأعلى يقول:

«ثم ترددت الصوائف على إسماعيل بن موسى بمدينة سرقسطة، غزته بها صائفة سنة خمس وستين ومائتين، فاحتلت بموضع يعرف بالكنيسة يوم الخميس لأربع أيام ماضية من يونيه الكائن في شوال، وقوتل ذلك اليوم، ثم خطرت الصائفة بسرقسطة يوم الاثنين لثمانية ماضية ليونية، ونزل الجيش خلف الصد فوريش فأفسد الزروع وأحرقها بقرى شلون إثنا عشر يوماً. ثم انتقل الجيش من شلون إلى برجه يوم الجمعة لسبعة عشر يوماً ماضية ليونية فاكتسحت بُرْجَه وطرسونة واسكانية. ثم احتل العسكر بتطيلة يوم الجمعة لثلاثة أيام باقية ليونية الكائن في ذي القعدة»[67].

وحساب العذري هنا صحيح لأن حزيران أو يونية سنة 879م يقابل بالفعل شوال وذي القعدة من سنة 265هـ[68].

أما الأسلوب الذي استخدمه العذري في الكتابة فهو أسلوب جميل يتميز بعبارات موجزة، لكن فيها حبك وطراوة، وهي تعطي للحادثة التاريخية مغزاها بحيث يتمكن القارئ من فهمها بسهولة ويسر. ومع هذا فلا يخلو الكتاب من بعض الأخطاء اللغوية والنحوية، خاصة في ذكر الأعداد، والتأنيث والتذكير، وحروف الجر[69]، فيقول على سبيل المثال: «فزوجه عبد الله بن خلف من ابنته سيدة فولد له منها ولداً سماه محمداً..»[70] كما يذكر في مكان آخر «ثم تمادى الحرب»[71] ويستخدم العذري كذلك عبارات غريبة فيقول مثلاً:

(67) العذري، ص33.

(68) انظر: فريمان ـ جرنفيل، التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة الدكتور حسام محيي الدين الألوسي، بغداد، 1970، ص35.

(69) انظر هامش الأهواني، ص154.

(70) العذري، ص33.

(71) المصدر نفسه، ص34.

«استفلك له جميع الموضع»[72] و«استفلك له الرياسة»[73] يقصد سيطر على الموضع واستقر له الحكم، أو يقول «فكفحهم وفرقوا فلم يعودوا. . .»[74] ومن تعابيره الأخرى التي تصف الولاء الاسمي لبعض الزعماء المتنفذين في الثغر الأعلى للأمير الأموي قوله كان «على طاعة»[75]، فهو لم يعرف الطاعة بل جعلها نكرة ليشير إلى تذبذبها وزيفها واستخدم كلمة «نازل» في وصف استقرار شخص ما في منطقة من مناطق الأندلس، فيقول مثلاً أن فلاناً «من نازل سرقسطة»[76]، أي إنه استقر فيها بعد الفتح. كما استخدم كلمة الاستيطان أيضاً لهذا الغرض فيقول عن مطروح بن سليمان أنه كان «مستوطناً في بسيط سرقسطة»[77]. وللعذري تعبير طريف في وصف التمتع بالملاهي والملذات، فيقول عن بعض تجار بلنسية، مثلاً أنهم استعملوا «أسباب الراحات والفُرج» إشارة إلى اقتنائهم للمغنيات وكثرة سماعهم للأغاني[78].

ويخلو كتاب العذري من الشعر باستثناء قصيدة واحدة وجدت في صفحة مستقلة[79]، وهي في مدح الخليفة الناصر لدين الله.

ولا يعرف صلة هذه القصيدة بما قبلها أو بعدها، لكنها، كما يقول المحقق، من خط المخطوط نفسه وحجم الورق[80]. وأغلب الظن أنها ليست من نظم العذري ويؤيد هذا القول خلو الكتاب من الشعر وانعدام الصلة بين القصيدة ومادة الكتاب.

(72) المصدر نفسه، ص34.
(73) المصدر نفسه، ص107.
(74) المصدر نفسه، ص43، وانظر ابن منظور، لسان العرب، نشر يوسف خياط ونديم مرعشلي، م3، ص272، مادة (كفح).
(75) المصدر نفسه، ص29.
(76) المصدر نفسه، ص26.
(77) المصدر نفسه، ص26.
(78) المصدر نفسه، ص18، وقارن مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ص96.
(79) العذري، ص128
(80) انظر هوامش المحقق، ص185.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

1 ـ ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963.
2 ـ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة روما.
3 ـ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1979.
4 ـ ابن بشكوال، الصلة، القاهرة، 1966.
5 ـ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، 1955.
6 ـ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962.
7 ـ الحميدي، جذوة المقتبس، القاهرة، 1966.
8 ـ الحميري، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1975.
9 ـ ابن حيان، المقتبس، نشر ملتشور أنطونيا، باريس، 1937.
10 ـ ابن خير، فهرسة ابن خير، منشورات دار الآفاق عن الطبعة الأوربية التي نشرها خليان رابيرا، سرقسطة، 1893.
11 ـ الضبي، بغية الملتمس، طبعة مدريد، 1884.
12 ـ ابن عذاري، البيان المغرب، نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948. أعادت نشره دار الثقافة، بيروت.
13 ـ العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد

العزيز الأهواني مدريد، 1965.

14 ـ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.

15 ـ ابن منظور، لسان العرب، نشر يوسف خياط ونديم مرعشلي، بيروت، بدون تاريخ.

16 ـ ياقوت، معجم البلدان، بيروت، 1957.

المراجع الحديثة:

* أغناطيوس، يوليانوفتش كراتشكوفسكي.

17 ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان القاهرة، 1963.

* حسين، كريم، عجيل.

18 ـ الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، بيروت، 1976.

* طه عبد الواحد ذنون.

19 ـ نشأة التدوين التاريخي في الأندلس ـ دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد بن موسى الرازي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م7، العدد1، حزيران، 1980.

20 ـ نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الثاني، المجلد الثاني والثلاثين، بغداد، 1981.

* فريمان، جرنفيل

21 ـ التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة الدكتور: حسام محيي الدين الألوسي، بغداد، 1970.

* مؤنس، حسين.

22 ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967.

المراجع الأجنبية:

1 - A. Ael-Hajji, Ibrahim ibin Yaqub at-Turtushi, Andalusian travveller Islamic Culture, hyderabad-Deccan India, 1966. Vol. XL, No.I.

2 - St.Isidore of Sevill, History of the Goth, Vandalas and Suevi, Translated from the Latin by: Guido Donini and Gordon, D.Ford, Leiden. 1970

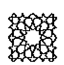
3 - G.Levi Dell Vida, Talraduzione Arabe LLa storie di Orosio, Al-Andalus, XIX, 1954, fasc, 2.

4 - P-Pons Boigues, Los Historiadores y Geografos Arabigo-Espanoles 800-1450 A.D Amsterdam reprint of Madrid edition, 1898.

5 - A.D. Taha, The Muslim conquest and settle ment of North Africa and Spain, Unpublished ph.D. thesis, University of. Extere, 1978.

دراسة في منهج ابن حزم الأندلسي

في كتابه «حجة الوداع»



نشر هذا البحث في مجلة رسالة الخليج العربي في
الرياض، العدد السابع عشر السنة السادسة 1406هـ/1986م.

لا يخفى أن دراسة الحديث كانت النواة الأولى للعلوم الإسلامية، فهي الأصل الذي تفرعت منه مختلف هذه العلوم وتطورت بمرور الزمن. وأهمية الأحاديث النبوية الشريفة لموضع التدوين التاريخي، من المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين، بسبب الترابط والتأثر بين مناهج المحدِّثين، ومناهج المؤرخين. فنحن نلاحظ أن معظم المؤرخين المسلمين الأوائل كانوا محدِّثين بالأصل قبل أن يكونوا مؤرخين، مثل ابن اسحاق، والواقدي، والطبري. وقد أُلِّفت بحوث ودراسات عديدة لبيان هذه العلاقة وإبرازها، وتأكيد دور الحديث في التأثير على التاريخ وتدوينه[1]. ولهذا فإن هدف هذا

---

(1) انظر على سبيل المثال: عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ. (بيروت، 1960)، أكرم العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة (بغداد، 1967)، صالح أحمد العلي، الرواية والأستاذ، مجلة المجمع العراقي، ج1، م31 (بغداد، 1980)، محمد

البحث لا يرمي إلى دراسة من هذا القبيل، بل هو محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على طريقة أحد الكتاب المسلمين الذين حاولوا الاستفادة من الأحاديث النبوية الشريفة في توثيق الأحداث التاريخية، وذلك من خلال دراسة منهج ابن حزم الأندلسي في كتابه (حجة الوداع)، الذي يقوم على أساس الاستعانة بالأحاديث النبوية الشريفة في تسجيل هذه الرحلة المباركة التي قام بها الرسول ﷺ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة.

يعد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي من أعظم المفكرين المسلمين الذين نبغوا في الأندلس بشكل خاص، والعالم الإسلامي بشكل عام، حيث بلغت مؤلفاته عدداً كبيراً من الكتب شملت تقريباً معظم صنوف المعرفة البشرية، مثل الفقه، والتاريخ، وعلم الأخلاق، والمنطق، والفلسفة، ومقارنة الأديان، والأنساب، والحب العذري، والشعر، وغيرها[2]. ولد ابن حزم في قرطبة ليلة الفطر سنة 384هـ، وتوفي رحمه الله في ليلة سنة 456هـ. وتشير كتب التراجم إلى أنه كان حافظاً، عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متضلعاً في علوم جمة، عاملاً بعلمه[3].

وقد اشتهر ابن حزم بكونه من العلماء المسلمين المجادلين لمن خالفهم من العلماء من أصحاب المذاهب الأخرى، إستناداً إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده لِيُبَيِّنَنَّهُ للناس ولا يكتمونه. وفي هذا الصدد يقول

جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التاريخي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، بغداد 1973.

(2) انظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، 1980): 1/5 ـ 15.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، (القاهرة، 1966)، ص308، وقد ترجم لابن حزم، كتاب عديدون، وكتبت عنه دراسات حديثة كثيرة، انظر على سبيل المثال: الطاهر أحمد مكي دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة (القاهرة 1977) زكريا ابراهيم، ابن حزم الأندلسي (دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ)، هذا بالإضافة إلى العديد من الدراسات باللغة الإسبانية.

مؤرخ الأندلس ابن حيان (توفي عام 469هـ)[4]:

«ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة، من أشهرها في علم الجدل كتابه المسمى: «الفصل بين أهل الآراء والنحل»[5].

والذي يهمنا في هذا البحث بالدرجة الأولى، هو اهتمام ابن حزم بالأحاديث النبوية الشريفة، واستخدامها في توثيق الأحداث التاريخية. ولا بأس أن نشير إلى غزارة علمه في فقه الحديث أيضاً، حيث ألف فيه كتاباً كبيراً أسماه بكتاب (الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع). وقد أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة في ذلك[6].

وفي كتاب (حجة الوداع)، الذي سنتعرض له بشيء من التفصيل، سجل ابن حزم رحلة الرسول ﷺ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج الأخيرة. وهذا الكتاب وثيقة تاريخية قيِّمة لهذه الرحلة المقدسة، دوّن فيها المؤلف كل صغيرة وكبيرة من بحوث فقهية، وتقاليد دينية، وأوامر، ونواه، مستنداً إلى الأحاديث النبوية الشريفة، بإسناد صحيح، وبأدلة مؤيدة قوية، وبأسلوب علمي، ومنهجية دقيقة، وطريقة فريدة في البحث، متتبعاً خطوات الرسول ﷺ، مرافقاً له من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، إلى عرفات ومنى، ثم عاد معه إلى المدينة. وقد كان هذا الكتاب

(4) نقل رواية ابن حيان ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، 1979) ق1، م1، ص170.

(5) نشر هذا الكتاب في خمسة أجزاء، (القاهرة، 1317 ـ 1321).

(6) انظر: الحميدي، ص309.

في جملة كتب ابن حزم الكثيرة المفقودة، ولكن جهود الدكتور ممدوح حقي، محقق الكتاب، أدت إلى العثور على أصول هذا الكتاب القيم، فجمع جذاذاته، وحققه، وعلق عليه[7].

وقد أورد ابن حزم أخبار حجة الوداع بشكل موجز مختصر في أول الأمر، دون أن يشير إلى أي حديث، وذلك في الفصل الأول من الكتاب.

أما في الفصل الثاني، ففسر حجة الوداع، وأسند كلامه بأحاديث مختلفة تؤيد ما ذهب إليه من رواية مع ذكر الأسانيد الكاملة المنتهية إلى رسول الله ﷺ. وذلك لتكون بينة عدل، وشواهد حق على صدق ما أورده من ألفاظ. ثم ذكر بعد ذلك ما ظنه قوم أنه يعارض تلك الآثار التي استشهد بها، وبيَّن أنه لا تعارض في شيء من ذلك ببراهين ظاهرة، لكل من له حظ من الأنصاف والتمييز.

والآن وبعد الاطلاع على ماهية هذا الكتاب، والخطوط العامة التي يشير إليها، يحسن التعرف إلى غاية ابن حزم من تأليفه لهذا الكتاب. والدافع واضح صريح، سجله ابن حزم في مقدمته التي ابتدأ بها الكتاب. فيذكر أن الأحاديث كثرت في وصف أعمال الرسول ﷺ في حجة الوداع، وأتت من طرق شتى، وبألفاظ مختلفة. وقد وصفت أخبارها بكثرة، حتى تعذر على الناس فهمها، وظن قوم أنها متعارضة، بل تركوا النظر فيها من أجل ذلك. وهذا ما دعاه إلى النظر فيها وإعادة ترتيبها، وسردها بشكل منسجم يسهل على الناس. يقول: «فلما تأملناها وتدبرناها، بعون الله عز وجل لنا وتوفيقه إيانا، لا بحولنا ولا بقوتنا، رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة، منسردة متصلة بيِّنة الوجوه واضحة السبل، لا إشكال في شيء منها، حاشا فصلاً واحداً لم يلح لنا فصل الحقيقة فيه...»[8].

---

(7) راجع مقدمة الدكتور ممدوح حقي التي قدمها بين يدي الكتاب الطبعة الأولى، (بيروت، 1966).

(8) حجة الوداع، ص13.

وهنا تبدو منهجية ابن حزم ودقته العلمية، حيث يعترف بالإشكال، ويقرر أنه لا يمكنه البت بالنص حينما لا يكون واثقاً بشأن أي النقلين أصح وهو: «أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة؟».

فيقول: «لعل غيرنا يلوح له بيان ذلك. فمن استبان له ما أشكل علينا منه يوماً. فليضعه إلى ما جمعناه ليقتني بذلك الأجر الجزيل من الله تعالى ومع ذلك فما نيأس من أن يشرق لنا وجه الصحيح، وبالله تعالى التوفيق، مع طول البحث وقرع الأحاديث...»[9].

ونلاحظ أن ابن حزم ذكر الاختلاف في الروايتين حينما وصل إلى ذكر الحادثة ضمن السياق التاريخي، وأورد القولين مكرراً بأن أحد الخبرين وهم، والثاني صحيح: ولكنه لا يعلم أيهما هو الصحيح[10]. ومع هذا فهو لا يقتحم الحكم فيما لم يقف على بيانه، ولا يجسر على البت فيما لم يطَّلع على حقيقته، وهو أيضاً يستعيذ بالله من الحكم بالرأي، لأن هذه الخطة، حسب تعبيره «خطة خسف لا يرضاها لنفسه ذو دين ولا عقل...»[11].

ولكن على الرغم من كل تحفظاته فإن ابن حزم لم يستطع أن يترك هذه المسألة دون أن يبدي فيها ترجيحاً، فقد رجَّح حديثي جابر وعائشة اللذين اتفقا على أن الرسول ﷺ صلى الظهر يوم النحر بمكة، قائلاً: «وهما ـ والله أعلم ـ أضبط لذلك من ابن عمر. فعائشة أخص به من جميع الناس. والله أعلم»[12].

ويمكننا أن نلاحظ في طريقة شرحه لما أورده من نصوص الملاحظات الآتية:

1 ـ أنه يذكر براهين موحدة لأكثر من حادثة ذكرها في النص الأصلي،

---

(9) المصدر نفسه، ص13 ـ 14.

(10) المصدر نفسه، ص38.

(11) المصدر نفسه، ص14 ـ 15.

(12) المصدر نفسه، ص116 ـ 117.

ولهذا فهو يركِّب بين خبرين أو أكثر، ويورد أحاديث مسندة تؤيدها[13].

2 ـ يجزىء الحادثة أحياناً، فيذكرها وحدها إذا كان لديه دليل خاص بها[14].

3 ـ لا يذكر النص الأصلي في بعض الأحيان[15].

4 ـ يهمل شرح بعض الجمل التي كان قد ذكرها في النص الأصلي[16].

ولكن بعض الأخطاء الموجودة في الكتاب، وكذلك النقص، لا يمكن إرجاعه إلى المؤلف، فلعل الناسخ قد تصرف في ذلك، وربما فاتت بعض الأمور على المحقق أيضاً. وعلى أي حال، فالتحقيق ينقصه الكثير، حيث إن الأستاذ المحقق لم يشر إلى مصادر التحقيق، ولا أشار إلى مقارنات مع كتب السيرة التي تناولت موضوع حجة الوداع كذلك لم توضَّح في الكتاب بعض الكلمات الصعبة، ويكاد يكون الكتاب خالياً من الهوامش تقريباً.

مصادر ابن حزم في كتابه «حجة الوداع»

كانت الأحاديث النبوية الشريفة هي مصادره الرئيسة في تأليف الكتاب، وهو طبعاً يعتمد على سلسلة الرواة، الذين يتسلسلون إلى من رأى وسمع الرسول ﷺ يقوم بعمل من الأعمال أثناء تلك الحجة. ويوضح ابن حزم فضل شاهد العيان وأهميته في كتابة التاريخ بقوله: «... وللزائر فضل مشاهدته وعلمه على ما لم يشاهده غيره»[17]. وهو يورد في بعض الأحيان أكثر من حديث واحد للدلالة والبرهنة على ما ذكره في تاريخه لهذه

(13) قارن مثلاً: المصدر نفسه، ص15، 113، (34، 136، 27، 98) (27، 103).
(14) قارن المصدر نفسه، ص31، 135.
(15) قارن: ص(17، 39)، (19، 49)، (19، 52)، (22، 74)، (23، 76)، (127 730).
(16) انظر مثلاً: ص18، وقارن أيضاً، ص21، 63.
(17) المصدر نفسه، ص41.

الحجة[18]. كما يشرح بعض المناسك في أثناء إيراده الأحاديث[19]. وهو يذكر عدة أحاديث، أو حديثاً واحداً لتأييد كلامه، حتى ولو للفظة واحدة، مثلاً يقول: «إنما أدخلنا هذا الحديث، لهذه اللفظة: فانتظرها بأعلى مكة حتى جاءت[20]» أي إنه لا يريد أن يبقى أي جزء من كلامه دون إسناد إلى نص من الحديث. ويشرح أحياناً ويوضح أسماء بعض الرواة ويعرِّفهم[21]. كما يورد الحديث أكثر من مرة، ولكن برواة آخرين تثبتاً لقوله[22].

وطريقة ابن حزم في تأليف الكتاب، كما أسلفنا، هي الاعتماد على الأحاديث للبرهنة على الحادثة التاريخية التي يذكرها. ولعل من المفيد هنا أن نذكر بعض النماذج المختارة لهذه الطريقة.

«أما قولنا: [أعلم رسول الله (ﷺ) الناس أنه حاج ثم خرج (عليه السلام) عامداً إلى مكة عام حجة الوداع، التي لم يحج من المدينة منذ هاجر (عليه السلام) إليها غيرها].

فلما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني، حدثنا إبراهيم ابن أحمد البلخي، حدثنا محمد يوسف العزيري. حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري، حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير وهو ابن معاوية، حدثنا أبو إسحاق هو السبيعي. قال: حدثني زيد بن أرقم:

أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر، حجة واحدة ولم يحج بعدها. «حجة الوداع»[23].

إثبات حادثة تاريخية سبق له أن أشار إلى حديث يؤيدها:

---

(18) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ص41 ـ 44، 71.

(19) المصدر نفسه، ص51، 84، 90.

(20) المصدر نفسه، ص131.

(21) المصدر نفسه، ص83، 102، 104.

(22) المصدر نفسه، ص44، 50، 62، 70، 86، 88، 91، 96 ـ 87، 135.

(23) المصدر نفسه، ص33.

وأما قولنا [ونهض (عليه السلام) واستهل هلال ذي الحجة ليلة الخميس، اليوم الثامن من خروجه (عليه السلام) من المدينة] خرج من المدينة يوم الخميس لست بقين، لذي القعدة، فانسلخ ذو الحجة بلا شك يوم الأربعاء. فاستهل ذو الحجة، بلا شك، ليلة الخميس كما قلنا. وأيضاً، فقد صحَّ أن يوم عرفة، كان في تلك الحجة، يوما للجمعة فكان استهلال ذي الحجة، بلا شك، ليلة الخميس، لأن يوم عرفة، هو التاسع من ذي الحجة»[24].

ونلاحظ على النص الأخير كثرة استعمال ابن حزم لألفاظ التأكيد، وهذا يدل على تيقنه مما يقول، وثقته بنفسه، فهو يستعمل كلمة لا شك، أو بلا شك مرات عديدة في هذا النص، وفي أماكن أخرى من الكتاب[25].

والشيوخ الذين يروي عنهم ابن حزم كثيرون: لكنه يعتمد على بعضهم في نقل أحاديث كثيرة. فمن هؤلاء، عبد الله بن يوسف بن هاني، وكنيته أبو محمد، وقد ذكره ابن حزم وروى عنه، وأثنى عليه[26]. وقد بلغ مجموع الأحاديث التي رواها عنه نحو(75) حديثاً[27].

وكذلك روى عن عبد الله بن ربيع بن عبد الله التميمي، الذي توفي عام 415هـ[28]. وقد روى عنه أكثر من (50) حديثاً بأسانيد مختلفة[29]. ومن الشيوخ الذين روى عنهم ابن حزم، عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني، الذي اشتهر بالحديث والرواية[30] روى عنه ابن حزم أكثر من (30) حديثاً[31].

---

(24) المصدر نفسه، ص48 ـ 49.

(25) انظر على سبيل المثال، المصدر نفسه، ص38، 40، 49، 52، 56، 91، 126، 133، 137.

(26) الحميدي، جذوة المقتبس، ص268.

(27) تتركز هذه الأحاديث في كتاب «حجة الوداع» في الصفحات 33 ـ 132.

(28) الحميدي، ص261.

(29) راجع هذه الأحاديث في (حجة الوداع) ص40 ـ 135.

(30) الحميدي، ص275.

(31) انظر على سبيل المثال، حجة الوداع، ص33، 37، 38، 42، 55، 62، 65، 68، 72، 80، 86، 87، 91، 96، 99، 104، 107، 114، 119، 122، 129، 130، 131، 134، 136.

وهناك رواة آخرون روى عنهم ابن حزم بعض الأحاديث فقط، منهم حمام بن أحمد، الذي روى عنه سبعة أحاديث، وهو محدِّث قرطبي[32]. أما أحمد بن عمر بن أنس العذري فقد كان مصدراً لخمسة أحاديث رواها عنه ابن حزم[33]. عرف العذري باهتمامه بعلم الحديث، وبإقراء أمهات مصنفاته، لا سيما الصحيحين، وكانت له رحلة إلى المشرق لسماع الحديث استغرقت نحو تسع سنين[34]. كما روى ابن حزم ثلاثة أحاديث عن أحمد ابن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني[35]، وثلاثة أحاديث أخرى عن أحمد بن محمد، الذي يعرف بابن الجسور، وقد اشتهر هذا الأخير بروايته لكتاب (التاريخ) لمحمد بن جرير الطبري[36].

ويدخل الطبري في سلسلة إسناد اثنين من أحاديث أحمد بن محمد بن الجسور[37]. وقد روى ابن حزم عن بعض الشيوخ الآخرين أحاديث مفردة، ومن أشهر هؤلاء، أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، الذي كان إماماً في القراءات وتوفي بعد سنة أربعمئة وعشرين هجرية[38].

أما سلسلة إسناد ابن حزم، فهي طويلة نسبياً، تصل أحياناً إلى أكثر من عشرة رواة. وسيكون التركيز في هذا البحث على نهاية هذه السلسلة فقط، حتى نكوِّن فكرة عن الأشخاص الذين تنتهي إليهم الأحاديث التي سمعوها مباشرة عن الرسول ﷺ. وهذا بطبيعة الحال يدل على مدى التوثيق الذي

---

(32) انظر ترجمته عند الحميدي، ص199، وراجع: حجة الوداع، ص36، 53، 56، 59، 105، 134، 135.

(33) حجة الوداع، ص34، 35، 113، 121، 122، 123.

(34) ابن بشكوال، الصلة، القاهرة، 1966: 1/ 66 ـ 67، الحميدي، ص136 ـ 137.

(35) انظر ترجمته عند الحميدي، ص142، وراجع: حجة الوداع ص43 ـ 44، 47، 103 ـ 104.

(36) الحميدي، ص107.

(37) حجة الوداع، ص102، 104، 124.

(38) انظر ترجمته عند: الحميدي، ص114، وراجع: حجة الوداع، ص70.

قدمه ابن حزم لروايته عن حجة الوداع. فمن ملاحظة الأحاديث نرى أن الإسناد ينتهي في ثمانية وثلاثين حديثاً منها إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها[39] كان منها عشرون عن طريق مسلم[40] وثمانية عن طريق البخاري[41]، وتنتهي ثمانية أحاديث إلى أنس بن مالك[42] كان منها ثلاثة عن البخاري[43] واثنان عن طريق مسلم[44]. كما تنتهي تسعة أحاديث إلى جابر بن عبد الله، ثمانية منها عن طريق مسلم[45]. وحديث واحد عن طريق أحمد بن حنبل[46] وتنتهي خمسة أحاديث إلى أسامة بن زيد[47]، وأربعة إلى عروة بن مضرس[48]، وثلاثة إلى عبد الرحمن بن معمر الديلي[49].

وهناك بعض الصحابة الكرام الذين تنتهي إليهم سلسلة الإسناد في حديث واحد، أو حديثين، منهم على سبيل المثال لا الحصر: علي بن أبي طالب، حديثين[50]، عمر بن الخطاب، حديث واحد[51]، عبد الله بن مسعود، حديثين[52]، أبو هريرة حديثين[53] السائب بن عبد الله، حديثين[54]، أسماء

(39) حجة الوداع، ص43، 44، 50، 53، 54، 92، 115، 116، 119، 133.
(40) المصدر نفسه، ص40 ـ 43، 48، 49، 51 ـ 53، 67، 69، 91، 115، 118، 132.
(41) المصدر نفسه، ص42، 56، 68، 114، 119، 131، 134.
(42) المصدر نفسه، ص38، 40، 70.
(43) المصدر نفسه، ص70، 131، 134 ـ 135.
(44) المصدر نفسه، ص70، 128.
(45) المصدر نفسه، ص50، 56، 61، 66، 67. 75، 101، 123.
(46) المصدر نفسه، ص61.
(47) المصدر نفسه، ص85، 86، 7126 129.
(48) المصدر نفسه، ص88 ـ 89.
(49) المصدر نفسه، ص90، 119، 120.
(50) المصدر نفسه، ص109، 110.
(51) المصدر نفسه، ص37.
(52) المصدر نفسه، ص87، 100.
(53) المصدر نفسه، ص46، 47.
(54) المصدر نفسه، ص59، 60.

بنت أبي بكر، حديثين[55]، ميمونة حديث واحد[56]، أم حبيبة حديث واحد[57]، الفضل بن عباس حديثين[58]، قدامة بن عبد الله حديث واحد[59]، زيد بن أرقم، حديث واحد[60]، أسامة بن شريك، حديثين[61]، جبير بن مطعم، حديث واحد[62]، أم سلمة، حديثين[63].

وقد دخل الزهري في إسناد ستة أحاديث[64]، كما دخل أحمد بن حنبل في إسناد أربعة أحاديث[65]، والأوزاعي في إسناد حديثين[66].

وبهذه الطريقة التي استخدم فيها ابن حزم أسلوب المحدِّثين، استطاع أن يقدم أدلة مؤكدة قائمة على الأحاديث النبوية الشريفة، التي نقلت إلى جيله بواسطة سلسلة متينة من الرواة الموثوقين، على صحة المعلومات التي أوردها عن حجة الوداع. ومحاولة ابن حزم هذه تعد من المحاولات القيِّمة التي تستخدم علم الحديث لدعم الحقائق التاريخية وليست هذه الدراسات غريبة على هذا العالم المسلم الذي تضلع في علوم الدين، كما برز في علم التاريخ والأنساب.

---

(55) المصدر نفسه، ص71، 93.
(56) المصدر نفسه، ص78.
(57) المصدر نفسه، ص92.
(58) المصدر نفسه، ص97، 99.
(59) المصدر نفسه، ص98.
(60) المصدر نفسه، ص33.
(61) المصدر نفسه، ص121، 123.
(62) المصدر نفسه، ص114.
(63) المصدر نفسه، ص69، 117.
(64) المصدر نفسه، ص99، 120، 122، 129 ـ 130.
(65) المصدر نفسه، ص61، 81، 101، 113.
(66) المصدر نفسه، ص130.

المصادر والمراجع

* ابن بسام الشنتريني.
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1979.
* ابن بشكوال:
الصلة، القاهرة، 1966.
* الحاجري، طه.
ابن حزم، صورة أندلسية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
* حمادي، محمد جاسم.
أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التاريخي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23، بغداد، 1983.
* الحميدي.
جذوة المقتبس، القاهرة، 1966.
* ابن حزم
رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1980 حجة الوداع، ط1. بيروت، 1966.
* الدوري، عبد العزيز.
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، 1960.
* العلي، صالح أحمد.
الرواية والإسناد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج1، م31، بغداد، 1980.
* العمري، أكرم.
بحوث في تاريخ السنة المشرّفة، بغداد، 1967.
* مكي، الطاهر أحمد.
دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، القاهرة 1966.

موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس

من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف

92 ـ 479هـ/ 711 ـ 1086م

تمهيد

لقد سبقت الإشارة في دراسة سابقة عن «موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين»[1] إلى أهمية تاريخ ابن عذاري الموسوم: «البيان المغرب في (تلخيص) أخبار الأندلس والمغرب» بالنسبة للدراسات المغربية والأندلسية.

كما تمت الإشارة أيضاً إلى أقسام الكتاب، والمؤلف وعصره، وبقية مؤلفاته الأخرى وطريقته في التأليف، التي تعتمد مبدأ الحوليات أساساً في التدوين التاريخي، مع مزج هذه الطريقة بالرواية حينما يورد أخباراً تفصيلية عن موضوع معين، أو حينما يتحدث عن مدينة أو جماعة معينة. وقد ألمحنا إلى أن هذه الطريقة المزدوجة سمحت لابن عذاري أن يقدم معلومات مختصرة عن أحداث أقل أهمية، حينما لا تتوفر لديه منها روايات كافية، فأشار إليها بفقرات قليلة على الطريقة الحولية، بينما فصّل في الأحداث المهمة بشكل روائي، حينما توفرت له المادة الكافية لذلك.

وقد سار ابن عذاري في تقديمه لأخبار الأندلس على الطريقة ذاتها، فذكر الحوادث مرتبة على السنين، مع الإيجاز، وفصَّل في مسائل كثيرة

---

(1) انظر: مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السادس والثلاثون، بغداد 1985، ص201 ـ 262.

كانت من وجهة نظره بحاجة إلى التفصيل والخروج عن النظام الحولي. ويبدو هذا الأمر واضحاً جداً في رواياته عن دول الطوائف، فتحدث بشكل رواية مستمرة عن بعض الأسر الكبيرة، مثل بني جهور في قرطبة Cordoba، والعباديين في اشبيلية Seville، بينما خص الدويلات الصغرى بأخبار موجزة يغلب عليها النظام الحولي، ويبدو أن أسلوب الرواية الطويلة كان محبذاً عند ابن عذاري، لا سيما وأنه تعوّد على إدراج نقولات طويلة عن المؤرخين الذين سبقوه، وبهذا استطاع أن يتحرك بسهولة ضمن الأحداث التاريخية، فكان يرجع إلى خلفية الأحداث، أو يتقدم بالإشارة إلى نتائجها حينما يتطلب السياق ذلك. ولم يكن ليتاح له هذا لو اقتصر على تنظيم كتابه على الحوليات فقط.

استخدم ابن عذاري عدداً كبيراً من المصادر لتدوين كتابه عن تاريخ الأندلس، وذكر قسماً من هذه الكتب في مقدمته في الجزء الأول. وفي الحقيقة، استفاد ابن عذاري من معظم المصادر التي سبق وأن استعملها في كتابة تاريخ شمال إفريقيا. ولكنه أضاف إليها موارد أخرى لم يسبق له استعمالها، ولم يشر إليها في المقدمة أيضاً، مثل روايات أحمد بن محمد بن موسى الرازي، وابنه عيسى بن أحمد، وابن مزين، وعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر، ومحمد بن مسعود، وآخرين غيرهم ممن أشار إليهم إشارات مقتضبة، لا تمكّن الباحث من التحقق من شخصيتهم، أو التعرف إلى كتبهم التي نقل منها واستمر ابن عذاري أيضاً يذكر بعض التعابير التي لا تساعد على التعرف بوضوح على مصادر بعض أخباره ورواياته، فذكر على سبيل المثال روايات ابتدأها بقوله: «قال بعض المؤرخين»[2]، و«وجدت في بعض تاريخ الأندلس»[3]، و«ذكر أصحاب

(2) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر: ج، س كولان وا. ليفي بروفنسال، ليدن، 1948، وقد أعادت دار الثقافة نشره في بيروت: 2/ 251.

(3) المصدر نفسه: نشر: ليفي بروفنسال، باريس، 1930، 3/ 111.

التاريخ»[4]، و«قال بعضهم»[5]، «واتفق الجميع»[6]، ولقد تمت مناقشة هذه المشكلة في بحثنا السابق عن موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا. وهنا أيضاً لا تشكل هذه النصوص إلا حالات محدودة لا تؤثر بشكل فعال على طريقة ابن عذاري الواضحة في الإشارة المستمرة إلى الموارد التي استقى منها أخباره.

وبالنسبة إلى الخطة المتبعة في هذا البحث، سوف يتم التعرض إلى كل الموارد التي استخدمها المؤلف حسب أهميتها وتسلسلها الزمني. وتجنباً للإطالة والتكرار. فإن البحث لن يتطرق إلى ذكر معلومات سبقت الإشارة إليها عن الموارد التي استخدمها في كل من شمال إفريقيا والأندلس، بل سيتم التركيز على مناقشة النصوص الخاصة بالأندلس، ومقارنتها بمصادرها الأصلية المتوفرة، ودراسة طريقة المؤلف، وتعامله معها. أما الموارد الجديدة، فستنال نصيبها الكامل من البحث، بقدر ما تسمح به المعلومات المتيسرة في المصادر المتاحة لنا.

وقد تم تصنيف موارد ابن عذاري عن الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف على الشكل الآتي:

أولاً: الكتب الأندلسية، وهي على أربعة أنواع:

أ ـ الكتب التاريخية.

ب ـكتب التراجم.

ج ـ كتب المسالك والجغرافية.

د ـ الكتب الأدبية.

ثانياً: الكتب التاريخية المغربية

---

(4) المصدر نفسه: 3/ 276.

(5) المصدر نفسه: 2/ 50.

(6) المصدر نفسه: 2/ 5.

ثالثاً: الكتب التاريخية المشرقية.

رابعاً: الكتب الأجنبية، أو كتب العجم، كما يسميها ابن عذاري.

أما الروايات الشفوية، فلا يعتمدها ابن عذاري إلا نادراً، فقد أشار مرة واحدة إلى رواية لأحد المعاصرين له: وهو صالح بن أبي صالح، بشأن نسب طارق بن زياد[7]. وقد سبقت الإشارة إلى ترجمة هذا الرجل، ودوره في روايات ابن عذاري عن فتوح عقبة بن نافع في المغرب الأقصى. ويمكن اعتبار هذه الرواية ضمن سياق رواياته تلك عن شمال إفريقيا لتخصصها بسلسلة النسب البربري لطارق بن زياد.

(7) المصدر نفسه: 2/ 5.

أولاً: الكتب الأندلسية

(أ) الكتب التاريخية

1 ـ كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/ 852م):

ينسب ابن عذاري نصاً واحداً إلى عبد الملك بن حبيب، وهو يتعلق بفتح مدينة قرقوشة Carcassonne صلحاً في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[1] ولا يمكن العثور على هذا النص في كتاب ابن حبيب المتوفر بين أيدينا، ومن الجائز أن ابن عذاري كان ينقل من نسخة أخرى موسعة. ومما يؤيد هذا الاستنتاج إشارة الدكتور محمود علي مكي، الذي قام بدراسة وافية عن الكتاب، ونشر الجزء المتعلق منه بالأندلس، حيث يذكر أن النسخة المتوفرة منه ما هي إلا مختصر صغير لكتاب ابن حبيب الحقيقي، وأن الذي قام بوضع هذه النسخة، إنما هم بعض تلامذة ابن حبيب[2].

---

(1) المصدر نفسه: 2/ 13.

(2) M.A Makki, Egipto y los origenes de la historiografia arabe-espanola revista del instituto de estudios islamicos V, Madrid 1957, pp. 197 - 200. وانظر: النص الخامس بالأندلس، والمنشور في العدد نفسه باللغة العربية بعنوان: «استفتاح الأندلس» تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد 5، مدريد، 1957، ص221 ـ 243.

ومن الجدير بالذكر أن ابن عذاري يورد نصوصاً كثيرة عن أخبار موسى ابن نصير وفتوحه، وما أفاء الله عليه من الغنائم في الأندلس، بعضها منسوب إلى الليث بن سعد، وبعضها إلى غيره من المحدِّثين والرواة، مثل يوسف ابن هشام، وأبو شبة الصدفي، وعبد الحميد بن جعفر[3]. ومعظم هذه الروايات مذكورة في كتاب عبد الملك بن حبيب[4]، وهي في مجموعها تشكل جزءاً من الروايات التي راجت في أعقاب فتح الأندلس عن بعض التابعين الذين ساهموا في حملة موسى بن نصير، ثم عادوا إلى شمال إفريقيا، وحدَّثوا بما شاهدوه من أحداث الفتح. ومن المرجح أن عبد الملك ابن حبيب أخذ هذه الروايات عن شيوخه المصريين في أثناء إقامته بمصر[5]، فضمَّنها كتابه في (التاريخ)، ونقلها عنه ابن عذاري، ولكننا نجد الكثير من هذه الروايات أيضاً في كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة[6]. فهل اطّلع عليها ابن عذاري في هذا الكتاب وأخذها عنه؟ أغلب الظن أنه اعتمد في رواياته هذه على ابن حبيب، حيث أشار إليه، كما أسلفنا، وكذلك على كتاب «الإمامة والسياسة»، لا سيما وأنه سبق له الأخذ منه في روايته عن بعض فتوح موسى بن نصير في المغرب[7].

---

(3) البيان المغرب: 2/ 17 ـ 23.

(4) استفتاح الأندلس، ص226، 228، 232، 235.

(5) انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، القسم الأول، ص270.

(6) انظر: الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع: 2/ 63 ـ 64، 82، ـ 83.

(7) البيان المغرب: 1/ 41. ومن الجدير بالذكر، أن القسم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نصير من كتاب الإمامة والسياسة، مأخوذ على الأغلب من كتاب معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، الذي ألفه في تاريخ الأندلس، كما يشير إلى ذلك الحميدي في ترجمة موسى بن نصير، انظر: جذوة المقتبس، القاهرة، 1966. ص338، وقارن أيضاً: Makki, op, cit pp. 221 f.

2 ـ كتاب أخبار ملوك الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت344هـ/ 955م):

كان والد هذا المؤرخ محمد بن موسى الرازي تاجراً متجولاً من المشرق، أهل الري، في إيران الحالية[8]، وإلى هذه المدينة تعود نسبته «الرازي». وقد ولد أحمد في مدينة البيرة Elvira، وتربى بها، فهو أندلسي الولادة والنشأة والثقافة. وكان منذ صغره يطلب العلم ويميل إلى الأدب. ثم غلب عليه حب البحث عن الأخبار التاريخية والتنقيب عنها[9]، حتى إنه لقِّب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، والمجلدات الكثيرة التي دوَّنها في تاريخ الأندلس[10]. ومن هذه المؤلفات، كتاب في «أخبار ملوك الأندلس»، وآخر في (صفة قرطبة)، كما أنه كتب أيضاً موسوعة ضخمة عن أنساب العرب في الأندلس بعنوان: (الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس)، الذي يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة. وللرازي أيضاً كتاب يتعلق (بمسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة)[11]. كما

---

(8) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956، 2/ 670، الحميدي، ص104، ياقوت معجم الأدباء، ط. دار المستشهد، بيروت، بدون تاريخ: 4/ 235 ـ 236، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968: 3/ 111.

(9) ابن حيان، المقتبس (برواية عيسى بن أحمد الرازي)، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت 1973، ص269.

(10) الحميدي، ص104، ابن الفرضي: 1/ 42، نفح الطيب (برواية ابن حيان) 3/ 111، وانظر أيضاً Pons Boigues Los historiadores y geografos arabigo espanoles. Amesterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898, p.62.

(11) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1981: 2/ 172، 183 ـ 184، وانظر أيضاً: الحميدي 104، الضبي، بغية الملتمس، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1885، ص140، ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963: 1/ 245، 2/ 366، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، 1955، ص197، وانظر أيضاً: Pons Boigues, op. Cit, pp. 62 - 68.

أنه ألف كتاباً آخر عن مشاهير الموالي في الأندلس، وهو المعروف بكتاب (أعيان الموالي)[12]. ولكن مما يؤسف له أن هذه الكتب وغيرها من مؤلفات الرازي، وبقية المؤلفين الأندلسيين قد ضاعت نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث، ولما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربي الإسلامي عنها، مما أدى إلى الإتلاف المتعمد لكثير من المخطوطات العربية، كما حدث في غرناطة على سبيل المثال، حينما أحرقت الآلاف من الكتب في ساحات المدينة العامة سنة 905هـ/ 1499م[13].

ولن نفصِّل في إنتاج المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي، ودوره في كتابة تاريخ الأندلس، ودراسة أسلوبه وطريقته في التدوين، فقد خص هذا الموضوع ببحث مستقل نشر قبل عدة سنوات[14]، ولكن الذي يفيدنا هنا، هو أن معظم كتب الرازي المذكورة أعلاه، لا سيما كتابه عن (أخبار ملوك الأندلس)، كانت المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤرخين والجغرافيين المتأخرين، الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس، ومنهم بطبيعة الحال، ابن عذاري. وعلى الرغم من أنه لم يذكر الرازي في قائمة مصادره التي أشار إليها في مقدمته في الجزء الأول من (البيان المغرب)، لكنه اعتمد رواياته كثيراً، وأشار إلى اسمه صراحة في كثير من الأحيان. وفي مناسبات أخرى، نقل العديد من رواياته بصورة غير مباشرة عن طريق أخذها من كتاب (المقتبس) لابن حيان. وفي هذه الحالة، لم يحفل ابن عذاري كثيراً بالإشارة إلى اسم الرازي، أو حتى إلى ابن حيان. ولكن بمقارنة النصوص مع الأجزاء المطبوعة من كتاب (المقتبس)، يتبين للباحث

---

(12) ابن الأبار، التكملة: 401.

(13) Pascual Gayangos the history of the Muhammedan Dynasties, in spain, New York, 1964. reprint of london edition 1840 - 43, Vol. i. pp. VIII-IX.

(14) انظر: عبد الواحد ذنون طه، نشأة التدوين التاريخي في الأندلس ـ دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد بن موسى الرازي، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية مجلد7، العدد1، عمان، 1980، ص73 ـ 93، (وقد نشر ضمن هذا الكتاب).

حقيقة اعتماد ابن عذاري الكبير على روايات الرازي. وسوف تتم الإشارة لاحقاً إلى هذه النصوص في أثناء الكلام عن كتاب (المقتبس)، باعتباره أحد موارد ابن عذاري.

إن الفترة الزمنية التي تعود إليها النصوص التي أشار ابن عذاري إلى اعتماده فيها على الرازي، تبدأ من أحداث الفتح، وتستمر خلال عصر الولاة، ثم عصر الإمارة الأموية وتنتهي في عصر الناصر لدين الله (حكم من 300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م). وهذه الفترة الزمنية تقابل في الواقع معظم المساحة الزمنية التي يغطيها كتاب (أخبار ملوك الأندلس). وقد سبقت الإشارة إلى أن النص العربي لهذا الكتاب فقد مع غيره من كتب الرازي، ولكن هناك ترجمة إسبانية لبعض أجزائه، اعتمدت بالأصل على ترجمات لاتينية وبرتغالية، أخذت عن النص العربي المفقود[15]. ويتبين من هذه الأجزاء الباقية، أن الكتاب كان يتألف من ثلاثة أقسام، الأول جغرافي، وهو صفة الأندلس، والثاني تاريخي، يتناول الأحداث في إسبانيا منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لذريق Roderic آخر ملوك القوط، ومعركته الأخيرة مع القائد طارق بن زياد. وقد ترجم المستشرق الإسباني سافيدرا S. Eduardo Saavedra هذا القسم من اللاتينية إلى الإسبانية، ونشره عام 1892م ملحقاً لدراسته عن فتح المسلمين للأندلس[16] أما القسم الثالث، فهو تاريخي أيضاً، ويكمل القسم الثاني، حيث يتناول تاريخ الأندلس من الفتح إلى زمن الرازي، والكتاب أشبه أن يكون ترجمة لمختصر كتاب الرازي. وقد نشر المستشرق جانيجوس Pascual Gayangos قسماً منه بالإسبانية سنة

(15) للاطلاع على تفاصيل هذه الترجمات، ومحتويات الأجزاء الباقية، راجع بحثنا السابق عن نشأة التدوين التاريخي في الأندلس، مجلة دراسات، ص87 ـ 90. (ص105 ـ 107 من هذا الكتاب).

(16) Saavedra, Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892, Apendice Fragmentos ineditos de la Cronica LLamada a del Moro Rasis. pp. 145 - 154.

1852م تحت عنوان Cronica Moro Rasis[17]. وسوف تتم الإشارة إلى بعض نصوص ابن عذاري المنقولة عن الرازي، والتي تشابه المادة المتوفرة في هذه الأجزاء المترجمة إلى الإسبانية.

يذكر ابن عذاري اسم الرازي لأول مرة في معرض حديثه عن أول من دخل الأندلس من المسلمين، فيشير إلى روايته التي تنص على أن طارقاً كان أول من دخلها عام 92هـ/ 711م دخول المستفتح لها، ثم دخلها موسى سنة 93هـ/ 712م متمماً للفتح[18] ثم ينقل عن الرازي بعد ذلك ما جرى بين لذريق، آخر ملوك القوط، وطارق بن زياد، فيذكر رواية مهمة عن موقف لذريق قبل التقائه بطارق، حيث أرسل قوات عديدة لإيقاف المسلمين كانت إحداها بقيادة ابن أخ له يدعى بنج، وقد هزمت هذه القوات، وقتل بنج، فاستولى الفاتحون على خيولهم[19]. وهذه الرواية موجودة أيضاً في نص الرازي الذي نشره سافيدرا، حيث يرد اسم بنج هناك على أنه Don Sancho أو Bancho[20] هذا يؤيد اطّلاع ابن عذاري على كتاب الرازي.

ونلاحظ أن الرازي يعتمد مصادر مشرقية في رواياته عن فتح الأندلس، لا سيما فتوحات موسى بن نصير، حيث نجد ابن عذاري ينقل عنه نصوصاً عديدة مأخوذة عن محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/ 823م)، الذي يأخذها بدوره عن بعض التابعين الذين صحبوا موسى بن نصير في حملته على الأندلس، مثل علي بن رباح اللخمي[21]، وغيره ممن عاصروا أحداث الفتح، أو التقوا بمن شاهدها وحدثهم عنها، مثل عبد الحميد بن جعفر، الذي حدّث الواقدي عن أبيه، فقال: «سمعت رجلاً من أهل الأندلس

---

(17) Gayangos, Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominada del Moro Rasis Memorias de la Real Academia de la Historia, VIII. Madrid, 1952.

(18) البيان المغرب: 2/ 4.

(19) المصدر نفسه: 2/ 8.

(20) Saavedra, op. cit Apendice pp. 149 - 150.

(21) البيان المغرب: 2/ 13، وانظر: نفح الطيب: 1/ 8، 278.

يحدث سعيد بن المسيب يذكر له قصتهم. فقال: لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام، حتى «أوطئوهم غلبة»[22]. والرواية هنا عن معركة كورة شذونة حيث تكمل ما سبق أن ابتدأ به الواقدي من سرد لأخبار هذه المعركة وأهوالها. وينقل الرازي عن الواقدي رواية أخرى مهمة جداً تبين العلاقة بين طارق بن زياد ويليان أو جوليان Julian، الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية[23]، تلك العلاقة التي توثقت بين الرجلين، وساعدت على تعاونهما لفتح الأندلس بعد أخذ موافقة موسى بن نصير[24].

وتشابه رواية الرازي الرواية التي ينقلها ابن عذاري، عن كيفية خروج طارق بن زياد من طليطلة لملاقاة موسى بن نصير بالقرب من طلبيرة Talavira[25]، روايته الموجودة في ترجمتها الإسبانية، في النص الذي نشره جاينجوس[26]، وهذا يقدم دليلاً آخر على اطلاع ابن عذاري على كتاب (أخبار ملوك الأندلس)، وكذلك يشير إلى هذا الكتاب في مناسبة أخرى عن معاملة موسى بن نصير لطارق بن زياد وخروجهما من الأندلس، فيقول: «واتصل بهذا في كتاب الرازي أن الوليد بعث إلى موسى رسولاً، فأخذ بعنان دابته، وأخرجه من الأندلس، ومعه طارق ومغيث»[27]. ثم يستمر في الأخذ عن الرازي لرواية الأحداث التي وقعت في الأندلس بعد رجوع موسى ابن نصير، وتولي عبد العزيز بن موسى، فيدوِّن نصاً بالغ الأهمية عن عهد

(22) البيان المغرب: 2/ 7 ـ 8.

(23) لمزيد من المعلومات عن شخصية يوليان، ودوره في أحداث الأندلس، انظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص52 فما بعدها، عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982، ص142. والمصادر الواردة في هامش (171) ص154 ـ 160، فما بعدها.

(24) البيان المغرب: 2/ 6.

(25) المصدر نفسه: 2/ 16.

(26) Gaynangos Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominada del moro rasis op. cit. p. 74.

(27) البيان المغرب: 2/ 16.

عبد العزيز، يذكر فيه أنه كان من خيرة الولاة، وأنه افتتح مدائن كثيرة في الأندلس، لكنه قتل لوثوب الجند عليه. ومن الجدير بالذكر أن رواية الرازي هذه تقدم دليلاً مباشراً على تورط الخليفة سليمان بن عبد الملك في عملية اغتيال عبد العزيز بن موسى، حيث تشير صراحة إلى أنه هو الذي بعث إلى الجند يأمرهم بقتله عند سخطه على أبيه. ويختتم الرازي روايته هذه بالقول: «فكانوا يعدُّون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاته التي لم تزل تنقم عليه. . . .»[28].

ويعتمد الرازي في ذكر إحدى رواياته على شخص يدعى الفقيه محمد ابن عيسى. فقد أشار ابن عذاري إلى هذه الرواية التي توضح ما فعله المسلمون الفاتحون بكنيسة قرطبة الرئيسة حيث تأثروا بما تم في المشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بالنسبة إلى مشاطرتهم لكنائس بلاد الشام، مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً، «فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى التي كانت بداخلها. وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم، وهدمت عليهم سائر الكنائس»[29]. وهذا النص، بطبيعة الحال، على درجة كبيرة من الأهمية لإشارته إلى هذا الإجراء الإداري الذي اتخذه المسلمون في الأندلس في فترة مبكرة من وجودهم هناك. أما بالنسبة للفقيه محمد بن عيسى فأغلب الظن أن الرازي لم يلتق به، بل روى عنه بطريق شخص آخر لم يذكره ابن عذاري. ومن المرجح أن هذا الفقيه هو محمد بن عيسى بن عبد الواحد ابن نجيح المعافري، الذي كان يغلب عليه الحديث ورواية الآثار عن محمد بن وضاح وغيره، وتوفي في عام 221 أو 222هـ/ 836 أو 837م[30]. ومما يؤيد هذا الرأي أن ابن عذاري ينقل رواية أخرى عن ابن عيسى، الذي يذكر أن تمام

---

(28) المصدر نفسه: 2/ 24 ـ 25، وقارن: Gayangos, op. cit, p83.

(29) البيان المغرب: 2/ 229.

(30) ابن الفرضي: 2/ 5، الضبي، ص98 ـ 99.

ابن علقمة الثقفي حدثه بأمور جرت في أثناء محاولات عبد الرحمن بن معاوية «الداخل» الاتصال بمؤيديه في الأندلس، والتهيؤ لانتزاع إمارة البلاد من الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري[31]. وتمام بن علقمة هذا من الرجال الذين عاونوا عبد الرحمن بن معاوية في استلام السلطة، وهو الذي ترأس الوفد الذي ذهب إلى شمال إفريقيا لاستقدامه إلى الأندلس. وبعد تأسيس الإمارة الأموية أصبح لتمام شأن كبير في الدولة، وقد توفي سنة 196هـ/ 811م[32]. ولهذا فإن إمكانية الالتقاء به والرواية عنه من قبل محمد ابن عيسى بن نجيح المعافري محتملة جداً لتعاصر الرجلين.

وعلى الرغم من أن ابن عذاري لا يشير إلى اسم الرازي في أثناء ذكره لرواية ابن عيسى الأخيرة، لكنه يسند إليه صراحة روايات أخرى عن الأحداث التي جرت في عهد عبد الرحمن الداخل، لا سيما حوداث سنة 136هـ/ 753م، وابتداء عبد الرحمن بمداخلة مواليه من الأمويين بالأندلس، ووصف رحلته وكيفية دخوله[33]، وأحداث سنة 137هـ/ 754م، ثم دخول عبد الرحمن إلى البلاد، والمفاوضات مع يوسف الفهري[34]. يضاف إلى ذلك روايات أخرى متفرقة عن عهده، ومواقفه إزاء مناوئيه[35]، والإشارة إلى جوانب من نفسيته وشعره[36]. ويبدو أن تمام بن علقمة كان المصدر الرئيس لهذه الأخبار، أو على الأقل أنه كان أحد الرواة ـ شهود العيان ـ الذين

---

(31) البيان المغرب: 2/ 46.

(32) انظر: المصدر نفسه: 2/ 73، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشره وترجمه إلى الإسبانية: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926، ص24، مجهول المؤلف أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867، ص74، مجهول المؤلف. فتح الأندلس، نشر: خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889، ص51، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1965 ـ 1966: 5/ 494، الحلة السيراء: 1/ 143 نفح الطيب: 3/ 31.

(33) البيان المغرب: 2/ 40، وقارن: .Gayangos, op. cit. pp. 92 - 93

(34) المصدر نفسه: 2/ 41، 42 ـ 45.

(35) المصدر نفسه: 2/ 57.

(36) المصدر نفسه: 2/ 60.

حدثوا عنها، فسمع منه الفقيه محمد بن عيسى الذي حدَّث بدوره من اعتمد عليه الرازي في ذكر رواياته عن هذا العصر، والتي وصلتنا في كتاب (البيان المغرب). وربما كان مصدر الرازي في روايته عن عصر الأمير هشام ابن عبد الرحمن (172 ـ 180هـ/ 788 ـ 796م) هو نفس المورد الذي تمَّت الإشارة إليه أعلاه، لأن تمام بن علقمة شهد أيضاً عصر هشام، ولكن لا تتوفر لدينا إشارة صريحة إلى رواية تمام أو محمد بن عيسى، بل كل ما يذكره ابن عذاري، هو رواية الرازي عن أحداث داخلية، وحملات عسكرية على المناطق الشمالية والغربية من شبه الجزيرة الأيبيرية تمت في عهد هشام[37].

ومن الملاحظ أن ابن عذاري لا يشير كثيراً إلى الرازي في رواياته عن عصر الإمارة بشكل عام، فلدينا إشارات محدودة فقط عما تبقى من هذا العصر تركز معظمها في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م)، لا سيما أحداث السنوات 257هـ/ 861 و267هـ/ 880م و269هـ/ 882م[38]، ثم أحداث سنة 273هـ/ 886م، حيث تمت الإشارة إلى إحدى الغزوات التي وقعت في عهد الأمير المنذر بن محمد (273 ـ 275هـ/ 886 ـ 888م)[39]. وهذه الروايات تتحدث عن غزوات إلى الشمال، أو غزوات تأديبية داخلية، باستثناء الرواية التي تخص عام 267هـ/ 880م[40]، حين يشير الرازي إلى حدوث صواعق وزلازل مروعة عمت الأندلس، لا سيما مدينة قرطبة، حيث توفي فيها اثنان نتيجة أصابتهما بحروق. وهذه الرواية، بطبيعة الحال، تبين اهتمام الرازي بالتسجيل الشامل لأحداث العصر الذي يكتب عنه، وعدم الاكتفاء بسرد الأحداث الحربية والسياسية.

---

(37) المصدر نفسه: 2/ 63، 64.
(38) المصدر نفسه: 2/ 97، 104 ـ 105، 106.
(39) المصدر نفسه: 2/ 115.
(40) المصدر نفسه: 2/ 104 ـ 105.

إن هذه الروايات المحدودة عن عصر الإمارة، على أهميتها، لا يمكن أن تقنع الباحث، بأنها الوحيدة التي اعتمد فيها ابن عذاري على الرازي. ومن المؤكد أن صاحب (كتاب البيان المغرب) قد أخذ عنه روايات أخرى، لكنه لم يذكر اسمه سهواً أو تعمداً. وهناك دليل عن هذا، ففي روايته عن أحداث عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن، يشير ابن عذاري إلى أخبار بقي ابن مخلد (ت276هـ/ 889م)، وعلاقته مع فقهاء قرطبة، في رواية طويلة لا ينسبها إلى أحد[41]. ولكن بمقارنة هذه الرواية مع نص (المقتبس) لابن حيان[42]، يتبين أنها لأحمد بن محمد الرازي، الأمر الذي يؤيد أخذ ابن عذاري لروايات من كتاب الرازي دون الإشارة إليه أحياناً. وتؤيد هذه الرواية اهتمامات الرازي الاجتماعية، وتفهمه لطبيعة العلاقات بين طبقات المجتمع المختلفة، لا سيما الفقهاء والمتعلمين منهم، ومحاور الصراع بين هذه الفئات.

ويشير ابن عذاري إلى الرازي في إحدى رواياته عن عصر الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، وذلك في أحداث سنة 301هـ/ 913م، لتوضيح محاولة الناصر كيفية استعادة السيطرة على مدينة إشبيلية بعد موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج المنتزي عليها بعد والده[43]. وهذا النص من أفضل النماذج عن الأحداث التي عاصرها الرازي بنفسه. ولكن ابن عذاري يتوقف عن الأخذ مباشرة عن الرازي في هذه الفترة، ويعتمد على ابن حيان في كثير من الروايات التي تعود بالأصل إلى الرازي، ففي حوادث سنة 300هـ/ 912م على سبيل المثال، اختار ابن عذاري

(41) المصدر نفسه: 2/ 109 ـ 110، عن بقي بن مخلد انظر: ابن الفرضي، 1/ 91، 93، الحميدي، ص177 ـ 179، ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص248 ـ 249، وهامش (411)، ص566.

(42) المصدر نفسه، ص248 ـ 249.

(43) البيان المغرب: 2/ 129 فما بعدها.

رواية الرازي عن فتح الناصر لدين الله لمدينة استجه Ecija، وذكرها دون الإشارة إلى الرازي[44]، وهذه الرواية تعود للأخير في (مقتبس) ابن حيان[45]. ويكرر ابن عذاري هذا الأمر عدة مرات في أحداث سنوات أخرى لاحقة. ففي سنة 304هـ/ 916م يختصر عدة غزوات إلى الشمال، وإلى كورة تدمير، ومدينة نبلة Niebla، بينما وردت أحداث هذه الغزوات مفصلة عند ابن حيان[46]. وكذلك الأمر بالنسبة لسنة 305هـ/ 917م حيث يشير إلى إحدى الصوائف المتوجهة إلى قشتالة Castille دون ذكر المصدر[47]، بينما الرواية بالأصل تعود للرازي، كما أوردها ابن حيان في (مقتبسه)[48].

3 ـ كتاب تاريخ إفريقية والأندلس لعريب بن سعد القرطبي (ت370هـ/ 980م):

لقد سبقت الإشارة إلى عريب بن سعد في للبحث عن موارد ابن عذاري عن شمال إفريقيا، وتبين أن لهذا المؤرخ كتاب خاص بالمغرب والأندلس، إضافة إلى الجزء المعروف المتعلق بتاريخ المشرق الذي ذيَّل فيه على تاريخ الطبري. ومن المرجح أن هذين الجزئين ما هما إلا كتاب واحد يتضمن رواية عريب بن سعد عن تاريخ الأندلس والخلفاء العباسيين والمغرب منذ سنة 290 ـ 320هـ/ 902 ـ 932م. وقد فقد الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس واحتفظ لنا ابن عذاري، وابن حيان، وغيرهما من المؤرخين بقطع لا بأس بها من هذا التاريخ. ولكن يبدو من أحد النصوص التي ينقلها ابن عذاري عن عريب، أن رواية الأخير عن الأندلس لا تبتدئ

---

(44) المصدر نفسه: 2/ 160.

(45) الجزء الخامس، نشر: شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979، ص54 ـ 55.

(46) انظر: البيان المغرب: 2/ 169، وقارن: المقتبس: 5/ 127 ـ 128.

(47) البيان المغرب: 2/ 170.

(48) الجزء الخامس، ص135.

بسنة 290هـ/ 902م، بل بفتح الأندلس، حيث إن النص المنقول يشير إلى علاقة يليان أو جوليان «صاحب الجزيرة الخضراء» بكل من موسى بن نصير وطارق بن زياد عام 91هـ/ 711م، وكيف أن يليان اتصل بموسى عن طريق طارق، أو مباشرة بالإبحار إليه، لتحريضه على فتح الأندلس. وعلى الرغم من مخالفة هذا النص بقية روايات الفتح في جعله الجزيرة الخضراء Algeciras مقراً ليليان، بدلاً من سبته Ceuta، فهو مهم جداً في توضيح دور يليان في الفتح، ومراسلاته مع موسى بن نصير، والأحداث اللاحقة التي أدت إلى إرسال سرية طريف بن مالك المعافري إلى جزيرة طريف Tarifa لتمهيد الطريق لافتتاح الأندلس[49].

ومن ناحية أخرى إن هذا النص يؤكد وجود كتاب لعريب بن سعد يبحث في تاريخ الأندلس منذ الفتح وحتى سنة 329هـ/ 932م. وربما كان هذا الكتاب هو «تاريخه الذي اختصره من تاريخ أبي جعفر الطبري بعد أن أضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس»[50]. وهذا الكتاب بلا شك، كان يمثل أحد المصادر الرئيسة للتاريخ الأندلسي، بسبب تمكن واقتدار مؤلفه، الذي كان من العلماء الموسوعيين الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. يضاف إلى ذلك أنه كان مقرباً من بلاط عبد الرحمن الناصر، وتولى الكتابة لدى الحكم المستنصر[51]، مما هيأ له الاطّلاع على كثير من الكتب والوثائق الخاصة في مكتبة الحكم، لا سيما ما يتعلق بتاريخ الأندلس.

ومما يؤسف له ان ابن عذاري لا يستمر في الأخذ عن عريب بالنسبة

(49) البيان المغرب: 2/ 4 ـ 5.

(50) انظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965، ص142.

(51) ابن سعيد، تذييل على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب: 3/ 173: تاريخ الفكر الأندلسي، ص206 ـ 207.

للأحداث التي تلت فتح الأندلس، ولكنه يعود إليه في تسجيل أحداث السنوات الأولى من حكم الناصر لدين الله، حيث يعتمد عليه في ذكر بعض حوادث سنتي 306هـ/ 918م و307هـ/ 919م. ففي السنة الأولى يشير إلى غزوة مطونية، التي كانت بقيادة الحاجب بدر بن أحمد. حاجب الخليفة الناصر لدين الله[52]. ولكن ابن عذاري لا يذكر اسم عريب في هذه الرواية. ومن مقارنتها مع ما جاء في (المقتبس)، الذي أوردها مع تغيير بسيط في الألفاظ، يتبيّن أنها لعريب بن سعد، الذي أشار إليه ابن حيان صراحة[53]. ثم يستمر ابن عذاري في سرد حوادث سنة 307هـ/ 919م، فيشير هذه المرة إلى أخذه عن عريب، حينما يتحدث عن استسلام عبد الرحمن بن عمر بن حفصون للناصر، فيقول: «. . . كان غير داخل في الحرب والفتنة مدخل أبيه، وإنما كان صاحب كتب وكان حسن الخط ضعيف العقل. (قال عريب) وقد صار بعد ذلك ورَّاقا»[54]. وهذه المعلومات الأخيرة لا ترد عند ابن حيان، الذي يعتمد رواية الرازي[55]، مما يشير إلى أن ابن عذاري كان ينقل مباشرة من كتاب عريب. أما في أحداث سنة 308هـ/ 919م، فيعتمد على عريب بن سعد أيضاً، لا سيما غزوة مويش، لكنه لا يذكر اسمه[56]. ومن مقارنة الرواية مع (المقتبس)، يتبين أنها لعريب، وهي مفصلة[57]، علماً أن ابن عذاري لم يذكر رواية الرازي عن هذه الغزوة التي أشار إليها ابن حيان، وهي رواية موجزة، مما يدل على طريقة ابن عذاري في الاطلاع على عدد كبير من المصادر، وأخذ ما يلائمه منها، دون التقيُّد بمورد واحد.

(52) البيان المغرب: 2/ 172 ـ 173.
(53) المقتبس: 5/ 146.
(54) البيان المغرب: 2/ 174 ـ 175.
(55) المقتبس: 5/ 154 ـ 155.
(56) البيان المغرب: 2/ 175 ـ 180.
(57) المقتبس: 5/ 61 ـ 168، واسم الغزوة برواية عريب هنا: مونش.

4 ـ رسالة في أسماء الخلفاء وذكر مددهم ورسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/ 1063م):

لقد سبقت الإشارة في موارد ابن عذاري عن شمال إفريقيا إلى ابن حزم، وإلى اعتماد ابن عذاري لإحدى رسائله الصغيرة المرسومة: (رسالة في أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم)، في تقويم دولة بني أمية ودولة بني العباس. وفي حديثه عن الأندلس، أعاد ابن عذاري هذا التقويم، ونقله مرة ثانية عن ابن حزم. ولكن يلاحظ في هذه المرة، أن النص أكثر تفصيلاً مما جاء في الجزء الأول[58]. وهناك بعض الزيادات المهمة التي فقدت حتى من نص الرسالة المتوفرة لدينا، وقد استفاد منها محقق رسائل ابن حزم، وأضافها إليها اعتماداً على ما ورد في (البيان المغرب)[59].

واعتمد ابن عذاري رسالة أخرى لابن حزم تسمى: (رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء)، وفي ذكر نصين مهمين عن الأحداث التي أعقبت انتهاء الدولة العامرية، وتفشِّي الفوضى في الأندلس، وقيام أكثر من مطالب بالخلافة، فيقول في النص الأول: «قال ابن حزم خليفتان تصالحا وهو أمر لم يسمع بأذل منه ولا أدل على إدبار الأمور يحيى بن علي بن حمود في قرطبة والقاسم بن حمود في أشبيلية»[60].

وفي النص الثاني يشير ابن حزم إلى اجتماع أربعة خلفاء في صقع الأندلس: «كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بالموضع الذي هو فيه وذلك فضيحة لم ير مثلها دلت على الإدبار المؤبد أربعة خلفاء في مسافة ثلاثة أيام

---

(58) البيان المغرب: 2/ 39 ـ 40، وقارن: 1/ 63 ـ 64.

(59) انظر: رسالة في أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، نشرت بتحقيق: إحسان عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، بيروت، 1981: 2/ 145 ـ 147.

(60) البيان المغرب: 3/ 132 ـ 133، وقارن: رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، نشرت بتحقيق: إحسان عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، 2/ 92.

في مثلها كلهم يدعى بأمير المؤمنين. . . . »[61]. ثم يفصّل النص في التعريف بالأول من هؤلاء الأربعة، وهو المدعو «خلف الحصري»، بينما لا يوجد مثل هذا التفصيل في نص ابن حزم المنشور مما يدل على وجود نسخة أخرى موسعة لهذه الرسالة ربما اعتمد عليها ابن عذاري في نقل رواية ابن حزم[62]. بصورة مباشرة، أو عن طريق ابن حيان، كما سنرى فيما بعد.

5 ـ كتاب العبر لأحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض (ت459هـ/ 1066م):

لقت تمت الإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه في أثناء الكلام عن موارد شمال إفريقيا، وذلك لاحتوائه على بعض النصوص التي تخص المغرب ولكن (كتاب العبر) هذا يختص بالدرجة الأولى بتاريخ الأندلس، وإنه يضم مقدمة جغرافية ونبذة عن تاريخ الأندلس القديم والأساطير التي كان يتداولها الناس عن ملوك البلد في العهود السحيقة. ثم يتطرق إلى الفتح، وعصر الولاة، والإمارة، والخلافة، إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وهناك روايات تؤرخ لأحداث جرت في أوائل هذا القرن، عاصرها المؤلف، لذلك فإن كتابه عن هذه الفترة على غاية كبيرة من الأهمية.

إن معلوماتنا عن هذا الكتاب المفقود تأتي عن طريق المؤرخين المتأخرين الذين أشاروا إليه ونقلوا منه بعض النصوص. وكان ابن عذاري، بطبيعة الحال، أحد هؤلاء الذين احتفظوا لنا بنصوص من هذا الكتاب. ولكنه لم يكثر النقل عنه كغيره من المؤرخين[63]، بل اقتصر على أخذ بعض

---

(61) البيان المغرب: 3/ 244.

(62) قارن: رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: إحسان عباس: 2/ 97 ـ 98.

(63) انظر على سبيل المثال ما نقله ابن الشباط في وصف الأندلس من كتاب صلة السمط وسمة (المرط/نص ابن الشباط) تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد 1971، ص128، 132، 133، 144، 166، 168، 169، 170، 172، 173، 174، وانظر أيضاً: عبد الواحد

أخبار بني حجاج في اشبيلية وقرمونة Carmona. ومع هذا فلا يمكن البت في مسألة اعتماد ابن عذاري المباشر على هذا الكتاب، على الأقل بالنسبة لنص واحد من النصين اللذين أشار إلى اعتماده فيهما على ابن أبي الفياض.

ولا يوجد إشكال بالنسبة للنص الخاص بمحمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب قرمونة[64]، فهو منسوب فعلاً إلى ابن أبي الفياض، وليس فيه ما يتعارض مع هذه النسبة. أما روايته عن إبراهيم بن حجاج، فقد وردت بالشكل الآتي: «وذكر ابن أبي الفياض أن محمد بن يحيى القلفاط[65]، الشاعر القرطبي قصد الأمير إبراهيم بن حجاج يمدحه بقصيدة... ثم أخذ في هجاء عشيرته أهل قرطبة، وكبرائها، وعظماء دولتها، فأفحش عليهم. فلما أنشد القصيدة لإبراهيم بن حجاج، زها به، وحرمه وأساء ذكره، فانصرف خائباً... فكان هذا الفعل في حق أهل قرطبة أجل مكرمة، وعد في جملة فضائله. ولأجل هذا ساقه القاضي ابن أبي الفياض رحمه الله»[66]. ولكن هذه الرواية، وردت عند ابن حيان عن القاضي «أبو الوليد ابن الفرضي»[67]. ويحتمل جداً أن ابن عذاري نقلها مباشرة عن (المقتبس)، ووهم في اسم ابن الفرضي فكتب بدله ابن أبي الفياض، لأنه كان ينقل من هذا المصدر، أي (المقتبس)، قبل صفحات، روايات أخرى عن دولة إبراهيم بن حجاج وعلاقته مع حكومة قرطبة، وطرفاً عن خصاله

ذنون طه، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول المجلد الرابع والثلاثون، بغداد، 1983، ص174، 176.

(64) البيان المغرب: 2/ 129.

(65) هو محمد بن يحيى النحوي المعروف بالقلفاط، كان من العلماء الحفاظ والشعراء الفصحاء، وكان هجّاءً للناس كثير البذاء والسفه في شعره، توفي سنة 302هـ/ 904م. انظر ترجمته عند: الحميدي، ص98 (رقم 165)، البيان المغرب: 2/ 167.

(66) المصدر نفسه: 2/ 128.

(67) المقتبس، نشر: الأب ملتشور انطونيا، باريس، 1937، ص12، 131 ـ 132.

وسياسته[68]، ولا يوجد ترجمة لإبراهيم بن حجاج، ولا لمحمد بن يحيى القلفاط في النسخة المتوفرة من (كتاب تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي، لتسهّل على الباحث البت في الأصح من النصين. ومن جهة أخرى، فإن ابن عذاري نفسه يشير إلى ابن أبي الفياض في الرواية بلقب «القاضي»، بينما المعروف لدينا أنه لم يكن قاضياً[69]، مما يجعل من الصعب نسبة الخطأ إلى ابن حيان في قراءة اسم القاضي ابن الفرضي، ويؤيد نسبة الرواية إلى الأخير أما بالنسبة لعدم توفر ترجمة لإبراهيم بن حجاج في كتاب ابن الفرضي المذكور أعلاه فيمكن أن يكون ابن حيان قد نقل من نسخة أخرى مطوّلة لم تصل إلينا، أو أن ابن الفرضي قد ترجم لإبراهيم بن حجاج في كتابه الآخر المفقود «أدباء الملوك من أهل الأندلس» الذي استعمله ابن حيان وأشار إليه[70].

6 ـ مؤلفات حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت469هـ/ 1079م):

يعد ابن حيان من أبرز مؤرخي الأندلس جميعاً، بما قدمه من معلومات بأسلوب نقدي بارع، وبما يتميز به من حسّ تاريخي مرهف. وهو من غير شك أعظم مؤرخ أنجبته العصور الوسطى على الصعيدين الإسلامي والمسيحي. ولا يمكن للباحث أن يضيف شيئاً في تقويم ابن حيان بعد الدراسة الوافية التي كتبها الدكتور محمود علي مكي بين يدي تحقيقه لأحد أجزاء (المقتبس)، فقد تناول فيها بإسهاب حياته وشيوخه وعصره وكتبه[71]. واستناداً إلى هذه الدراسة يمكن تصنيف كتب ابن حيان إلى ما يأتي:

---

(68) انظر: البيان المغرب: 2/ 126 ـ 127، وقارن: المقتبس، نشر: انطونيا، ص11، 12، 13.

(69) انظر: ابن بشكوال، كتاب الصلة، القاهرة، 1966: 1/ 60، ترجمة (126) وبحثنا المشار إليه آنفاً عن ابن أبي الفياض.

(70) انظر: المقتبس، نشر: انطونيا، ص123.

(71) انظر: المقتبس، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، مقدمة المحقق الدكتور محمود علي مكي، ص7 ـ 159.

(أ) المقتبس: ويتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى آخر خلافة الحكم المستنصر (91 ـ 366هـ/ 711 ـ 976م).

(ب) أخبار الدولة العامرية: منذ تولي هشام الثاني بن الحكم إلى مصرع عبد الرحمن شنجول بن المنصور، وهي الحقبة التي تسلط فيها آل بني عامر على أمور الأندلس (366 - 399هـ/ 976 ـ 1008م).

(ج) المتين: منذ الفتنة فسقوط الخلافة في قرطبة حتى قرب وفاة ابن حيان (399 ـ 463هـ/ 1008 ـ 1071م).

(د) البطشة الكبرى: وفيه يتحدث عن استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة سنة (462هـ/ 1070م)[72].

ولم يصل إلينا من هذه الكتب إلا بعض الأجزاء من الكتاب الأول، (المقتبس)، الذي يتألف من عشرة أسفار. فقد نشر الجزء الثالث منه المستشرق الإسباني ميلتشور انطونيا M.M. Antuna (باريس، 1937)، وهو خاص بعصر الأمير عبد الله بن محمد. وحقق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، الجزء السادس المتعلق بعصر الخليفة الحكم المستنصر (بيروت، 1965). وقام الدكتور محمود علي مكي بتحقيق الجزء الخاص بفترة الأمير عبد الرحمن الأوسط، وابنه الأمير محمد (بيروت، 1973). وقد اضطلع مؤخراً المعهد الإسباني ـ العربي للثقافة بالمشاركة مع كلية الآداب بالرباط بتحقيق الجزء الخامس الذي عثر عليه في مكتبة القصر الملكي في الرباط، وهو المخطوط رقم (87) الذي يتحدث عن فترة الثلاثين سنة الأولى من حكم عبد الرحمن الناصر لدين الله. وقد قام بالتحقيق الدكتور بدرو شالميتا P. Chalmeta بمعاونة كل من الدكتور فيدريكو كورنيطي F.Corriente، والدكتور محموذ صبح، ونشر ضمن السلسلة التاريخية للمعهد الإسباني

(72) المصدر نفسه، ص80.

العربي للثقافة (مدريد ـ الرباط، 1979)[73].

لقد أشار ابن عذاري في مقدمة كتابه في الجزء الأول إلى اعتماده على ابن حيان، وحدث ذلك بالقول إنه نقل من «أخبار الدولة العامرية لابن حيان»[74]. ولكن نظرة واحدة إلى اقتباسات ابن عذاري عن ابن حيان، تظهر أنه لم يقتصر على الكتاب المذكور في المقدمة: بل إنه أخذ من معظم مؤلفات ابن حيان، لا سيما (المقتبس)، و(أخبار الدولة العامرية) و(المتين). فهناك نصوص عديدة من عصر الإمارة، والخلافة، ثم الفتنة في قرطبة وسقوط الخلافة، وعصر الطوائف. ويبدو أن ابن عذاري لم يطَّلع على كتاب (البطشة الكبرى)، ولم ينقل عنه أخبار سقوط قرطبة بيد المعتمد بن عباد، حيث اعتمد في هذا الأمر على موارد أخرى، سوف نشير إليها فيما بعد[75].

وبالنسبة لنقولات ابن عذاري من كتاب (المقتبس): فهي تبدأ في فترة متأخرة نسبياً فقد أشار لأول مرة إلى رواية ابن حيان في أحداث سنة 272هـ/ 885م عن نسب عمر بن حفصون كبير الثوار بالأندلس في عصر الأمير محمد ابن عبد الرحمن[76]. وهذا أمر طبيعي جداً، لأن الفترة السابقة قد غطيت من قبل مؤلف أقدم، وأكثر معاصرة للأحداث وهو أحمد بن محمد الرازي، الذي اعتمد عليه ابن عذاري في كتابة العصور الأولى من تاريخ الأندلس. وعلى الرغم من وجود نصوص أخرى تخص عصر الأمير محمد نفسه وبعض الأمراء السابقين له، تتشابه في معناها مع ما جاء في (المقتبس)، وإن اختلفت في بعض الألفاظ والتفاصيل، لكن من المرجح أن هذه النصوص

(73) انظر: «كتاب المقتبس لابن حيان، الجزء الخامس»، مراجعة: عبد الواحد ذنون طه، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد3، السنة الحادية عشرة، 1983، ص187 ـ 189.

(74) البيان المغرب: 1/2 ـ 3.

(75) المصدر نفسه: 3/ 258 ـ 261.

(76) المصدر نفسه: 2/ 106.

منقولة أصلاً عن أحمد الرازي، الذي كان بدوره كان مصدراً لابن حيان. ومن أمثال هذه النصوص، ما ورد في حوادث سنة 238هـ/ 852م عن تمرد مدينة طليطلة في آخر عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم[77] ورواية دخول الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 241هـ/ 855م إلى ألبة والقلاع في قشتالة، وافتتاحه لكثير من حصون العدو[78] وكذلك أحداث سنة 245هـ/ 859م عن عقد الأمير محمد الأمان لأهل طليطلة، وخبر دخول المجوس، أو النورمان إلى الأندلس[79].

ومن مميزات طريقة ابن عذاري في النقل عن (المقتبس)، الإيجاز، وأحياناً الإيجاز الشديد مثل ذلك ما ذكره ابن حيان عن «جيشان العدو خذله الله بأهل الثغر الأوسط ومنازلتهم حصن غرماج من أهم معاقله» في سنة 364هـ/ 974م، حيث فصل في هذا الموضوع بعدة صفحات[80] بينما اكتفى ابن عذاري بالإشارة إليه في سطر واحد فقط، فقال: «وفيها [سنة 369] كان جيشان العدو ـ خذله الله ـ ومنازلته بعض حصون المسلمين»[81]. ولا توجد قاعدة معينة تحكم كيفية أخذه للنصوص، وتصرفه بها، فهو أحياناً يلتزم الألفاظ نفسها، وأحياناً لا يلتزم بها. ويمكن ملاحظة هذا الأمر من مقارنة الروايات التي نقلها عن دولة إبراهيم بن حجاج في أشبيلية، وعلاقته مع حكومة قرطبة، والإشارة إلى خصاله وسياسته[82].

ويمكن أيضاً ملاحظة بعض الأخطاء في النقل، وقد سبقت الإشارة إلى رواية القاضي ابن الفرضي عن قدوم الشاعر محمد بن يحيى القلفاط على

(77) المصدر نفسه: 2/ 94. وقارن: المقتبس، تحقيق: مكي، ص292.

(78) البيان المغرب: 2/ 95، وقارن: المقتبس، تحقيق: مكي، ص204.

(79) البيان المغرب: 2/ 96 ـ 97، وقارن: المقتبس، تحقيق: مكي، ص307 ـ 308.

(80) المصدر نفسه، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965، ص218 ـ 222، 234 ـ 239.

(81) البيان المغرب: 2/ 249.

(82) المصدر نفسه: 2/ 126، 127 وقارن: المقتبس، نشر: انطونيا، ص11، 12، 13.

إبراهيم بن حجاج، التي ذكرها ابن حيان[83] فقد تحول اسم القاضي ابن الفرضي في رواية ابن عذاري إلى القاضي ابن أبي الفياض[84]. ومن مقارنة القائمة التي نقلها ابن عذاري عن (المقتبس)، بالنسبة لعدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة إلى جليقية Galicia في عصر الأمير محمد مع ولده عبد الرحمن، تظهر أيضاً بعض الأخطاء، حيث أسقط ابن عذاري بعض الأعداد أو اختلف مع ابن حيان في إغفال ذكر إحدى المناطق، وندرج فيما يأتي الفقرات التي اختلفت فقط في كلا النصين[85].

نص ابن عذاري

تاكرنا: مائتان وتسعة وتسعون

رية: ألفان وستمائة

مورود: ألف وأربعمائة

تدمير: مائة وستة وخمسون

لم ينقل ابن عذاري هذا السطر

نص ابن حيان

تاكرنا: مائتان وتسعة وستون

رية: الفان وستمائة وسبعة

مورور: ألف وأربعمائة وثلاثة

تدمير: مائتان [وستة وخمسون][86].

---

(83) المصدر نفسه، ص12، 131، 132.

(84) البيان المغرب: 2/ 128.

(85) انظر: المصدر نفسه: 2/ 109، المقتبس، تحقيق: مكي، ص271 ـ 272.

(86) أكمل محقق المقتبس هذا الرقم اعتماداً على ما جاء في البيان المغرب.

حصن شندلة: مائة وثلاثة عشر

ولا يمكن بطبيعة الحال، الجزم في نسبة هذه الأخطاء إلى ابن عذاري، فلربما كان لنساخ (البيان المغرب)، أو (المقتبس) دور في هذه الأخطاء. ونلاحظ في الوقت نفسه أن ابن عذاري قد أغفل ذكر المصدر الذي أخذ عنه ابن حيان هذه القائمة، وهو كتاب معاوية بن هشام الشبانسي في (تاريخ دولة بني مروان)[87]، وهذا كتاب مفقود اعتمده ابن حيان، وغيره من المؤرخين الأندلسيين، أمثال ابن سعد[88]، وابن الخطيب[89] وغيرهما.

وهناك الكثير من الروايات التي يأخذها ابن عذاري عن (المقتبس) دون الإشارة إلى ابن حيان، ولا إلى مصادره. وتنتشر هذه النصوص على مساحات واسعة من كتاب (البيان المغرب)، لا سيما في الفترة الخاصة بعصر الأمير عبد الله، والخليفة الناصر لدين الله، وابنه الحكم المستنصر. حيث يأخذ ابن عذاري روايات متعددة عن ابن حيان، ويختار ما يراه منسجماً مع منهجه في ذكر معلومات شاملة عن العصر، أو السنة الواحدة. ففي حديثه عن ابن حفصون والثوار في بلاد الأندلس في عصر الأمير عبد الله، لا يذكر ابن عذاري مصادره عن الأحداث[90]. ولكن عند مقارنة نصوصه بما هو موجود في (المقتبس) يتبين أن معظم هذه النصوص موجودة في الكتاب الأخير، ولكن باختلاف في الألفاظ وبتفصيل أكبر، بينما نجدها مختصرة في (البيان المغرب). ويحتمل أن يكون ابن عذاري قد لخّص

(87) وهو معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ويعرف بابن الشبانسي أو الشبانسية، وكان أديباً أخبارياً تاريخياً، انظر عنه: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962، ص96، ابن الأبار، التكملة: 2/ 692، ترجمة (1740) pons Boigues Op, cit . 125.

(88) المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964: 1/ 115.

(89) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973: 1/ 101.

(90) البيان المغرب: 2/ 131 ـ 138.

معلوماته عن ابن حيان[91] أو أنه أخذها عن أحمد الرازي الذي ربما كان هو أيضاً أحد مصادر ابن حيان، بدليل ذكره من قبل الأخير، كمورد لرواياته عن الثوار[92].

ويستمر ابن عذاري في ذكر الأخبار حسب السنوات في عصر الأمير عبد الله، ولكنه لا يشير إلى مصادر أخباره، وعند المقارنة مع (المقتبس) نجد أن ابن حيان يأخذ في معظم الأحوال من عيسى بن أحمد الرازي (ت379هـ/ 989م) ورواياته عادة أطول، ومعلوماته أكثر من ابن عذاري، الذي يعطي نبذة قصيرة عن الأحداث في السنوات المتلاحقة، وإن كان في بعض الأحيان يفصل أكثر من (المقتبس) لا سيما في إحداث السنوات 292هـ/ 904م، 293هـ/ 905م و294هـ/ 906م و295هـ/ 907م و299هـ/ 911م[93]. ومن الجائز جداً أن روايات عيسى الرازي، هي بالأصل روايات والده أحمد الرازي ويؤيد هذا ما يذكره ابن حيان عن حياة الأمير عبد الله بصورة عامة، فهو يأخذ عن عيسى بن أحمد الرازي عن أبيه أحمد بن محمد، حيث يشير إلى ذلك بقوله: «ذكر عيسى بن أحمد الرازي عن أبيه أحمد بن محمد قال....»[94]. وقد أشار ابن حيان مرة واحدة إلى أخذه عن عيسى عن طريق أبيه أحمد، لكنه يذكر عيسى الرازي وأخذه منه، قبل هذه الإشارة، وبعدها بشكل كبير جداً.

ويبدو من الصعب البت في مسألة روايات ابن عذاري عن عصر الأمير عبد الله، وهل هي مأخوذة مباشرة من كتاب أحمد الرازي، أم من كتاب ابنه عيسى بن أحمد عن (تاريخ الأندلس)، أو أنه نقلها دون الرجوع إليهما من كتاب (المقتبس) لابن حيان، وذلك لتشابه هذه الأخبار حيث إن مصدرها

---

(91) المقتبس، نشر: انطونيا، ص23 ـ 33.
(92) المصدر نفسه، ص26.
(93) البيان المغرب: 2/ 141 ـ 149.
(94) المقتبس، نشر: انطونيا، ص23.

واحد، وهو أحمد بن محمد الرازي، ولكن من ملاحظة المنسوب لابن حزم، الذي ينقله ابن عذاري بتصرف عن ابن حيان في آخر كلامه عن الأمير عبد الله، يتبين لنا أن ابن عذاري ربما كان ينقل مباشرة عن ابن حيان على الرغم من اطّلاعه على موارد أخرى، مثل تاريخ أحمد الرازي وابنه عيسى أيضاً. ففي هذا النص الطويل نسبياً، والمأخوذ أصلاً من كتاب (نقط العروس)، تقويم عام للأمير عبد الله[95] ولكننا لا نجد هذا النص في كتاب (نقط العروس) المتوفر بين أيدينا، حيث إن الموجود فيه فقط، هو النص الآتي، الذي يشير إلى أن الأمير «عبد الله بن محمد قتل ابنيه محمداً والمطرف»[96]. ولو أن ابن عذاري اطلع على نسخة أخرى لكتاب (نقط العروس)، لكان من المحتمل أن يختلف نصه عن نص ابن حيان، لكن على الأرجح، أخذ ابن عذاري نص ابن حزم من كتاب (المقتبس) مباشرة، مما يؤيد أن اعتماده على الكتاب الأخير كان كبيراً جداً، وأنه كان يكتفي في كثير من الأحيان بالأخذ منه، والإشارة إلى موارده، دون التصريح بذلك.

وبالنسبة إلى عصر الناصر لدين الله: فقد اختار ابن عذاري عن حوادث سنة 300هـ/ 912م رواية أحمد الرازي عن فتح مدينة استجه، دون الإشارة إلى الرازي، أو إلى ابن حيان[97]. وهذه الرواية وردت عند ابن حيان باختلاف بسيط في الألفاظ[98]، بينما لم يتطرق ابن عذاري إلى التفصيلات الأخرى التي أوردها ابن حيان عن الغزوة نفسها، والتي ذكرها نقلاً عن غير الرازي. كذلك أهمل ابن عذاري تفصيلات أخرى عن ركوب الخليفة للصيد لأول مرة،

---

(95) البيان المغرب: 2/ 156، وقارن: المقتبس، نشر: انطونيا، ص41.

(96) انظر: ابن حزم، نقط العروس، تحقيق: شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد 13، الجزء 2، 1951، ص78، وانظر أيضاً: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس: 2/ 88.

(97) البيان المغرب: 2/ 160.

(98) المقتبس، نشر: شالميتا وآخرون: 5/ 54 ـ 55.

ومعلومات أوردها ابن حيان عن أول غزوات الناصر[99]. واكتفى برواية واحدة مختصرة عن هذه الغزوات نقلها ابن حيان عن عريب بن سعد تحت عنوان: «رواية عريب لغزوة جيان»[100] فأخذ ابن عذاري هذه الرواية بنفس الألفاظ تقريباً، مع تغيير طفيف في العبارات، من حيث التقديم والتأخير، دون أن يشير إلى ابن حيان، أو إلى عريب بن سعد[101]. وكذلك يختصر ابن عذاري غزوة الناصر لدين الله في صائفة سنة 301هـ/ 913م إلى ريه Raiyo، والجزيرة الخضراء، وقرمونة[102]، التي يذكرها ابن حيان بتفصيل كبير عن أحمد الرازي[103]. كما يأخذ أيضاً خبراً صغيراً آخر عن محاصرة أحد المتمردين في قرمونة، رواه ابن حيان عن عريب[104]، ولكنه لا يشير إلى ابن حيان أو الرازي أو عريب[105]. وهناك روايات أخرى عن هذا القبيل تخص عصر الناصر، وقد أشرنا إلى بعضها في أثناء الحديث عن أحمد بن محمد الرازي.

وقد اعتمد ابن حيان على مؤلف آخر في ذكر معلومات قيمة عن عصر الناصر لدين الله وهو محمد بن مسعود في كتابه (الأنيق). ويبدو من أخباره، أنه ربما كان يعيش في عصر الناصر أو بعده بقليل، حيث أورد معلومات مفصلة عن قصور الأمراء أبناء الناصر لدين الله، وروايات أخرى تتعلق بأحداث وغزوات مهمّة في هذا العصر[106]. ولكن ابن عذاري لم يشر إلى كل هذه النصوص التي وردت في كتاب (المقتبس)، بل أشار إلى نص واحد فقط عن أحداث سنة 353هـ/ 946م نسبه مباشرة إلى كتاب ابن مسعود دون

---

(99) المصدر نفسه: 5/ 57 ـ 64.

(100) المصدر نفسه: 5/ 65 ـ 68.

(101) البيان المغرب: 2/ 160 ـ 163.

(102) المصدر نفسه: 2/ 164 ـ 165.

(103) المقتبس: 5/ 85 ـ 91.

(104) المصدر نفسه: 5/ 91.

(105) البيان المغرب: 2/ 165.

(106) المقتبس: 5/ 18 ـ 20، 83، 102، 185، 196، 298، 446.

ذكر اسم الكتاب. وهو النص المتعلق ببناء الناصر لدين الله لمدينة سالم Medinacile في الثغر الأوسط الشرقي[107]. فهل كان ابن عذاري ينقل هذه الرواية من كتاب (المقتبس) وأشار فقط إلى اسم راويها دون الإشارة إلى ابن حيان، أم إنه اطلع على كتاب ابن مسعود مباشرة؟ ربما كان من المستطاع الجواب على هذا السؤال لو عثرنا على نص (المقتبس) الضائع، الذي يخص بقية سنوات حكم الناصر لدين الله، لأن القطعة المتوفرة من الجزء الخامس من المقتبس، تنتهي بأحداث سنة 330/ 941م، بينما نص ابن مسعود المنقول عن ابن عذاري، يتحدث عن أخبار سنة 335هـ/ 946م. ولهذا لا يمكن مقارنة هذا النص بنص ابن حيان في الوقت الحاضر.

وبالنسبة إلى عصر الحكم المستنصر، ينقل ابن عذاري نصوصاً كثيرة عن ابن حيان دون الإشارة إليه. ففي سنة 360هـ/ 970م على سبيل المثال، يذكر مختصراً لظهور النورمان في سواحل الأندلس الغربية[108]. بينما النص موجود عند ابن حيان، وهو نص طويل عن هجوم النورمان[109]، ولكن ابن عذاري يأخذ بداية النص فقط مع الاختصار. كذلك يذكر مقتل زيري بن مناد، التي وردت باختلاف بسيط في (المقتبس)، ويترك تفصيلات أخرى تتعلق بسنة 360هـ/ 970م، أوردها ابن حيان[110]. ويشير إلى المؤرخ الأخير إلى أنه نقل أخبار الحكم المستنصر من كتاب عيسى بن أحمد الرازي[111] ولهذا فإن روايات ابن عذاري عن عصر الحكم المنقولة من (المقتبس) تعود بالتأكيد إلى عيسى الرازي[112]. وهذه الروايات، بطبيعة الحال، على درجة

(107) البيان المغرب: 2/ 213 ـ 214.

(108) المصدر نفسه: 2/ 241 ـ 242.

(109) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ص23 ـ 24.

(110) البيان المغرب: 2/ 242، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ص26 ـ 27.

(111) المصدر نفسه، ص95.

(112) انظر على سبيل المثال: البيان المغرب: 2/ 246، 249، وقارن: المقتبس، تحقيق، عبد الرحمن الحجي، ص96، 207.

كبيرة من الأهمية، لأن عيسى الرازي عاصر هذه الفترة، وكتب منها مكملاً كتاب والده أحمد الرازي، ولأن كتاب عيسى في التاريخ أيضاً من الكتب المفقودة، التي لم يصلنا منها إلا نصوص قليلة، احتفظ لنا بها ابن حيان، وابن بسام، وابن عذاري، وغيرهم من المتأخرين.

وتتميز نقولات ابن عذاري من كتاب (أخبار الدولة العامرية) أنها أيضاً تعتمد الرواة الذين أخذ عنهم ابن حيان، لا سيما في عصر عبد الملك المظفر وأخيه عبد الرحمن شنجول. أما بالنسبة لمحمد بن أبي عامر، فهناك بعض النصوص التي يسندها ابن عذاري مباشرة إلى ابن حيان، منها نص عن حجب ابن أبي عامر لهشام الثاني عن الناس، وآخر عن دهاء ابن أبي عامر، والثالث عن نيته للقيام بإحدى الغزوات[113]. ولم ترد هذه النصوص في كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، حتى يمكن مقارنتها وتدقيقها مع ما يقتبسه ابن بسام من كتاب (أخبار الدولة العامرية).

ويعتمد ابن عذاري في روايته عن عصر عبد الملك المظفر وأخيه عبد الرحمن، ونهاية الدولة العامرية، على رواية ابن حيان، ثم على رواية أحد الأشخاص الذين ينقل عنهم ابن حيان، حيث يشير إليه ابن عذاري مباشرة، وهو الفقيه أبي المطرف عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن عون الله بن حدير القرطبي، الذي يذكر ابن حيان أنه أخذ عنه بقوله: «وقد أخبرني الفقيه أبو المطرف بن عون الله. . . .»[114] وقد كان هذا الفقيه من العلماء الأفاضل في الأندلس، رحل إلى المشرق والتقى بعدد من الشيوخ في القيروان، ومصر، ومكة، ثم عاد إلى قرطبة وأصبح أحد العدول، وولي إمامة الصلاة في أحد مساجد قرطبة[115]. ويبدو أن ابن عون الله كان مسجلاً دقيقاً للأخبار، قوي الملاحظة، وإنه كان مطلعاً على أخبار بلاط عبد الملك بن

---

(113) البيان المغرب: 2/280، 290، 300.

(114) المصدر نفسه: 3/32.

(115) ابن بشكوال، الصلة: 2/332، ترجمة (707).

أبي عامر، وأخيه عبد الرحمن، وقد رأى الفتنة وعاصرها، وسلم منها، حيث توفي عام 441هـ/ 1049. وتنحصر رواية ابن عون الله خلال السنوات القليلة التي حفلت بأحداث عظيمة قررت مصير الدولة العامرية، ومن ثم مصير الخلافة الأندلسية، وهي السنوات المنحصرة بين سنتي 394هـ/ 1004م و399هـ/ 1009م التي انتهت بمصرع عبد الرحمن بن المنصور(116) ومن الجدير بالذكر أن ابن الخطيب يعتمد أيضاً على هذا المؤرخ في روايته لهذه الأحداث(117).

وينقل ابن عذاري عن شخص آخر يدعى محمد بن عبد الرحمن، ويبدو أنه أحد المتأخرين الذين نقلوا عن ابن حيان، كما يفهم من النص الآتي لابن عذاري، الذي يتحدث عن إحدى غزوات عبد الملك المظفر: «قال محمد بن عبد الرحمن وأما غزاته المعروفة بغزاة العلة وهي السابعة من مغازيه في صائفة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فقد تقدم ذكرها في صدر أخبار المظفر في باب العلل من كتابه وقال عن ابن حيان (قال): ومن كبار علل عبد الملك...»(118) ويحتمل أن يكون هذا الرجل هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي، الذي أصله من شرق الأندلس، ولكنه رحل إلى المشرق، ثم عاد وسكن في مدينة تلمسان واتخذها موطناً، وحدث بها وألف الكتب الدينية والتاريخية، وقد توفي في هذه المدينة عام 610هـ/ 1213م(119). وربما يكون ابن عذاري قد اطّلع على كتب هذا الرجل التي اعتمد فيها على ابن حيان، فنقل منه النص الخاص بغزوة عبد الملك السابعة سنة 398هـ/ 1007م.

---

(116) انظر: البيان المغرب: 3/ 10، 14، 15، 32، 39، 46، 62، 66، 68، 69، وانظر أيضاً: مقدمة محقق المقتبس، محمود علي مكي، ص93 ـ 94.

(117) انظر: تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، ص93.

(118) البيان المغرب: 3/ 23 ـ 24.

(119) ابن الأبّار، التكملة: 2/ 588 ـ 591 ترجمة (1563).

أما نقولات ابن عذاري من (كتاب المتين)، الذي يتحدث عن الفتنة وعصر الطوائف، فقد اعتمدت، كما يبدو على ما نقله ابن بسام الشنتريني من هذا الكتاب في (الذخيرة). ويعترف ابن عذاري بذلك صراحة في النص الآتي المنقول من كتاب (الذخيرة): «قال (ابن بسام) إلى هنا انتهى ما وجدته في كتاب ابن حيان من أخبار الدولة الجمهورية، (قال المؤلف) وها أنا أذكر من كلام ابن بسام وغيره ما أمكن من بقية أخبارهم إن شاء الله. . .»[120] ولم يقتصر ابن عذاري في الاعتماد على نصوص ابن حيان المنقولة في (الذخيرة)، على أخبار الدولة الجمهورية حسب، بل غطت نقولاته فترات زمنية طويلة، سبقت وأعقبت دولة بني جهور في قرطبة، وشملت العديد من الكيانات السياسية التي ظهرت في فترة الفتنة وعصر الطوائف[121]. وهو في هذه النقولات يتصرف، ويختصر، ويختار ما يلائم روايته، وينسجم مع نهجه في تقديم رواية مطولة فيها بعض العناوين، أو المعلومات المختصرة على الطريقة الحولية بالنسبة للدويلات الصغيرة، والأشخاص الأقل أهمية، الذين لا يسمح نشاطهم بتقديم رواية مفصلة.

وفي محاولة لاستعراض بعض نقولات ابن عذاري عن ابن حيان كما جاءت في (الذخيرة)، ندرج الأمثلة الآتية:

* رواية عن دولة سليمان المستعين بالله سنة 403هـ/ 1012م، وقد مزج ابن عذاري هذه الرواية بنصوص أخرى تعود لمؤرخين آخرين، مثل الرقيق، وابن حمادة[122].

* نص عن بيعة علي بن حمود وسيرته سنة 407هـ/ 1016م، أخذه ابن

---

(120) البيان المغرب: 3/ 256، وقارن النص عن ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1979، ق1، م2، ص608، 609.

(121) قارن: D.M Dunlop Ibn Idhari's Account of the party kings, glasgow Univesity Orienta Sco, Trans, 1957,p. 25.

(122) البيان المغرب: 3/ 113، 114، 118، وانظر: الذخيرة، ق1، م1، ص36 ـ 74.

عذاري بتصرف، ولكنه لا ينسبه لابن حيان، ومن المقارنة مع (الذخيرة)، يتبين أنه من كتاب (المتين)[123].

* نصوص منقولة عن مقتل عبد الرحمن بن محمد المرتضى بالله، ورحيل زاوي بن زيري الصنهاجي عن الأندلس سنة 416هـ/ 1025م[124].

* نص عن ولاية القاسم بن حمود[125].

* نص عن خلافة يحيى بن علي بن حمود[126].

* نصوص عن مقتل عبد الرحمن بن هشام المستظهر بالله، وبعض أخباره[127].

* نص عن محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله، ولكن ابن عذاري لا يشير إلى اسم ابن حيان، بينما النص منسوب للأخير في (الذخيرة)[128].

* نص عن أخبار يحيى بن علي بن حمود المعتلي بالله[129].

* بعض أخبار هشام بن محمد المعتد بالله الأموي[130]. ويختصر ابن عذاري هذه الأحداث، ويبدو أنه ينقل من نسخة مختصرة من الذخيرة، ولعلها الأصل الذي اعتمدت عليه نسخة الخزانة العامة في الرباط المرقمة (1324)، والتي تتميز عن بقية نسخ (الذخيرة) بالاختصار[131].

---

(123) البيان المغرب: 3/ 122 ـ 123، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص97.

(124) البيان المغرب: 3/ 125 ـ 129، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص453 ـ 460.

(125) البيان المغرب: 3/ 130، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص481.

(126) البيان المغرب: 3/ 131 ـ 132، وقارن الذخيرة، ق1، م1، ص482.

(127) البيان المغرب: 3/ 183 ـ 139، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص51، 53.

(128) البيان المغرب: 3/ 141، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص434.

(129) البيان المغرب: 3/ 144، وقارن الذخيرة، ق1، م1، ص484 ـ 485.

(130) البيان المغرب: 2/ 147، وقارن: الذخيرة، ق3، م1، ص515 ـ 529.

(131) انظر: مقدمة محقق الذخيرة، الدكتور إحسان عباس، ق3، م1، ص6 ـ 7.

* أخبار مبارك ومظفر العامريين[132].
* الحرب بين باديس بن حبوس وزهير الفتى العامري[133].
* أخبار محمد بن معن بن صمادح[134].
* نص عن مجاهد العامري[135].
* ولاية عبد العزيز بن أبي عامر على بلنسية[136].
* مقتل يحيى بن علي بن حمود الحسني سنة 426هـ/ 1034[137].
* خبر هشام المؤيد بالله باشبيلية[138]، والنقل حرفي في هذا النص تقريباً.
* نصوص عن المعتضد بالله عباد بن إسماعيل[139].
* نصوص عن بعض حروب المعتضد بن عباد مع المظفر بن الأفطس وغيره[140].
* بعض أخبار البكريين من أمراء غرب الأندلس[141].

7 ـ تاريخ محمد بن عيسى بن مزين

أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين مؤرخ أندلسي ينتمي إلى أسرة بني مزين المعروفة في الأندلس التي سكنت في أكشونبُه Faro Ocsonoba، وحكمت في شلب جنوب البرتغال الحالية، كان حيا سنة 471هـ/ 1078م،

(132) البيان المغرب: 3/ 158 ـ 162، وقارن: الذخيرة، ق3، م1، ص14 ـ 20.
(133) البيان المغرب: 3/ 169 ـ 171، وقارن: الذخيرة، ق1، م2، ص656 ـ 660.
(134) البيان المغرب: 3/ 173 ـ 175: وقارن: الذخيرة، ق1، م2، ص729 ـ 732.
(135) البيان المغرب: 3/ 156، وقارن الذخيرة، ق3، م1، ص23 ـ 24.
(136) البيان المغرب: 3/ 164 ـ 165، وقارن: الذخيرة، ق3، م1، ص249 ـ 250.
(137) البيان المغرب: 3/ 188 ـ 189، وقارن: الذخيرة، ق1، م1، ص 316 ـ 318.
(138) البيان المغرب: 3/ 197 ـ 199: وقارن: الذخيرة، ق2، م1، ص16 ـ 18.
(139) البيان المغرب: 204 ـ 208: وقارن: الذخيرة، ق2، م1، ص24 ـ 29.
(140) البيان المغرب: 3/ 209 ـ 213: وقارن: الذخيرة، ق2، م1، ص33 ـ 38.
(141) البيان المغرب: 3/ 240 ـ 242: وقارن: الذخيرة، ق2، م1، ص233 ـ 235.

وأبوه هو عيسى بن مزين الذي خلعه المعتضد بن عباد من شلب التي ضمها إلى مملكة أشبيلية[142]. ولابن مزين تأليف مختصر في (تاريخ الأندلس)، كما يشير إلى ذلك ابن الأبار[143]، الذي وقف على هذا التأليف وأخذ عنه. وقد نقل ابن عذاري نصاً عن ابن مزين، يتعلق بهزيمة باديس بن حبوس لإسماعيل بن محمد بن عباد في سنة 431هـ/ 1039م. خارج أسوار قرطبة[144]. وهذا يشير إلى طبيعة كتاب ابن مزين، واهتمامه بتدوين أحداث دول الطوائف التي عاصرها. ويؤيد هذا النقولات التي اقتبسها عنه ابن الأبار[145]، فهي جميعاً من النصوص التي تعود إلى عصر الطوائف. ولكن من جهة أخرى، يبدو أن كتاب ابن مزين لا يقتصر على هذه الفترة، بل ربما كان يمتد منذ الفتح إلى عصر الطوائف. فقد احتفظ لنا الكاتب المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني في روايته عن رحلة إلى إسبانيا سنة 1103هـ/ 1691م ببعض الاقتباسات من كتاب ابن مزين. وتشير هذه الاقتباسات إلى اهتمام ابن مزين بموضوع فتح الأندلس، لا سيما حملة موسى بن نصير. وقد أخذ معلوماته عن هذه الحملة من كتاب اسمه (الرايات)، عثر عليه في إحدى مكتبات اشبيلية عام 471هـ/ 1078م. وهذا الكتاب من تأليف محمد بن موسى الرازي، والد المؤرخ المشهور أحمد بن محمد الرازي، وهو يبحث عن موضوع الفتح، ويضم معلومات قيمة عن القبائل العربية التي رافقت موسى بن نصير إلى الأندلس[146]. كما يضم أيضاً معلومات على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة إلى إجراءات موسى بن نصير حول تقسيم أراضي الأندلس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا

---

(142) انظر: الحلة السيراء: 1/ 88، 2/ 116.

(143) الحلة السيراء: 2/ 129.

(144) البيان المغرب: 3/ 202.

(145) انظر: الحلة السيراء: 2/ 18، 116، 129.

(146) انظر: الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد رقم (5304) ص99 ـ 102.

دفع الجزية والبقاء على ديانتهم. ويمكن العثور على مقتطفات من روايات ابن مزين المقتبسة عن (كتاب الرايات) في (كتاب فتح الأندلس)[147]، وفي (الرسالة الشريفية)[148]. ويعتقد أن هذه الرسالة الأخيرة ما هي إلا جزء من كتاب الغساني المشار إليه آنفاً. وقد اعتمد على كتاب ابن مزين مؤرخون آخرون من أمثال ابن الشباط[149]. من هذا يتبين لنا أهمية كتابه في تاريخ الأندلس، وربما لو أمكن العثور عليه، لأفادنا في الاطّلاع على نصوص أكثر من (كتاب الرايات)، أو من كتب أسرة الرازي المفقودة الأخرى.

8 ـ كتاب درر القلائد وغرر الفوائد لأبي عامر السالمي (ت559هـ/ 1163م).

أبو عامر هو محمد بن أحمد بن عامر البلوي، من أهل طرطوشة Tartosa، وسكن في مرسية Murcai، وعرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم وكان من أهل الأدب والعلم والتاريخ، وقد صنف في الحديث والآداب واللغة والتواريخ، وتعبير الرؤيا كتباً عديدة من أهمها كتاب: (درر القلائد وغرر الفوائد) الذي ينقل منه ابن عذاري[150] وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على السفرين الأول والثاني من هذا الكتاب بخط المؤلف، ونقل لنا المقدمة التي دوَّنها السالمي في صدر كتابه عن سبب تأليفه للكتاب، وعن مؤلفاته الأخرى، فقال: «ولم أزل مولعاً بالتأليف راغباً في التصنيف، جعلته هجّيراي، وقطعت به دنياي دون تقرب به لرئيس، ولو سمح فيه بمال نفيس، فمما ألّفته إلى انقراض دولة المرابطين في سنة تسع وثلاثين

---

(147) فتح الأندلس، ص13.

(148) نشرت ملحقاً لكتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية، مدريد، 1926، ص99 ـ 102.

(149) انظر: وصف الأندلس من كتاب صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ص21، 162.

(150) التكملة لكتاب الصلة: 2/ 495 ترجمة رقم (1368)، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1973، السفر السادس ص 7 ـ 8، .Pons Boigues op, cit pp. 226 - 227

وخمسمائة...»[151] ثم يعدد مؤلفاته وهي:

* كتاب سراج الإسلام ومنهاج السلام من مجرد كلام النبي عليه السلام/ وهو سفران.
* كتاب حلية الكاتب وبغية الطالب في الأمثال السائرة والأشعار النادرة.
* كتاب حلية اللسان وبغية الإنسان في الأوصاف والتشبيهات والأشعار السائرات.
* كتاب طبقات الشعراء الأعلام في الجاهلية والإسلام إلى سنة 539/ 1144 مرتباً على حروف الهجاء: وهو أربعة أسفار.
* كتاب بستان الأنفس في نظم أعيان الأندلس إلى سنة 539/ 1144/ وهو ثلاثة أسفار.
* كتاب منهاج الكتاب/وهو خمسة عشر باباً، وقد وقف عليه ابن عبد الملك المراكشي.
* كتاب بهجة وفرجة/على مثال كليلة ودمنة.
* كتاب المنتخب من مؤلفات العرب على حروف الهجاء/ وهو سفران كبيران.
* كتاب الاعتذار في القصص والأخبار على نهاية التقريب والاختصار/ وهو سفران.
* كتاب تذكرة الأزمان وتبصرة الأذهان/وهو سفران.
* كتاب العبارة/وهو خمسون باباً، وقد وقف عليه ابن عبد الملك المراكشي.
* كتاب الأزهار في اختلاف الليل والنهار.
* كتاب الشفاء في طب الأدواء.

(151) الذيل والتكملة: 6/ 8 ـ 9.

ولقد أشار السالمي إلى هذه الكتب جميعاً في صدر كتابه (درر القلائد وغرر الفوائد) وقد ألف أيضاً بعد هذا الكتاب، كتباً أخرى، منها:

«كتابه في (الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليها قبلها وبعدها)، ومختصره في كتاب سماه (عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية)». وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على هذا الكتاب بخط المؤلف سنة 699هـ/ 1299م[152]. ويذكر الضبي[153]، كتاباً آخر للسالمي باسم «كتاب السلك المنظوم والمسك المختوم» ولكنه لا يشير إلى موضوع هذا الكتاب، سوى أن مؤلفه «جمع فيه علوماً وجدد من الدهر آثاراً ورسوماً».

وتدل هذه المجموعة المتنوعة من المؤلفات بطبيعة الحال على سعة أفق السالمي، واستيعابه للعديد من العلوم النقلية والعقلية المعروفة في زمانه، لا سيما اللغة والأدب والحديث والتاريخ والجغرافية والصيدلة، فهو من العلماء الموسوعيين الذين زخر بهم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب. وكتبه هذه تمثّل المستوى العلمي والحضاري الذي وصل إليه العرب في الأندلس في عصر المرابطين. ومما يؤسف له أن هذه الكتب جميعاً فقدت، ولم يبق لدينا سوى نصوص متفرّقة من كتابه الشهير بـ (درر القلائد وغرر الفوائد)، الذي اطلع عليه ابن عذاري واستخدمه ضمن موارده في كتابة تاريخ الأندلس. فما هو نطاق هذا الكتاب؟ وما هي المواضيع التي اختص بها؟ وما هو أسلوبه؟.

إن عنوان الكتاب الطويل، الذي انفرد ابن عبد الملك المراكشي بذكره وهو: «درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها»[154]، يشير إلى أن هذا الكتاب تاريخي بالدرجة الأولى، لكنه مع

(152) المصدر نفسه: 6/ 9.

(153) بغية الملتمس: ص43، وانظر: Pons Boigues op, cit p227.

(154) الذيل والتكملة: 6/ 8.

ذلك يضم تراجم لبعض العلماء والشعراء. ويؤيد هذا إشارة ابن عبد الملك المراكشي إلى ترجمة أحمد بن محمد بن سهل، من شعراء بني هود، التي أخذها عن هذا الكتاب[155].

ومن المرجح أن السالمي قد اتّبع في تأليف كتابه نفس الطريقة التي سار عليها بقية مؤرخي الأندلس، مثل أحمد الرازي، وابن حيان، وابن أبي الفياض، وغيرهم في كتابة مقدمة جغرافية للأندلس قبل البدء بتاريخها. وهناك نص أشار إليه المقري[156]، يؤيد هذا الترجيح، فقد نقل عن السالمي فيما يخص جغرافية الأندلس قوله إنها: «من الإقليم الشامي وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواء وتراباً، وأعذبها ماء، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً، وهو أواسط الأقاليم، وخير الأمور أوسطها». ولهذا، فقد بدأ السالمي كتابه بجغرافية الأندلس ثم تحدث عن الفتح وبقية الأحداث التاريخية التي رافقت الوجود العربي الإسلامي في هذه البلاد إلى أواخر عهد المرابطين في الأندلس، حيث توقفت في سنة 539هـ/ 1144م، كما أشار إلى ذلك المؤلف نفسه، فيما نقله عنه ابن عبد الملك المراكشي[157]. ولكن ما يتوفر لدينا هو عدة نصوص فقط اقتبسها ابن عذاري، وهي تتعلق بالأحداث الآتية:

* علاقة أبي جعفر المنصور العباسي بتمرد العلاء بن مغيث الجذامي في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل، وفشل هذا التمرد وانتصار الأمير عبد الرحمن[158].

* الصراع بين عبد الملك بن قطن، والي الأندلس، وبلج بن بشر القشيري، ومقتل الأخير في الحرب التي دارت بين أبناء عبد الملك

---

(155) المصدر نفسه: السفر الأول، القسم الثاني، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ، ص435.

(156) نفح الطيب: 1/ 126.

(157) الذيل والتكملة: 6/ 8.

(158) البيان المغرب: 2/ 52.

وأنصار بلج[159].

* نص عن عهد ثعلبة بن سلامة العاملي، الذي خلف بلج في ولاية الأندلس، ومعاملته لأهل البلد[160].

* دخول النورمان إلى إشبيلية سنة 230هـ/ 844م، واستمرار غزوهم لهذه المدينة لمدة سبعة أيام[161].

* ذكر إحدى غزوات الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهي المعروفة بوقعة وادي سليط عام 240هـ/ 854م[162].

* نص عن إبراهيم بن حجاج المتسلط على إشبيلية، وشرائه لجارية بغدادية[163].

وهذه النصوص بطبيعة الحال، لا تسمح للباحث بتكوين فكرة سليمة عن المنهج الذي اتبعه السالمي في تأليف كتابه، وهل سار على طريقة الحوليات مثلاً؟ أم استخدم الرواية ولكن يمكن ملاحظة أسلوب المؤلف، واستخدامه للسجع والألفاظ المنمقة، ويظهر هذا بشكل خاص في مقدمة الكتاب التي نقلها ابن عبد الملك المراكشي، وفي النص الذي أشار إليه ابن عذاري بخصوص وقعة وادي سليط في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن. ويثبت ابن عبد الملك المراكشي[164]، الذي اطلع على كتاب (درر القلائد وغرر الفوائد)، بعض الانتقادات، فيشير إلى وجود أغلاط، وأوهام نحوية، وضروب من الخلل في الهجاء ويرى بأن مصدر بعضها هو الغفلة والجري على المألوف من كلام العوام.

---

(159) المصدر نفسه: 2/ 32.
(160) المصدر نفسه: 2/ 33.
(161) المصدر نفسه: 2/ 87.
(162) المصدر نفسه: 2/ 112 ـ 113.
(163) المصدر نفسه: 2/ 128.
(164) الذيل والتكملة: 6/ 9.

9 ـ كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء لابن الصيرفي:

ابن الصيرفي هو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، أحد كتاب الدولة المرابطية، توفي بغرناطة عام 570هـ/ 1174م. وكان من العلماء المهتمين بالحديث والتاريخ واللغة والآداب ومن الكتّاب المجيدين. وقد كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف، وعن الدولة المرابطية كتاباً أسماه (الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية)، ولكن هذا الكتاب، الذي يسمى أيضاً (بتاريخ ابن الصيرفي)، يعتبر الآن في عداد المفقودات[165]. ويشير ابن الزبير[166]، الذي يترجم لهذا المؤرخ، إلى أنه ألف كتاباً في تاريخ الأندلس وأمرائها ضمّنه العجائب، وأجاد فيه كل الإجادة، وقد بلغ فيه إلى سنة 530هـ/ 1135م ثم استمر إلى قرب وفاته. ولكنه لا يشير إلى اسم هذا الكتاب، الذي يحتمل أن يكون الكتاب المذكور آنفاً أي (الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية).

ويبدو أن ابن عذاري يعتمد هذا الكتاب في أثناء حديثه عن تاشفين بن علي سنة 523هـ/ 1128 ـ 1129، كما يشير إلى اسم مؤلفه أبي بكر الأنصاري[167]. أما بالنسبة للعهود التي سبقت فترة المرابطين، فينقل نصين عن كتاب يسميه تارة باسم (كتاب أخبار الرؤساء بالأندلس) حيث يذكر إنه قيّد منه معلومات عن دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار[168]، وتارة أخرى باسم (كتاب الأنباء في سياسة الرؤساء)، حيث يتحدث عن دولة بني جهور في قرطبة[169]. وربما كان هذا الكتاب الذي يشير إليه ابن عذاري، هو نفس

(165) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استمبول، 1941، أعادت طبعه بالأوفسيت، مكتبة المثنى ببغداد: 1/ 289.

(166) أبو جعفر أحمد بن الزبير، صلة الصلة، نشر: ليفي بروفنسال، الجزائر، 1937، أعادت نشره مكتبة خياط، بيروت، بدون تاريخ، ص183، وانظر أيضاً: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، القاهرة، 1965: 2/ 343.

(167) البيان المغرب: 4/ 80.

(168) المصدر نفسه: 3/ 50 ـ 51.

(169) المصدر نفسه: 3/ 259.

(كتاب تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء) الذي ينسبه بونس بويجس[170]، إلى ابن الصيرفي، معتمداً على ميخائيل الغزيري M.Casiri، ورينهارت دوزي R.Dozy، ولكن ابن عذاري لا يسعفنا باسم مؤلف هذا الكتاب لنتمكن من البت بصحة هذا الأمر.

10 ـ كتاب بهجة النفس وروضة الأنس لأبي محمد بن هشام بن عبد الله القرطبي:

لا تتوفر عن مؤلف هذا الكتاب معلومات في كتب التراجم المعروفة لدينا[171]. ولكن ابن عذاري احتفظ لنا ببعض النصوص من كتابه المفقود (بهجة النفس وروضة الأنس). وتغطي هذه النصوص مساحة زمنية واسعة تقريباً، تبدأ منذ الفتح وتنتهي بأحداث سنة 278هـ/ 891م، حيث ينقل ابن عذاري عن (بهجة النفس) معلومات عن إحدى حملات الأمير عبد الله بن محمد بن عمر بن حفصون[172]. ويتضح من هذه النصوص أن الكتاب يضم تاريخاً عاماً للأندلس يبدأ بالفتح، وينتهي على الأقل في أواخر عصر الإمارة، ولكننا لا نستطيع أن نحدد فترة زمنية ثابتة، لجهلنا بالمؤلف وعصره وتاريخ وفاته.

ويشير بونس بويجس[173]، إلى أن كتاب (بهجة النفس) يحتوي على تاريخ الأمويين والعباسيين، ويبدو أن استند في ذكر العباسيين إلى أحد النصوص التي نقلها ابن عذاري عن تمرد العلاء بن مغيث الجذامي على الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وعلاقة هذا التمرد بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[174]. ولكن هذا النص، بطبيعة الحال، لا يمكن أن يتخذ

---

(170) Pons Boigues Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles, p242.

(171) Ibid p393.

(172) البيان المغرب: 123.

(173) Los historiadores y Geografos Arabigo-Espanoles p393.

(174) البيان المغرب: 2/ 52.

دليلاً على أن الكتاب قد اهتم بتاريخ العباسيين، لأن موضوعه هو حدث أندلسي، وفيه إشارة عابرة فقط إلى أبي جعفر المنصور، ولا تشير بقية النصوص المنقولة عن الكتاب إلى أية أحداث عباسية فالكتاب أندلسي، واهتمامه منصب على العصور المبكرة والأولى من وجود المسلمين في هذه البلاد، لا سيما عصور الفتح والولاة والإمارة[175]. وربما كان مؤلف الكتاب على معرفة بلغة أخرى غير العربية، كاللاتينية مثلاً، لأنه يذكر، حسبما ينقل عنه ابن عذاري[176]، أنه اطلع على بعض كتب العجم، التي تناولت فتوح موسى بن نصير، ووصوله إلى أماكن نائية في كل من شبه الجزيرة الآيبيرية، وجنوب فرنسا، لا سيما «مدينة لوطون Lyon قاعدة الأفرنج». ولكن من المعروف أن الحوليات اللاتينية المعاصرة لا تشير إلى أية فتوح لموسى بن نصير في جنوب فرنسا[177].

11 ـ كتابا المظفري والاقتضاب:

يشير ابن عذاري إلى هذين الكتابين دون ذكر اسم مؤلفيهما، فهو ينقل من الأول نصاً عن خروج علي بن حمود من سبتة إلى مالقة Malaga سنة 405هـ/ 1014م، فيقول: «قال المظفري في كتابه لما خرج علي عن طاعة المستعين أخرج كتاباً نسبه إلى هشام بن الحكم...»[178] وربما يكون المظفري المقصود هنا هو كتاب «المظفري» الذي ألفه المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس، حاكم بطليوس Badajoz، والذي احتوى، حسبما يشير ابن عذاري[179]، على الأخبار والسير والآداب المتخيرة،

(175) انظر: المصدر نفسه: 2/ 12 ـ 13، 32، 34، 51، 52، 57، 87، 123.
(176) المصدر نفسه: 2/ 12 ـ 13.
(177) انظر: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص182.
(178) البيان المغرب: 3/ 116.
(179) المصدر نفسه: 3/ 236 ـ 237.

والطرف، والغرائب الملوكية، واللغات الغربية، وكان هذا الكتاب كبيراً لا يتمكن الناس من تملكه، فهو لا يصلح إلا لخزائن الملوك.

ويذكر ابن بسام[180] أنه كان في خمسين مجلدة، ويشتمل على علوم وفنون، وسير وأمثال وأخبار، وجميع ما يختص به علم الأدب. ومع هذا، فمن وصف ابن عذاري له يمكن ترجيح اطلاعه عليه وأخذه عنه.

أما الكتاب الثاني «الاقتضاب». فينقل منه أكثر من نص. وهذه النصوص تتعلق بفترة الفتنة التي حدثت في الأندلس، وقرطبة بالذات، بعد سقوط العامريين، لا سيما عن عصر محمد بن هشام بن عبد الجبار، بعد تغلبه على عبد الرحمن شنجول[181]. وعن تملك القاسم بن حمود لقرطبة عام 413هـ/ 1022م[182]. ولا تساعدنا هذه النصوص بطبيعة الحال، في التعرّف على مؤلف الكتاب. ومن الجدير بالذكر أن هناك كتباً أخرى تسمى بهذا الاسم، وهي على الأغلب إما كتب تراجم، مثل كتاب (الاقتضاب لصلة ابن بشكوال) لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش المتوفي سنة 584هـ/ 1188م في مرسية[183]، أو أدبية غير تاريخية، مثل كتاب (الاقتضاب) لأحمد بن محمد بن أحمد بن بلال المتوفي في حدود سنة 460هـ/ 1067م[184]. إن مؤلف الكتاب الأخير معاصر للأحداث التي يتناولها كتاب «الاقتضاب» الذي أشار إليه ابن عذاري، ولكنه على الأغلب يختص بالأدب واللغة، بينما اقتباسات ابن عذاري عبارة عن نصوص طويلة تتعلق بأحداث تاريخية صرفة.

---

(180) الذخيرة: ق2، م2، ص640 ـ 641.

(181) البيان المغرب: 3/ 51، 82، 96.

(182) المصدر نفسه: 3/ 134.

(183) الضبي، بغية الملتمس، ص345 و346، ترجمة (988)، وانظر Pons Biogues op, cit, p254.

(184) الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص392 ـ 393.

(ب) كتب التراجم:

أهم كتب التراجم التي أشار إليها ابن عذاري اثنان، وهما: (جذوة المقتبس)، لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي المتوفي سنة 488هـ/ 1095م[185]. وقد أخذ منه نصاً عن أبي عمرو عباد صاحب أشبيلية[186]، ولكن النص الذي يخص عباد في النسخة المطبوعة من كتاب الحميدي[187]، يختلف بعض الشيء عما أورده ابن عذاري، مما يشير إلى استخدامه لنسخة أخرى من هذا الكتاب.

أما الكتاب الثاني، فهو كتاب (الصلة) لأبي القاسم خلف بن بشكوال المتوفي سنة 578هـ/ 1182م. وقد سبقت الإشارة إلى اعتماد ابن عذاري على هذا الكتاب فيما يخص موارد شمال إفريقيا، وأنه يستخدم نسخة أخرى مفصلة غير النسخة المتداولة الآن، ومن الجدير بالذكر أن النص الذي يشير إليه ابن عذاري هو أيضاً نفس اقتباسه السابق عن موسى بن نصير ونسبه[188].

(ج) كتب المسالك والجغرافية:

كتاب المسالك لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري

وهذا المؤلف من أشهر الجغرافيين في الأندلس، ولد في حدود سنة 405هـ/ 1014م في مدينة شلطيش Saltes غرب الأندلس، وتوفي عام 487هـ/ 1094م[189]. أما كتابه (المسالك والممالك)، فيعد من المؤلفات الجغرافية

(185) انظر ترجمته عند: الضبي، بغية الملتمس، ص113، ترجمة (257): ابن بشكوال الصلة: 2/ 560، ترجمة (1230)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968 ـ 1972، 3/ 282 ـ 284، ترجمة (616)، .Pons Boigues op, cit, pp. 164 - 166

(186) البيان المغرب: 3/ 285.

(187) انظر: جذوة المقتبس، ص296.

(188) البيان المغرب: 2/ 22.

(189) انظر: ابن بشكوال، الصلة: 2/ 287 ـ 288، ترجمة (633)، ابن الأبار الحلة السيراء:

القيمة[190]، ولكنه يزخر أيضاً بالمعلومات التاريخية المفيدة. وقد أسلفنا الحديث عن الجزء الخاص بالشمال الإفريقي، واستفادة ابن عذاري منه في روايته عن المغرب. أما ما يتعلق بالأندلس، فقد أشار ابن عذاري إلى رواية البكري لدخول النورمان إلى مدينة بريشتر Barbastro سنة 456هـ/ 1064م، وما فعلوه فيها من مذابح، وانتهاك لحرمة المسلمين، وأخذهم النساء سبايا، وإهدائهن إلى الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية[191]. كما نقل عنه أيضاً رواية استرجاع أحمد بن سليمان بن هود، صاحب سرقسطة Zaragoza، لهذه المدينة بعد عام من احتلالها، أي سنة 457هـ/ 1065م، وأشار إلى أعداد السبايا والأسرى النورمان الذين نقلهم ابن هود من بريشتر إلى سرقسطة[192]. ومن مقارنة هذين النصين مع المادة المتوفرة من كتاب (المسالك والممالك)، ضمن الجزء الذي يتعلق (بجغرافية الأندلس وأوروبا)[193]، نجد أن ابن عذاري قد التزم تقريباً بحرفية هذين النصين، ولكن هناك اختلاف كبير في أعداد السبايا المذكورة في كلا النصين، مما يشير إلى احتمال استخدامه لنسخة أخرى، أو إلى الخطأ في النقل من قبل ابن عذاري، أو النساخ.

2/ 180، فما بعدها: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص309، Pons Biogues op, cit, pp, 160 - 164.

(190) انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967، ص123 ـ 148.

(191) البيان المغرب: 3/ 253.

(192) المصدر نفسه: 3/ 227.

(193) تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1968، ص94، 95.

(د) الكتب الأدبية:

1 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي

نسبة إلى مدينة شنترين Santarem في غربي الأندلس، المتوفي سنة 542هـ/ 1147 ـ 1148م(194). وقد اعتمد ابن عذاري على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً، فأخذ منه نصوصاً، نسب معظمها إلى ابن بسام، لكنه اغفل نسبة بعضها الآخر، مثال ذلك النص الذي أورده عن دخول محمد بن عباد (المعتمد) إلى مالقة(195). وكذلك نقل نصاً آخر نسبة إلى (محمد بن إسماعيل كاتب المنصور)(196)، بينما هو في الواقع مأخوذ عن ابن بسام، الذي ذكره في (الذخيرة) برواية ابن حيان(197). وقد سبقت الإشارة، في أثناء الحديث عن ابن حيان، إلى نصوص أخرى لهذا المؤرخ نقلها ابن عذاري مباشرة من كتاب الذخيرة، ونسبها إليه دون الإشارة إلى ابن بسام.

ومن الملاحظ أيضاً أن ابن عذاري لم يلتزم في بعض الأحيان بالتسلسل الذي يورده ابن بسام للنصوص، فيختصر منها بشكل قد يخل بالمعنى فقد أشار إلى نص هو بالأصل عن تقويم ابن حيان، فذكره ضمن حديثه «نبذ عن أخبار بني جهور أمراء قرطبة» وأورده كما يأتي: «قال ابن بسام كان ابن حيان بقرطبة خاتمة المتكلمين ونخبة المحسنين على ما تراه ركب من أثم، واحتقب من ظلم، لكنه سلم من لسانه أمير بلده وأكبر زمانه

---

(194) انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 417، ياقوت، معجم الأدباء: 12/ 275.

(195) البيان المغرب: 3/ 273 ـ 274، وقارن: الذخيرة: ق2، م1، ص49 ـ 50.

(196) البيان المغرب: 2/ 2/ 270.

(197) قارن الذخيرة، ق4، م1، ص66 ـ 67، وانظر أيضاً: أبو نصر محمد بن عبد الله القيسي، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ/ ص4 ـ 5.

أبو الحزم ابن جهور وابنه بعده أبو الوليد...»[198]. ولا يبدو النص هنا منسجماً على عكس الحال في (الذخيرة)، حيث جاء النص عن ابن حيان بشكل أكمل وأوفى: «قال ابن بسام: إلى هذا المكان انتهى ما أخرجته في هذا الفصل من كلام ابن حيان. وكان عندهم بقرطبة خاتمة المتكلمين وجمهور المحسنين، على ما تراه ركب من إثم، واحتقب من ظلم، وتناول من عرض، وأطبق من سماء على أرض، عجباً بافتتانه، وتعجباً من بيانه...» ثم يستمر في تقويمه إلى قوله: «... وعلى كل حال فقد سلم على لسانه أمير بلده أكبر أهل زمانه، أبو الحزم ابن جهور، وابنه بعده، فجرى لهما بأيمن طائر، ولم يعرض لذكرها إلا بخير، وقد أثبت من ذلك ما دل على الإحسان ووفى بشرط الديوان»[199].

وتنحصر بقية النصوص التي أخذها ابن عذاري عن ابن بسام في عصر الطوائف، ويكاد مؤلف (البيان المغرب) يجاري ما ورد في (الذخيرة) أولاً بأول، فينقل عن أخبار الدولة الجهورية على سبيل المثال ما يأتي: «قال ابن بسام إلى هنا انتهى ما وجدته في كتاب ابن حيان من أخبار الدولة الجهورية (قال المؤلف) وها أنا أذكر من كلام ابن بسام وغيره ما أمكن من بقية أخبارهم إن شاء الله...»[200] وهناك نصوص أخرى متفرقة اعتمد فيها ابن عذاري على كتاب (الذخيرة) منها عن أخبار سليمان بن الحكم المستعين بالله[201]، وعبد الرحمن بن هشام المستظهر بالله[202]، ومنها عن مظفر ومبارك العامريين[203]، وعن أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح

(198) البيان المغرب: 3/ 233 ـ 234.
(199) الذخيرة: ق1، م2، ص601 ـ 602.
(200) البيان المغرب: 3/ 256: وقارن: الذخيرة: ق1، م2، ص608.
(201) البيان المغرب: 3/ 118، وقارن: الذخيرة: ق1، م1 ص46 ـ 48.
(202) البيان المغرب: 3/ 139 ـ 140، قارن، الذخيرة: ق1، ص55 ـ 56.
(203) البيان المغرب: 3/ 162: وقارن، الذخيرة، ق3، م1، ص13 ـ 14.

التجيبي[204]، وأبي مروان ابن رزين الملقب بحسام الدولة[205]، وعن بني عباد، ونهاية حكمهم بعد خلع المعتمد ودخول المرابطين إلى إشبيلية[206]، وكذلك عن ذكر المعتضد بن عباد[207]، وقتله لابنه إسماعيل ومخاطبته[208]، لجماعة من حلفائه في هذا الشأن، وقد أوجز ابن عذاري كثيراً في هذا النص الذي جاء مفصلاً عند ابن بسام[209]. وأخيراً أورد ابن عذاري ضمن أحداث سنة 455هـ/ 1063م وصفاً لموقعة بطرنة، وهي قريبة من أعمال بلنسية، اعتمد فيه على ما ذكره ابن بسام، ولكن بتصرف[210]. ومن الجدير بالذكر أن هناك نصوصاً قليلة ذكر فيها ابن عذاري اعتماده على ابن بسام، لكنها لا تتوفر في الذخيرة المتيسرة بين أيدينا، مثل النص الآتي: «قال ابن بسام: كان جعفر بن عثمان رجلاً بلغ المنتهى، وصوغ برهة من دهره ما اشتهى، دون مجد تفرع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مغداه وروحته»[211]. فربما كان تحت تصرف ابن عذاري نسخة أخرى تختلف عن النسخ المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر.

2 ـ كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس.

لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي. وهو أديب فاضل، وشاعر بليغ، لكنه بذيء اللسان، كثير الهجاء، وقد توفي مقتولاً في مراكش سنة 535هـ/ 1140م. وله بالإضافة إلى هذا

(204) البيان المغرب: 3/ 175، وقارن: الذخيرة: ق1، م7، ص732 ـ 733.
(205) البيان المغرب: 3/ 184، وقارن: الذخيرة، ق3، م1، ص112 ـ 113.
(206) البيان المغرب: 2/ 206، وقارن، الذخيرة، ق2، م1 ص28.
(207) البيان المغرب: 3/ 214، وقارن الذخيرة: ، ق2، م1، ص38 ـ 40.
(208) البيان المغرب: 3/ 245، وقارن: الذخير: ق2، م1، ص138.
(209) البيان المغرب: 3/ 248، وقارن الذخيرة: ق3، م1، ص148.
(210) البيان المغرب: 3/ 252 ـ 253، وقارن: الذخيرة، ق3، م2، ص854 ـ 857.
(211) البيان المغرب: 2/ 255.

الكتاب كتاب آخر اسمه (قلائد العقيان في محاسن الأعيان)[212]. وقد اعتمد ابن عذاري على الفتح بن خاقان في ذكر بعض أخبار محمد بن أبي عامر المنصور، وغزواته[213]، وكذلك في أخبار أسرة بني عباد، لا سيما نسبها وانتماؤها إلى لخم والمناذرة[214]. ومن مقابلة النص الأخير مع كتاب (مطمح الأنفس) يتبين أنه منقول فعلاً عن هذا الكتاب[215]. أما النصان الخاصان بالمنصور، فلا وجود لهما في النسخة الصغيرة المختصرة عن (مطمح الأنفس) المتوفرة بين أيدينا[216]. ويرجع ذلك إلى وجود ثلاث نسخ من هذا الكتاب وهي «كبرى ووسطى وصغرى»[217]، وربما كان تفصيل الأحداث قد ورد في النسخ الكبرى والوسطى فقط.

(212) انظر وفيات الأعيان: 4/ 23 ـ 24، معجم الأدباء، 16/ 186 ـ 192، المغرب في حلى المغرب: 1/ 259 ـ 260 Pons Boigues op, cit 201 - 240.

(213) البيان المغرب: 2/ 273 ـ 274، 279.

(214) المصدر نفسه: 3/ 284.

(215) انظر: ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص11.

(216) طبعة القاهرة: 1325هـ/ .

(217) انظر: ابن سعيد، تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم، في نفح الطيب: 3/ 184، وكذلك مقدمة كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان، باعتناء: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، مصورة عن طبعة باريس، ص(و).

ثانياً: الكتب التاريخية المغربية

1 ـ كتاب عيسى بن محمد بن سلمان بن أبي المهاجر:

وهذا المؤلف هو حفيد أبي المهاجر دينار، الذي تولى إفريقية بعد ولاية عقبة بن نافع الفهري الأولى سنة 55هـ/ 674م ـ 62هـ/ 681م. وقد ألف كتاباً في (فتوح إفريقية). وهو حسب رواية أبي العرب[218]، أحد تلاميذ أبي خارجة عنبسة بن خارجة، وعبد الله بن وهب، والأخير من المحدِّثين المصريين، وهو يعد من مؤسسي أول مدرسة تاريخية مصرية، ولهذا فإن روايات عيسى بن محمد، كما يرى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد[219]، لا تختلف كثيراً عن روايات أهل مصر. ولكن هذا المؤلف، يشير أيضاً إلى اعتماده على رواة آخرين، من أمثال الواقدي[220]، وابن مهدي بن يزيد القيسي، وزريق بن هلال الخشني[221]، وعمر بن سمك بن حميد، وهو

---

(218) محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: علي الشابي، ونعيم حسن اليافي، تونس 1968، ص206.

(219) فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكيم، بحث ضمن كتاب: (دراسات عن ابن عبد الحكم)، القاهرة، 1975، ص179، وصفحات البحث (153 ـ 196)، وانظر لنفس المؤلف أيضاً: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، 1979: 1/ 23.

(220) انظر: أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص65، 68.

(221) المصدر نفسه، ص71.

مولى موسى بن نصير، وغيرهم من أشياخ عرب إفريقية[222]. كما اطلع أيضاً على كتاب اسمه (السوسي) وأخذ منه رواية عن خروج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية[223].

ويبدو أن أبا العرب قد اعتمد كثيراً على الروايات التي ذكرها عيسى بن محمد في كتاب (فتوح إفريقية)، وأشار إليها في مواضع مختلفة من كتابه (طبقات علماء إفريقية)[224]. يضاف إلى ذلك أن أبا عبيد البكري يذكر أيضاً روايات أخرى منسوبة إلى أبي المهاجر دينار، وهو الجد الأعلى لعيسى بن محمد، عن فتوح عقبة بن نافع في المغرب الأقصى[225]. وربما تكون هذه الروايات جزءاً من كتاب عيسى بن محمد المذكور أعلاه.

ولكن الغريب أن ابن عذاري لم يعتمد كتاب عيسى بن محمد هذا في روايته عن شمال إفريقية، أو على الأقل لم يذكره ضمن موارده هناك. بل أشار إليه في روايته عن الأندلس دون تسمية عنوانه، فقال في سياق سبب دخول طارق بن زياد للأندلس ما نصه: «وذكر عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر، في كتابه السبب في دخول طارق الأندلس. وهو أن طارقاً كان والياً لموسى على طنجة، وكان يوماً جالساً، إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر، فلما أرست، خرجوا إليها فنزعوا أرجلها، وأنزلوا أهلها..»[226] وينقل عنه بعد ذلك نصاً آخر عن اللقاء بين طارق ولذريق ملك القوط، ومقتل الأخير في وادي الطين، وانتصار المسلمين، ثم يختتم كلامه بقوله: «هكذا ذكر عيسى في كتابه»[227]. وهذه النصوص بطبيعة الحال. تشير إلى أن كتاب عيسى بن محمد لم يكن يقتصر على فتوح إفريقية حسب، بل

(222) المصدر نفسه، ص71، 179.
(223) المصدر نفسه، ص78.
(224) المصدر نفسه، ص57، 65، 68، 69، 71، 76، 77، 78، 179.
(225) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص73 ـ 74.
(226) البيان المغرب: 2/ 6.
(227) المصدر نفسه: 2/ 7.

شمل فتوح الأندلس أيضاً، ويحتمل أنه كان يتألف من قسمين، ولكن ابن عذاري لم يطلع إلا على القسم الخاص بالأندلس. وقد يفسر هذا السبب في إغفال ذكره ضمن موارده عن شمال إفريقيا.

2 ـ كتاب تاريخ إفريقية والمغرب لإبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني. (ت417هـ/ 1026م).

لقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب في موارد ابن عذاري عن شمال إفريقيا. وهو يعد من أوفى وأشمل ما كتب عن إفريقية والمغرب منذ الفتح إلى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ويبدو أن الرقيق قد أشار في كتابه إلى أحداث معاصرة له وقعت في الأندلس، لا سيما بعد وفاة الحاجب المنصور، وابنه عبد الملك المظفر. وقد اطلع ابن عذاري على هذه الروايات ونقلها في (البيان المغرب)، فأسدى بذلك خدمة كبيرة لتاريخ الأندلس، لأهمية هذه الروايات ومعاصرتها للأحداث، واعتمادها على شهود العيان. فيذكر عن الرقيق معلومات عن تصرفات عبد الرحمن بن أبي عامر، المعروف بشنجول بعد استقلاله بالملك[228] وطرفا من حملته التي نوى أن يصل فيها إلى جليقية[229]. ويستمر ابن عذاري في نقل روايات أخرى عن أحداث وقعت في عهد عبد الرحمن ابن أبي عامر، ومحمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي خلع هشام الثاني ابن الحكم المستنصر وسليمان ابن الحكم، إلى سنة 406/ 1015م[230].

ويشير ابن عذاري في بعض رواياته عن الرقيق إلى اسم شخص يدعى عمر بن أحمد، فيقول: «قال عمر بن أحمد في كتاب الرقيق»[231] ويبدو أن

(228) المصدر نفسه: 3/ 47.
(229) المصدر نفسه: 3/ 49.
(230) المصدر نفسه: 3/ 67، 70، 73، 75، 77، 78، 84، 92، 97، 102، 103، 105، 116 ـ 117.
(231) المصدر نفسه: 3/ 72، 73.

عمراً هذا كان أحد الرواة الذين اعتمدهم الرقيق في تدوين معلوماته عن الأندلس، وكان على الأغلب من شهود العيان، لأن الرقيق يقول في موضع آخر، كما ينقل ابن عذاري: «وفي كتاب الرقيق بن القاسم قال أخبرني بعض الأدباء قال إني لقائم عند باب الحديد إذ أتي بشنجول معروضاً على بغل عاري الجثة مصفر اليدين والرجلين بالحناء نقياً من الشعر.... قال ومن أعجب ما رأينا ما حكى لي من حضر هذه الحادثة من الثقاة قال ومن أعجب ما رأيت من عبر الدنيا أنه تم من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأخرة المؤرخ إلى نصف نهار يوم الأربعاء تتمة الشهر وفي مثل ساعة فتح مدينة قرطبة وهدم مدينة الزهراء وخلع خليفة قديم الولاية وهو هشام بن الحكم ونصب خليفة لم يتقدم له عهد ولا وقع عليه اختيار وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار وزوال دولة آل عامر وكرور دولة بني أمية ......»[232].

وهذه المعلومات، بطبيعة الحال، على غاية كبيرة من الأهمية، لأن الرقيق يوثقها بشهود عيان عايشوا الأحداث المؤلمة، التي وقعت في الأندلس في أعقاب تدهور الخلافة الأموية، ونقلوها إلى شمال إفريقيا. ولكن يبدو أن الرقيق قد ضمن كتابه أيضاً روايات أخرى عن أحداث الأندلس المبكرة، مثل ولاية عبد العزيز بن موسى، وزواجه من ابنة لذريق، ومقتله على يد الجند. وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الروايات[233]، ونسبها إلى الواقدي، دون أن يذكر الرقيق. وبالرجوع إلى القطعة المنشورة عن كتاب الرقيق، يتبين أنها للأخير، وإنه اعتمد فيها على الواقدي أيضاً[234].

(232) المصدر نفسه: 3/ 73 ـ 74.

(233) المصدر نفسه: 2/ 24.

(234) تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص94 ـ 95.

3 ـ كتاب المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس

لأبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق، وهو من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه في بحثنا عن موارد ابن عذاري من شمال إفريقيا أما فيما يخص الأندلس فقد استفاد مؤلف (البيان المغرب) من هذا الكتاب أيضاً، فنقل أربعة نصوص مختلفة عن عصر الطوائف، منها نص عن توجيه علي بن مجاهد العامري لمركب مملوء بالطعام إلى مصر، بسبب المجاعة هناك عام 447هـ/ 1055م(235). ونص عن إعلان المعتضد بن عباد لموت هشام المؤيد للمرة الثالثة سنة 451هـ/ 1059م(236). وآخر عن دولة بني جهور في قرطبة(237)، أما النص الرابع، فهو عن بني يرنيان أصحاب شذونة Sidonia، وأركش Arcos de la Frontera وهزيمتهم على يد المعتضد سنة 458هـ/ 1066م(238). ولا يجمع هذه النصوص سوى الفترة الزمنية، فأحداثها جميعاً تقع في حدود منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، من سنة 477هـ/ 1055م إلى سنة 958هـ/ 1066م.

4 ـ كتاب القبس أو المقتبس في أخبار وفاس الأندلس:

استفاد ابن عذاري أيضاً من هذا الكتاب، الذي سبق ذكره في موارده عن شمال إفريقيا. فقد نقل عن مؤلفه الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمادة، وهو من المؤرخين المغاربة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، بعض أحداث عصر الطوائف، لا سيما فترة استيلاء سليمان المستعين بالله على قرطبة سنة 403هـ/ 1012م، ودخوله مع البربر إلى هذه

---

(235) البيان المغرب: 3/ 228.

(236) المصدر نفسه: 3/ 249.

(237) المصدر نفسه: 3/ 258.

(238) المصدر نفسه: 3/ 272.

المدينة، وتقسيمه بعض بلاد الأندلس على قبائل البربر، من أمثال صنهاجة، ومغراوة، وبني برزال، وبني يفرن، وبني دمر، وإزداجة[239]. وكذلك عن هرب العبيد العامريين إلى شرقي الأندلس نتيجة لاستيلاء البربر على قرطبة[240]. وتشير هذه النصوص إلى اهتمامات ابن حمادة بأخبار البربر في الأندلس.

5 ـ كتاب نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان:

لقد تعرضنا بالتفصيل لهذا الكتاب ومؤلفه أبي علي حسين بن القطان الكتامي في البحث عن موارد ابن عذاري عن شمال إفريقيا، كما أشرنا إلى أن الكتاب يتألف من سبعة أجزاء تبدأ بأخبار القرن الأول الهجري/ السادس الميلادي، والفتح العربي للمغرب، وتنتهي بالقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أي إلى عصر المؤلف. وبالنسبة إلى الأندلس، فإن النصوص التي اعتمد عليها ابن عذاري من هذا الكتاب، ترجع إلى الجزءين الأول والثاني منه، أي أخبار الفتح، وعصر الولاة، وإلى الجزء الخامس، أي عن عصر الطوائف، بعد سنة 400هـ/ 1009م.

ونلاحظ على نصوص ابن القطان الخاصة بالفتح أنها تقدم أكثر من رأي بالنسبة للوقائع التي تتحدث عنها. وأن ابن القطان يبدي رأيه أحياناً في ترجيح بعض هذه الآراء، كما في النصين الآتيين، عن مكان استقرار طارق ابن زياد في المغرب قبل فتح الأندلس، وأسباب عبور موسى بن نصير إلى الأندلس:

«قال ابن القطان: فالأكثرون يقولون: كان مستقرهُ بطنجة، ومنهم من يقول بسجلماسة، وإن سلا وما وراءها من فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى، وكانت طنجة ليليان منهم، فكان طارق إذاً نائباً عن موسى بن

(239) المصدر نفسه: 3/ 113.
(240) المصدر نفسه: 3/ 115.

نصير. واختلفوا أيضاً هنا بل إنما سار إلى الأندلس عن أمر موسى، أو سار إليها لأمر دهمه، لم يمكنه إلا إنقاذه. والقول الأول هو المشهور، المتفق عليه»[(241)].

«وقال ابن القطان: قيل إنما حمله [أي موسى بن نصير] على الجواز للأندلس تعدي طارق ما أمره به ألا يتعدى قرطبة، على قول، أو موضع هزيمة لذريق، على قول. وقيل أيضاً: إنما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتوح والغنائم. وقيل أيضاً: إنما جاز باستدعاء طارق إياه، فكان جوازه في رمضان، كما تقدم»[(242)].

وينقل ابن عذاري بعض النصوص عن عصر الولاة، لا سيما عن عقبة ابن الحجاج السلولي واستخلافه لعبد الملك بن قطن بعد وفاته. ومن الجدير بالذكر أن ابن عذاري لا يشير إلى موارده حينما يتحدث عن ولاة الأندلس من أيوب اللخمي إلى عقبة بن الحجاج، وربما كان يأخذ من ابن القطان، لأنه يروي عنه أيضاً أخباره عن ولاية عبد الملك بن قطن الثانية، يقول ابن عذاري: «وفي سنة 122 [739م] ولي عبد الملك بن قطن ثانية، حتى كان من أمر البربر وبلج بن بشر ابن أخي كلثوم بن عياض عامل إفريقية ما أذكره. قال ابن القطان: وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوما لقتال البربر، وولاه إفريقية، وبعث معه ثلاثين ألف فارس. . .»[(243)] ثم يستمر في رواية الخبر إلى دخول بلج الأندلس وهزيمته للبربر فيها. ثم ينقل نصاً آخر عن تولي ثعلبة بن سلامة العاملي سنة 124هـ/ 741م. ويورد رأي ابن القطان في سيرته وعهده، فيقول: «. . . وثار من بقي من البربر في أيامه، فغزاهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم نحو الألف، وانصرف إلى قرطبة. فسار بأحسن سيرة. وكانت ولايته عشرة أشهر. هذا مساق ابن

(241) المصدر نفسه: 2/ 5.

(242) المصدر نفسه: 2/ 13.

(243) المصدر نفسه: 2/ 30.

القطان». ويبدو أن ابن عذاري لا يقنع برواية ابن القطان هذه عن سيرة ثعلبة الحسنة، فيحاول عرض وجهة نظر أخرى بقوله مباشرة: «ومن درر القلائد: كان يبيع ذراري أهل البلد، ويحملهم أسرى ويرهقهم من أمرهم عسراً. فكان ثعلبة معهم على هذه الحال إلى أن ورد أبو الخطار»[244].

أما النصوص الخاصة بعصر الطوائف، فهي تتناول الموضوعات الآتية:

* خلع القاسم بن حمود بقرطبة سنة 410هـ/ 1019[245].
* دولة عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر بالله[246].
* استخلاف محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله وفراره ووفاته[247].
* دولة بني عباد وهشام المشبه[248].
* أخبار بني حمود[249].
* إعلان وفاة هشام الثاني سنة 451هـ/ 1059م[250].
* مقتل إبراهيم بن الشعار مدبر أمور الدولة الجهورية سنة 455هـ/ 1063م[251].
* تقويم سياسة المعتضد بالله عباد بن محمد، وسطوته واهتمامه بالأدب[252].

ويمكن ملاحظة استقرار الرواية في هذه النصوص، أي إنها تخلو من الاختلافات أو الآراء المتباينة التي لاحظناها في النصوص الخاصة بالفتح، فلا يستخدم فيها ابن القطان تعابير، مثل «قيل» أو «الأكثرون يقولون»،

(244) المصدر نفسه: 2/ 33.
(245) المصدر نفسه: 3/ 134.
(246) المصدر نفسه: 3/ 136.
(247) المصدر نفسه: 3/ 141 ـ 142.
(248) المصدر نفسه: 3/ 199 ـ 200.
(249) المصدر نفسه: 3/ 217.
(250) المصدر نفسه: 3/ 249.
(251) المصدر نفسه: 3/ 251.
(252) المصدر نفسه: 3/ 284.

وغيرها من الألفاظ التي قد توحي بعدم التأكد ويجوز أن بعد الفترة الزمنية، وأحداث الفتح المتضاربة هي التي دفعت ابن القطان إلى هذا الأسلوب. أما بالنسبة لعصر الطوائف، فهو قريب نسبياً من عصر المؤلف، ويبدو أن أحداثه كانت معروفة، وثابتة، لهذا جاءت روايته لها أكثر تماسكاً من روايته عن الفترات المبكرة. وقد احتفظ لنا ابن عذاري في هذه النصوص بأسلوب ابن القطان، وتقويمه للشخصيات التي يتحدث عنها. ويمكن ملاحظة ذلك في النصوص الخاصة بعبد الرحمن بن هشام المستظهر بالله، ومحمد بن عبد الله المستكفي بالله، والمعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد صاحب اشبيلية.

ثالثاً: الكتب التاريخية المشرقية

1 ـ تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/ 922م):

كما هو الحال بالنسبة إلى شمال إفريقيا، فإن ابن عذاري يعتمد اعتماداً قليلاً على الطبري في روايته عن الأندلس. فينقل عنه بعض النصوص التي تتعلق بالفتح، وأول من دخل الأندلس من المسلمين(253) والعلاقة بين موسى وطارق ومكان التقائهما في الأندلس(254). كما ينقل نصاً آخر عن عصر الولاة، يتعلق بولاية عنبسة بن سحيم الكلبي(255). وبصورة عامة، لا تختلف نصوص ابن عذاري عن أصولها عند الطبري إلا اختلافات يسيرة في الألفاظ، ولكنها جاءت مختصرة في كثير من الأحيان بأسلوب ابن عذاري بينما نجدها مفصلة عند الطبري.

(253) المصدر نفسه: 2/ 4، وقارن: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غوية، ليدن، 1879 ـ 1901، 1/ 2817، 2/ 1217.

(254) البيان المغرب: 2/ 16، وقارن: تاريخ الرسل والملوك: 2/ 1253 ـ 1254.

(255) البيان المغرب: 2/ 27، وقارن: تاريخ الرسل والملوك: 2/ 1435.

2 ـ عجائب البلاد والزمن لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346/ 957م):

أشار ابن عذاري إلى هذا الكتاب، ونقل منه النص الآتي:

«وقال المسعودي في كتابه المسمى بـ(عجائب البلاد والزمن) قال: لما فتح طارق طليطلة وجد بها بيت الملوك، ففتحه فوجد فيه زبور داود ـ عم ـ في ورقات ذهب مكتوباً بماء ياقوت محلول، ومن عجيب العمل، الذي لم يكد ير مثله، ومائدة سليمان ـ عم ـ وقد تقدم وصفها. ووجد فيه أربعة وعشرين تاجاً منظومة بعدد ملوك القوطيين بالأندلس[256]». وليس من هدف البحث هنا مناقشة هذه الرواية، التي هي في الحقيقة إحدى الأساطير التي اكتنفت موضوع فتح الأندلس. ولكن الذي يهمنا هو اسم الكتاب الذي ينسبه ابن عذاري إلى المسعودي، فهو يثير الشك والاستغراب، لأنه لم يرد بهذه الصيغة عند المسعودي، أو عند غيره من المؤلفين الآخرين. فالمسعودي يشير في كتابه (مروج الذهب) إلى كتاب له باسم «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال والممالك الدائرة»، ويقول إنه فصل في الحديث في أخبار الأحداث في أيام الوليد بن عبد الملك، وما جرى فيها من كوائن وحروب في كتابيه (أخبار الزمان) و(الأوسط)[257]. وقد أشار حاجي خليفة[258]، إلى كتاب للمسعودي باسم (أخبار الزمان)، كما نشر كتاب بهذا العنوان نسب للمسعودي[259]. ولكن هذا الكتاب المطبوع، لا يمكن أن يكون هو كتاب (أخبار الزمان) للمسعودي، الذي أشار إليه في

---

(256) البيان المغرب: 1/ 45.

(257) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1967: 3/ 182.

(258) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/ 303.

(259) طبع في القاهرة سنة 1938، وكان عنوانه الكامل «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران»، وانظر أيضاً: الطبعة الثالثة، بتقديم عبد الله الصاوي، دار الأندلس، بيروت، 1978.

(مروج الذهب)، لأسباب كثيرة، منها أن محتويات الكتاب الأصلي تتألف من ثلاثين فنا، أما المطبوع، فهو كتاب صغير لا تتجاوز عدد صفحاته 252 صفحة، وليس فيه ما ذكره المسعودي من عناوين وبحوث[260].

ولهذا كله يبدو من الصعب تصديق نسبة هذا الكتاب المطبوع للمسعودي، وكذلك لا يمكن الجزم في هل أن الكتاب الذي أشار إليه ابن عذاري باسم «عجائب البلاد والزمن» هو نفسه كتاب (أخبار الزمان) أم لا، لعدم توفر كل من الكتابين في الوقت الحاضر. ولكن انفراد ابن عذاري بذكر هذا العنوان، ومخالفته لمن أشار إليه باسم (أخبار الزمان)، لا سيما المؤلف المسعودي، يجعلنا نميل إلى ترجيح أن الكتاب الذي اعتمد عليه ابن عذاري، هو كتاب (أخبار الزمان)، وأن عنوانه قد حوِّر إلى (عجائب البلاد والزمن) من قبل النساخ، أو ابن عذاري نفسه.

رابعاً: الكتب الأجنبية، أو كتب العجم

يشير ابن عذاري إلى اطلاعه على بعض كتب العجم فيما يخص أخبار ملوك القوط فيقول:

«...ووجدت في بعض كتب العجم أن آخر ملوك الأندلس كان يسمى وخَشْنَدْش، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا أحسن إصابة لسنَّتهم، وعلى سنَّته أمضت النصرانية أحكامها... وقالوا إن لذريق الذي دخلت عليه العرب والبربر، وثب على وخَشْنَدْشَ هذا وقتله، وغلب على ملك الأندلس، ودانت له طليطلة وغيرها.

وفي كتب العجم: إن لذريق هذا لم يكن من بيت المملكة وإنما كان زنيما، وكان من عمال الملك في قرطبة، وقتل وخَشَنْدَش بعدما خالف عليه. فغيَّر الحكم، وأفسد سنن الملك...»[261].

---

(260) انظر: جواد علي: موارد تاريخ المسعودي، مجلة سومر، مجلد 20، بغداد، 1964 ص7 ـ 9.

(261) البيان المغرب: 2/2 ـ 3.

ويتبين من تحليل هذه النصوص، أن ابن عذاري قد خلط بين اسم غيطشة Witiza، الذي هو آخر ملوك القوط، قبل لذريق Roderic، وبين أخيه رخشندش Rechesindo الذي كان وصياً على وقلة Achila ابن غيطشة. وكان لذريق قد قتل بالفعل رخشندش، أما غيطشة، فقد توفي في حدود سنة 710م[262]. وبعد تسلط لذريق على العرش، حاول وقلة أن يسترده بمساعدة عمه رخشندش، فأعد جيشاً بقيادته. ولكن لذريق تمكن من الانتصار عليه، وقتل رخشندش. وهذه هي الحادثة التي يشير ابن عذاري إلى اطلاعه على كتب العجم بشأنها. وربما كانت هذه الكتب التي يعنيها، هي ترجمة ضائعة لبعض الحوليات اللاتينية، مثل حولية أزيدور الباجي Isidore Pacense، أو كما تسمى أيضاً The Chronicle of 754، وهي تغطي الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي 611 ـ 754م. أو حولية الفونسو الثالث The Chronicle of Alfonso التي تهتم بدراسة تاريخ إسبانيا منذ حكم الملك وامبا Wamba القوطي (672 ـ 680م) إلى حكم الفونسو الثالث (866 ـ 911م).

(262) انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص2.

La Cronica Rotnse or the chronicle of Alfanso III, ed Manuel Gomez-Moreno Boletin de la Real Academia 100, Madrid, 1932, p.611.

قائمة المصادر والمراجع

(أ) المصادر الأولية:

* ابن الأبار، محمد بن عبد الله

1 ـ التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956.

2 ـ الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

* الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك

3 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، بدون تاريخ، السفر الخامس والسادس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965م، 1973. على التوالي.

* ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني

4 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: إحسان عباس، بيروت، 1979.

* ابن بشكوال، أبو القاسم خلف

5 ـ كتاب الصلة، القاهرة، 1966.

* البكري، أبو عبيد

6 ـ جغرافية الأندلس وأوربّا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1968.

* ابن حبيب، عبد الملك

7 ـ استفتاح الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، الجزء الخامس، 1957، ص221 ـ 243.

* ابن حزم، علي بن أحمد

8 ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962.

9 ـ رسالة في أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، نشرت بتحقيق: إحسان

عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2 بيروت، 1981.
10 ـ رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، نشرت: ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، بيروت، 1981.
11 ـ رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، م13، ح2، 1951. والنسخة المنشورة ضمن مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، بيروت، 1981.
* الحميدي، محمد ابن أبي نصر.
12 ـ جذوة المقتبس، القاهرة، 1966.
* ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف.
13 ـ المقتبس، نشر: ملتشور انطونيا، باريس، 1937.
14 ـ المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965.
15 ـ المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973.
16 ـ المقتبس، نشر: شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979.
* ابن خاقان، الفتح بن خاقان.
17 ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان، باعتناء: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، مصورة عن طبعة باريس.
18 ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مطبع السعادة، مصر، 1325هـ.
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد
19 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج1، القاهرة 1973.
20 ـ تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشر: ليفي بروفنسال بيروت، 1956.
* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد.
21 ـ وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968 ـ 1972.
* خليفة، حاجي خليفة.
22 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استمبول، 1941، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد.
* الرازي، أحمد بن محمد.
23 ـ La Cronica del Moro Rasis Memoria sobre la autenticidad de la Cronica

denominada del Moro Rasis, Memorias de la Real Academia de la Historia, VIII, Madrid, 1852. pp. 67 - 100.

24 ـ Framentos Ineditos de la cranica llamada del Moro Rasis. نشرها سافيدرا ملحقاً لدراسته عن فتح المسلمين للأندلس.

Estudio Sobre la invasion de los arabes en Espana, Madrid, 1892, PP. 145-154.

* الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم القيرواني.

25 ـ تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس 1968.

* ابن الزبير، أبو جعفر أحمد.

26 ـ صلة الصلة، نشر: ليفي بروفنسال، الجزائر، 1937، أعادت نشره مكتبة خياط، بيروت.

* ابن سعيد، ابن سعيد المغربي.

27 ـ تذييل على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب ج3.

28 ـ المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964.

* السيوطي جلال الدين عبد الرحمن.

29 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، القاهرة، 1966.

* ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد التوزري.

30 ـ وصف الأندلس من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971.

* الضبي، أحمد بن يحيى.

31 ـ بغية الملتمس، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884.

* الطبري: محمد بن جرير.

32 ـ تاريخ الرسل والملوك، نشر: دي غوية، ليدن، 1879 ـ 1901.

* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد.

33 ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جزءان، نشر: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948. والجزء الثالث، نشر: ليفي بروفنسال، باريس، 1930. وقد أعادت دار الثقافة في بيروت نشر هذه الأجزاء.

* أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي.

24 ـ طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس، 1968.

* الغساني، محمد بن عبد الوهاب.

35 ـ رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد، رقم (5304).

* ابن الفرضي، عبد الله بن محمد.
36 ـ تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
* ابن قتيبة (المنسوب).
37 ـ الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والوزيع، بدون تاريخ.
* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر.
38 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رابيرا، مدريد، 1926.
* مجهول المؤلف.
39 ـ أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.
* مجهول المؤلف.
40 ـ الرسالة الشريفية، نشرت ملحقاً لكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، ص191 ـ 214، وهي على ما يعتقد جزء من كتاب رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد بن عبد الوهاب الغساني.
* مجهول المؤلف.
41 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.
* المسعودي، علي بن الحسين.
42 ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1967.
43 ـ أخبار الزمان (المنسوب)، دار الأندلس، بيروت، 1978.
* المقري، أحمد بن محمد.
44 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968.
* ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي.
45 ـ معجم الأدباء، طبعة دار المستشرق، بيروت، بدون تاريخ.

(ب) المراجع الثانوية:

* بالنثيا، أنخل كونثاليث.
46 ـ تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، 1955.
* طه، عبد الواحد ذنون.
47 ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ميلانو ـ بغداد، 1982.

48 ـ نشأة التدوين التاريخي في الأندلس ـ دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمد الرازي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، المجلد السابع، العدد الأول، الجامعة الأردنية، عمان، 1980.

49 ـ نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والثلاثين، الجزء الأول، بغداد، 1983.

50 ـ كتاب المقتبس لابن حيان، الجزء الخامس، مراجعة مجلد العلوم الاجتماعية العدد3، السنة الحادية عشرة، جامعة الكويت، 1983.

* عبد الحميد: سعد زغلول.

51 ـ تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، 1979.

52 ـ فتوح المغرب والأندلس في رواية ابن عبد الحكم، بحث ضمن كتاب «دراسات عن ابن عبد الحكم» القاهرة، 1975، ص153 ـ 196.

* علي، جواد علي.

53 ـ موارد تاريخ المسعودي، مجلة سومر، المجلد العشرون، بغداد، 1964.

* مؤنس، حسين مؤنس.

54 ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967.

55 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.

* Boigues pons

56 - Los historiadores y Geografos arabigo espanoles, Amesterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898.

* Dunlop, D.M.

57 - IBN IDHARI'S Account of the Party Kings Glasgow University Oriental Sco. Trans, 1957.

* Gayangos, Pascual.

58 - The History of the Muhammedan Dynasties in Spain, New york, I 964 reprint of London edition, 1840, Vol.I.

La Cronica Rotense or the Chronicle of Alfonso III, ed: Manuel Gomez-Moreno, Boletin de la Real Academia de la Historia, 100, Madrid, 1932

* Makki, M.A.

59 - Egioto y los origenes de la historiografia arabe-espanola, Revista del Instituto de Estudios Islamicos, V. Madrid, 1957.

* Saavedra, E.

60 - Estudio sobre la invation de los arabes en Espana Madrid, 1892.

المحتويات

الإهداء 5

تصدير 7

نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة 9

تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس
في العصر الأموي 35

نشاة التدوين التاريخي في الأندلس دراسة تطبيقية
عن أحمد بن محمد الرازي 99

نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض 125

قطعة من كتاب العبر لابن أبي الفياض 139

أحمد بن عمر العذري ودوره في كتابة التاريخ العربي
الإسلامي في الأندلس 159

دراسة في منهج ابن حزم الأندلسي في كتابه «حجة الوداع» 183

موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس 195

د. عبد الواحد ذنون طه



دراسات
في التاريخ الأندلسي

هذا الكتاب مجموعة من الدراسات والبحوث في تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، متكاملة في موضوعاتها تدرس نواحي متعددة من الحضارة في مختلف تجلياتها السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية.

عسى أن تعطي صورة واضحة الملامح لما أبدعته الحضارة العربية الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية على مساحة ثمانية قرون.

وبحوث الكتاب وان كانت متخصصة في مجالها إلاّ أنها موجهة للباحث المتعمق و القارئ المتثقف في موضوعات لا تزال تلقي بظلالها على حاضرنا.

من مواليد مدينة الموصل 1943.

حصل على البكالوريوس في التاريخ بدرجة جيد جداً (قسم الشرف)،من كلية التربية بجامعة بغداد عام 1965.

نال شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب والأندلس من جامعة اكستر(Exeter) بالمملكة المتحدة عام 1978 م.

مؤلفاته :

- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي
- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا و الأندلس
- أصول البحث التاريخي
- دراسات أندلسية
- دراسات في التاريخ الأندلسي
- دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها
- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
- دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي
- موسى بن نصير
- ابن عذارى المراكشي
- حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس
- نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس
- الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق
- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس / بالاشتراك مع اخرين
- تاريخ المغرب العربي / بالاشتراك مع اخرين

دراسات في التاريخ الأندلسي



موقعنا على الانترنت:

www.oeabooks.com



ردمك ISBN 9959-29-209-6

9 789959 292094